إهداء

إلي كل من يبغي الحقيقة

إلي زوجتي ميزة موريس شاكر

إلي أبنتي مارينا فائق زكه

شكر وتقدير
أشكر الأساتذة الأفاضل
الأستاذ أسامة سلامة
والأستاذ عادل حمودة
والأستاذ محمد الباز
فلولا مساندتهم لما خرج الكتاب إلي النور

مقدمة الطبعة الأولي

في موضوع حساس وخطير مثل هذا, يتردد المرء آلاف المرات, ولكن الدافع بداخلي أقوي من أي تردد.

فأولاً:- إن لم يستفد الشباب من تجربتي , فبتجربة من يستفيدون؟ خاصة أن الذين خرجوا من قبلي لم يكتبوا وفضلوا الكتمان علي ما اعتبروه فضائح.

ثانياً:- إن كل ما نخشى عليه من النور فهو ظلمة, والظلمة كذب, فإذا كان الموضوع الخاص بالكتابة حق فلماذا نخاف من إظهاره؟

ثالثاً:- كانت المتضادات التي عشتها تصطرع في عقلي وكادت أن تفجره, فأردت أن أضع حداً لهذا الصراع الهائل قبل لئلا أصاب بالجنون.

أخيراً إن أنقدت كلماتي شاب واحد من التطرف الديني, أكون قد بلَّغت رسالتي وأموت مرتاح الضمير.

علماً بأنني لم أكذب في شيء, بل أجهدت نفسي لأصف الأماكن والأشخاص والأحداث كما جرت أمامي. وهل أستطيع أن أكذب في وقائع أصحابها مازالوا أحياء؟!!

فائق زكه بولس
الراهب جاوري ألمقاري سابقاً

رقم الإيداع2001/3546
الترقيم الدولي: 977-286-116-X

مقدمة الطبعة الثانية

مضت حوالي سبعة عشر سنة علي ظهور الطبعة الأولي, وصارت هناك حاجة ماسة لتوعية هذا الجيل إذ أن الطبعة الأولي نفذت سريعاً, خاصة أنه قد ازداد عدد الأفلام التي تعرض قصص الرهبان والسواح بالقنوات الدينية, وكثر ظهور الأساقفة والرهبان في البث الفضائي, وأكثر من هذا وذاك الرسامات التي كان يقوم بها البابا الراحل للرهبان والتي كانت تذاع علي الهواء, كانت بمثابة تشويق الشباب والشابات لحياة الرهبنة, كما تقوم الإعلانات بترويج منتج معين, وهذا يؤدي إلي تضليل الشباب, وإغوائه بحياة الدير, فيزداد عدد الراغبين لتكريس حياتهم في الرهبنة.

من جهة أخري قد تغير المناخ العقلي لهذا الجيل خلال هذه السنوات الأخيرة, فقد كثر استخدام الأسلوب العلمي في التفكير فأزداد الإقبال علي البحث العلمي, واللجوء للتفكير الناقد, فلم تعد عقول هذا الجيل كسابقتها التي كانت تتلقي وتحفظ دون وعي ودون إدراك,بل دون تقصي ودون اقتناع, مما يشجع علي الكتابة والنشر, ويُشجع علي التفاؤل بهذا الجيل أنه سيبذل جهداً في البحث والدراسة, ليقف علي الحقيقة التي لا يدنو منها الغش ولا التزييف.

توثيق هام

أولاً:- حين علم الدير بالشروع في نشر كتاب "اعترافات راهب مصري" أرسل مع صحفي كبير يطلب أن يتفاوض معي, وقد أبلغني الأستاذ "محمد الباز" بذلك فرفضت التفاوض مع الدير نهائياً, فهو يشتري كل شيء ولكنه لا يستطيع شراء تجربتي الإنسانية, وقد أشار الأستاذ "محمد الباز" إلي ذلك مرتين بجريدة "صوت الأمة" الأولي في العدد الخامس عشر بتاريخ 14-3-2001 فكتب بالنص "استدعاه (فائق) الدير بعد أن نشرنا مذكراته وطلبوا منه ألا ينشرها في كتاب فرفض" والمرة الثانية في العدد الثالث والعشرون بتاريخ 9-5-2001 وقال بالحرف الواحد "اتخذ المسئولين بالدير قراراً بعدم الرد (علي المذكرات) وإن كانوا بذلوا جهداً خارقاً مع فائق ليسحب كلامه ويعتذر عنه ويتراجع عن نشر اعترافاته في كتابه الذي يصدر قريباً"

ثانياً:- تم نشر ثلاث مقالات بجريدة "صوت الأمة"
المقالة الأولي بعنوان "الدخول إلي الدير"
الإصدار الثاني- العدد السابع الأربعاء 22 من شوال 1421هجريا 17-1-2001 م
المقالة الثانية بعنوان "رهبان .. وشياطين"

الإصدار الثاني- العدد الثامن الأربعاء 29 من شوال 1421 هجريا 24-1- 2001 م
المقالة الثالثة بعنوان "الهروب من الدير!"
الإصدار الثاني- العدد التاسع الأربعاء 6من ذي القعدة 1421 هجريا 31-1-2001م

ثالثاً:- قام الأستاذ "كمال زاخر موسي" الكاتب المعروف بالتعليق علي مقالاتي تحت عنوان "مذكرات الراهب الهارب مؤامرة من البابا شنودة علي متى المسكين!" بنفس الجريدة. الإصدار الثاني-العدد العاشر الأربعاء 13 من ذي القعدة 1421هجريا 7-2-2001م

رابعاً:- قام القراء بالكتابة وهم غاضبون تحت عنوان "الراهب الهارب مريض نفسياً" الإصدار الثاني- العدد الخامس عشر الأربعاء 19 من ذي الحجة 1421هجريا 14-3-2001م
خامساً:- أخيراً جاء رد الدير بعنوان "دير الأنبا مقار يرد علي اعترافات الراهب الهارب!" بنفس الجريدة. الإصدار الثاني-العدد الثالث والعشرون الأربعاء 15 من صفر 1421هجريا 9-5-2001م

تعليق علي بعض المقالات

أولاً :- مقال الأستاذ "كمال زاخر موسي"[1] واضح أن لديه خبرة واحتكاك بالرهبان, كما أن لديه أفكار جيدة. كتب في العمود الأول من المقالة "الرهبنة شأن مصري وكنسي بأن,.. لأن كل القيادات الكنسية العليا.. الأساقفة والآب البطريرك تُختار من الرهبان ومن هنا يصح القول بأن أي إصلاح للكنيسة لابد أن يبدأ بإصلاح الرهبنة."
في نهاية العمود الخامس كتب:-"ولنبدأ من حيث أنتهي الراهب السابق (جاوري ألمقاري) وهو يحكي لنا تدبيره للهروب من الدير باعتباره مغامرة محفوفة بالمخاطر.. (يوجد) بعض مشاكل التطبيق:-
*) لم يجد البعض راحته وسلامه في ديره, فغير شكله الرهباني, أي أنتقل إلي دير آخر.
*) السعي للخدمة خارج الدير.
*) عدم قدرة بعض ثالث علي التكيف مع الحياة الرهبانية." وقام بتقسيم المجموعة الأخيرة إلي:- ا) المكوث الاضطراري (للبعض في الدير)
ب) العودة للعالم مع الاحتفاظ بالشكل الرهباني.

[1]) رجل أعمال ومفكر مسيحي, كان مغضوب عليه من قيادات الكنيسة من أجل ما نشر من أفكار وأراء جريئة, وقد كان متحيزاً للقمص متى المسكين.

ج) العودة للحياة المدنية." وقد علَّق علي هذا النوع كاتباً "وحُسـب هذا صدقاً مع النفس وعاصماً من التمزق" ونشكر له رأيه هذا.
وعاد وأبدع في قوله "الرهبنة طريق أما الهدف هو معرفة الله" وأضـاف "ومن المنطقي أن يخضـع الطريق للهدف لا أن ينحصـر الهدف في الطريق ويترتب علي هذا - منطقياً أيضاً- أن يظل الطريق (الرهبنة) قابلاً للتغيير حِفاظاً علي الهدف."
أما أخطر ما كتبه المفكر فكان في قرب نهاية المقال حيث نادي ب "فك الارتباط بين الرهبنة في شـكلها التقليدي المتوارث وبين الاختيار لمراكز القيادة العليا في الكنيسة" وبمعني واضح أن لا يُختار البابا ولا الأساقفة من الرهبان.

خلاصة القول الكاتب يعترف بوجود أخطاء بالرهبنة وينادي بضرورة إصلاحها.

ثانيا:- القراء الغاضبون
1) ألتمس لهم العذر فهم يعرفون الرهبنة من الكتب ووعظ المنابر, و هذه عينها هي الصورة الخاطئة التي كانت لديَّ قبل أن أترهب, كما أشفق عليهم فهم مخدوعين ومُضلَّلين ولا يقفون علي الحقيقة.
2) كتبوا عنوان المقالة "القراء غاضـبون من فائق .. والمتخصـصـون يحللون شـخصـيته" أسـمائهم ووظائفهم مكتوبة بالجريدة ليس فيهم متخصـص واحد لا في الشئون الدينية ولا النفسية. من فيهم له تجربة في الأديرة؟!! من فيهم راهب؟!! من فيهم أسـقف أو بابا حتى يكون متخصـص؟!! حتى الكهنة المتزوجين في العالم لا يعلمون ما يدور خلف أسوار الدير ذاك المجتمع المغلق.
3) بنو أحكامهم وتسـاؤلاتهم علي الثلاث مقالات التي اختيرت من الكتاب الذي ضـم 15 فصـلاً وقعت في 180 صـفحة. وقد كانت الإجابات علي تسـاؤلاتهم في تفاصيل الأحداث التي ذكرت بالكتاب. ولم يكن الكتاب قد صدر بعد مما جعلني لا أرد عليهم, فالكتاب سد الطريق علي كل من حاول أتهامي. بل أغلق كل فم.
4) رداً علي الشـماس الذي طلب منازلتي أمام جيش من علماء النفس كتب عني الأستاذ "محمد الباز" قولي "لا أريد شماساً يرد عليّ .. بل أريد راهباً مثلي ومن دير الأنبا مقار ليؤكد أو ينفي ما تحدثت عنه" وقد مضت سبعة عشر سنة ولم يظهر هذا الراهب لا من دير الأنبا مقار ولا من أي دير.
5) فهم الأستاذ "محمد الباز" القصد من نشر مذكراتي وعلق كاتباً "كانت وجهة نظر فائق أنه يريد أن يكسب ثواباً في شباب المسيحية ويحذرهم من الرهبنة التي هي وهم كبير .. وأن يفتح باعترافاته باباً كبيراً لإصلاح الرهبنة وتعديل مسارها."
فهل آن الأوان لأخوتي المسيحيين بعد هذه السنوات أن يفهموا قصدي؟!!

ثالثاً:- رد الدير الذي نُشر بتاريخ 9-5-2001م
جاء ركيكا في مبناه هزيلاً في معناه, لا يشفي غليلاً ولا يستر عورة.

1) لماذا التزم الصمت حوالي أربعة أشهر؟!! (المقالة الأولي 17-1-2001) وقد طلب الأســـتاذ "محمد الباز" من الدير أن يردوا عدة مرات, وأخيراً كتب في بداية المقال "وقلنا ننتظر رداً واحداً نقول بعده رفعت الأقلام وجفت الصـــحف في هذه القضـــية, الرد الذي كنا ننتظره هو رد الدير الذي جعل أذناً من طين والأخرى من عجين, وكأن الموضوع كله لا يعنيه." (العمود الأول)

2) لم يكن لدي الدير رد ولا يستطيع حتى هذه اللحظة ولا بعد اللحظة أن يرد, فهو لا يستطيع أن ينكر قولاً, أو يكذب كلمة, أو ينفي حدثاً, فقد كتبتُ حرف أو حرفين من أسم الراهب صاحب الحدث, ومكان حدوث الحدث, ووقت وقوعه, وقد كتبتُ أسماء وأرقام ومعلومات ومصطلحات بكل دقة, أشياء لا تقبل النقاش ولا المزايدة.

3) وقع الدير خلال تلك الشهور الأربعة تحت ضغط شديد من القراء والمترددين علي الدير وأصدقاء الدير لكي يرد علي المذكرات ويبدو أنه استجاب أخيراً خاصة بعد أن طلب منهم د. "كورينلس هولســمان" الأســتاذ بالجامعة الأمريكية وصــاحب الوكالة الهولندية للأخبار, فقد كتب الأســتاذ "الباز" في العمود الأول علي لســـان د. هولسمان "أنه زار دير الأنبا مقار وطلب منهم أن يردوا علي ما نُشر."

4) كان رد الدير علي طلب د. هولســـمان عجيباً حقاً أنقل ما كُتب بالحرف الواحد "فأخبروه أنهم سيعطونه رداً بشــرط ألا ينشــر في مصــر", فرد عليهم "الباز" قائلاً "مع أن الاعترافات نشــرت لأول مرة في مصـــر وبســـببها اهتزت ثقة عدد كبير من الأقباط في نظام الرهبنة, وكان أولي بالدير أن يرد في مصـــر .. بدلاً من الاهتمام بالرد في الخارج, وبالفعل أرســـل دير الأنبا مقار رداً باللغة الإنجليزية للدكتور هولسمان. جاء فيه:-

5) إن "المذكرات تقع تحت بند التشهير لأنها نشرت بعد 11سنة من ترك الدير." وهذا ضد المنطق فلو كان الغرض التشهير لكان بالأولي النشر فور ترك الدير وليس بعد أن أســـتقر الحال في العمل والزواج والإنجاب كما ذكروا هم. كان الدافع توعية الشباب ودعوة للتصحيح. والآن وقد مضت 27 سنة علي الخروج من الدير هل يقع النشر تحت بند التشهير أيضاً أم التحذير وتصحيح الوضع؟!!

6)أما عن سؤال الدير لماذا لم أذكر شيء بخصوص دير الأنبا بيشوي:-
ا) الثلاث مقالات لا تغط كل الكتاب فقد تم الكتابة فيه عن دير الأنبا بيشوي.
ب) الأحداث التي تُعتبر فاجعات كانت بدير الأنبا مقار وليس بدير الأنبا بيشوي.
ج) لم أمكث في دير الأنبا بيشوي سوي سنة واحدة.

7) كتب الدير في العمود الثاني:- "وقبل إقدامه علي ما أسماه هذا الراهب الهروب من الدير لم يقم أثناء وجوده بإبلاغ شكواه للمسئول الأب متى المسكين حتى يمكن التحقيق في مزاعمه وإصدار الحكم الصحيح علي المذنب طبقاً لقوانين الدير."
ا) تعمد الدير الكذب والمراوغة فكل رهبان الدير يعلمون تصادمي مع أبونا متى شخصياً وأمام الجميع في آخر عام لأنه قام بطرد الراهب المظلوم وأستبق علي الراهب الظالم وبعد شهور أدرك الحقيقة فقال "ضحكوا علي ذقني البيضاء, وطُعنت في ظهري" (يقصد قد خُدِعَ). وقد انتشرت في الدير أقواله هذه.
ب) الأب الروحي علي علم بكل دقيقة كبيرة وصغيرة بالدير فقد كنا نرسل إليه تقارير يومية عن العمل وعن الحالة الروحية.
ج) تم كتابة فصلاً بأكمله (العاشر) عن أخطاء الأب الروحي وليست خطاياه الشخصية, بل ما يتعلق بالنظام العام والضمير.
د) ذهبت لآباء الاعتراف جميعهم واحدا تلو الآخر أشكو حالي وما وصلت إليه.
ه) أصبت بالاكتئاب النفسي وأستدعي الدير الدكتور "رجائي" من مستشفي بهمن للأمراض النفسية وظل يعالجني 9 شهور. فهل كان ذلك تحت (البلاطة) ولم يكن الأب الروحي علي علم به؟!!

8) قد نقل الدير نفس كلام القراء وتعليقهم علي عباراتي (أن الدير لا يوجد به راديو أو تليفزيون ولا جرائد) وسأل نفس سؤالهم فكتب "أذن ما الذي جعله يوافق عن طيب خاطر علي الالتحاق بهذه الحياة."

حين كتبتُ لم أكن أخص المسيحيين الذين يترددون علي الأديرة, ويعرفون الكثير عنها, فهناك مسيحيين لم يزوروا أي دير بعد ولم يعرفوا إلا القليل عن الحياة بداخلها, خاصة في زمن الكتابة زمن صعوبة الوصول للأديرة.

كما أن هناك إخوة لي مسلمين اقتسمت معهم لقمة العيش وشربة الماء ونعيش سوياً علي نفس بقعة الأرض, فمن الواجب عليَّ أن أشركهم في معرفة أحوالي خاصة أنها لم تكن أحوال عادية, وكذلك من حقهم أن يعرفوا حقيقة الرهبنة, ومن الأمانة أن تكون الأمور جلية أمامهم, ولا نخبئ أخطائنا فليسوا بأعداء بل إخوة لنا, فمن الاستقامة أن نقوم بتصحيح الأخطاء لا أن نداريها, يجب أن تُقدم رسالة المسيح بصدق وأمانة وفي النور.

فلهؤلاء ولأولئك كتبت لأرسم لهم صورة عن الخلفية التي تمت فيها الأحداث, فتكلمت عن الحياة اليومية للراهب وبعض قوانين الدير والأماكن بالدير...الخ, فجاء الحديث عن عدم وجود متع دنيوية ليس رغبة فيها فمن غير المعقول ومن غير المنطقي أن أذهب للدير لطلبها, ولكن هذه أحدي مراوغات الدير.

9) خاض الدير في أمور شخصية وكلها اتهامات, فقد كتب أن لديَّ مرض "إيثار الذات" وأيضاً مرض "النرجسية أي الحب الشاذ المفرط للذات والإعجاب بها", وأشياء أخري حتى وصفني بالمرأة الثرثارة التي تثرثر عن زوجها, وقد نسي الدير

قول الأب الروحي لي "أنت أكثر الرهبان اتضاعاً", وشهاداته الكثيرة عني فلم يكن يمتدح في الدير سواي والراهب "وديد" مهندس الخراسانيات. وأكرر أني لم أتعرض في كل ما كتبت لخطايا شخصية لأحد, فهذا لا يفيد القارئ ومن ناحية أخري كلنا بشر ولنا خطايا وأخطاء ولكن تعرضت فقط لما يمس النظام العام أو التدبير بغرض إظهار الحاجة إلي تغيير أو إلغاء نظام الرهبنة ككل إذ ليس منصوص عليه في الكتاب المقدس.

10) أمسك الدير عني المشاعر التي سجلتها من الحنين لأمي وذكرياتي مع الفتيات في سن المراهقة. وأتخذها ضدي.
ا) لو أنصف الدير لعلم أن هذا في صفي وليس ضدي فلو كنت أكذب لما سجلت أقوال ومشاعر تدينني. فلم أتدخل بشيء بقصد تجميل الأحداث بل كتبتها بصدق.
ب) هذه المشاعر والأحاسيس كانت بعد إصابتي بالاكتئاب وضياع الهدف وانحطاط المستوي الروحي في آخر المطاف بالديرين.

11) كتب الدير كلمة تشهير 6مرات إذ لم يجد ما يكتبه, فجعل الباز يكتب قائلا ".. لكن هذا رده (الدير) الذي فسَّر اعترافات فائق علي أنها مؤامرة لتشويه صورة الدير دون تفنيد منهم للاتهامات الصريحة التي ذكرها فائق.

12) وختم الباز المقال بقوله ".. القارئ المهتم يملك من الفطنة والذكاء ما يجعله يفصل ويعرف وجه الحق من وجوه الباطل.

حان الآن موعد السؤال لماذا لم تكتب ضد رد الدير أو تعلق عليه في حينه:-

1) اكتفيت برد الأستاذ الباز عليه خاصة ما كتبه في البند 11و12 السابقين.
2) كنت أعلم أن الكتاب سيرد علي كل إدعاءاتهم بالدليل القاطع وأن لا أحد يفتح فمه بعد صدوره.
3) في ردهم المنشور بالجريدة لم ينكروا حادثة أو ينفوا واقعة.
4) حولوا القضية الموضوعية إلي قضية شخصية كتبوا فيها ما شاءوا.
5) لم يُفند كلامي راهب ولا أسقف ولا أصدر البابا شنودة قراراً بحرماني. مع أنه كان يحب ويغير علي الرهبنة.
6) هل استطاع الدير أو يستطيع أن ينكر أن راهباً انتحر بإلقاء نفسه من الدور الرابع, وانتحر عامل أيضا بالدير, والحادثة الثالثة طُرد راهب من ديرنا فذهب لدير آخر وانتحر هناك.
هل استطاع الدير أو يستطيع أن ينفي أن إهمال راهب تسبب في حرق ثلاث (زهرات) تلاميذ إعدادي والقضاء علي مستقبلهم.

هل استطاع الدير أو يستطيع أن ينكر حادثة بيعه لعجل (نطاح) والمسئولين علي علم بذلك فقام بنطح الدكتور البيطري فأرداه قتيلاً.
هل استطاع الدير أو يستطيع أن ينفي بيعه لمشروع تحسين البقرة المصرية, الأبقار مع البحث للجامعة الأمريكية وقبض الثمن.
هل اســـتطاع الدير أو يســـتطيع أن ينكر أن 20% من رهبانه كانوا يترددون علي مســتشــفي بهمن للأمراض النفســية أو يأت منها دكتور لمعالجة الباقي بالدير. (وقت وجودي به)
هل اســـتطاع الدير أو يســـتطيع أن يُبطل قولي أن الأب الروحي قام بطرد الراهب المظلوم واستبق علي الراهب الظالم.
هل استطاع الدير أو يستطيع إنكار أن راهباً صدم عامل بالسيارة داخل الدير وكان وحيد أبويه فسقط قتيلاً.
هل استطاع الدير أو يستطيع أن ينفي تدني وسوء الحالة الروحية للرهبان, فلم أري راهباً يتوب ولكن رأيت رهبان كثيرين يفشلون.
هل استطاع الدير أو يستطيع أن ينكر الغش في البيع والشراء, وأن هناك قسماً خاصاً بالتوشيش لأقفاص الطماطم, وأن البطيخ الكبير يوضع علي وجه السيارة النقل ومن تحته يوضع البطيخ الصغير.

أخيراً كان أشرف للدير وأكرم أن لا يرد مطلقاً حتى يحتفظ بقليل من ماء الوجه

فائق زكه بولس (الراهب جاوري ألمقاري سابقاً)
5-2- 2018م

1
اعترافات راهب مصري

طفل يحلم بالرهبنة

كانت شمس ذلك اليوم مشرقة دافئة, كنت أتطلع بشغف من خلف شباك السيارة التي تحملني مع والدتي وجدي وأبي إلي القرية عند جدتي, كانت السيارة تسير ببطء شديد بفعل الطريق الذي لم يكن تم وضع الإسفلت عليه, وبدأت عيناي تلتهم ما تراه علي جانب الطريق, لم تكن سنوات عمري تجاوزت الثالثة بعد لكني كنت قادراً علي أن أحس إحساسهم بالسعادة والفرح, بنقلي إلي المعيشة مع جدتي الحنون.

كان قلبي مملوء بالسلام والهدوء.. فلم تكن شرور الحياة قد اقتحمت حياتي بعد, وقبل أن نصل إلي قرية جدتي بدقائق إذ بصبي يلتقط قطعة من الطين الجاف ويصوبها نحو السيارة ويقذفني بها فأصابتني في ذقني, لم أحرك رأسي لأتفادى صدمتها, فلم أكن أدرك أنه ينوي إصابتي, وكنت أتفرج علي ما يقوم به.. وفجأة تبدلت سعادتي بالبكاء والدموع, وسالت الدماء من وجهي فجففوه, وربتوا علي ظهري, حتى أنسي ما حدث, ولكني لم أنسي بل تملكني شعور طاغٍ- رغم صغر سني- بالمرارة, مرارة تحول السعادة في لحظة إلي شقاء بفعل آخر, ليس لك به علاقة, ولم تقترف في حقه أي خطأ.

وصلت إلي بيت جدتي التي كان حنانها لا يوصف, ولم يكن يقل عنه حنان جدي رغم كونه زوج جدتي وليس والد أمي, فقد مات جدي وكانت أمي صغيرة, فتزوجت جدتي من هذا الرجل, كان قصير القامة يلبس البدل بصفة دائمة, ويغطي رأسه طربوشاً أحمر, لازلت أذكر أنفه المفلطح الواقع بين قوسين من التجاعيد, ويديه ذات الأصابع القصيرة الممتلئة, وسبابته اليمني المقطوعة, كان الرجل عالماً بأمور الدين يعمل بالوعظ والترانيم, يقرأ كثيراً ويكتب كثيراً, ولازالت بعض أوراقه التي كان يكتبها بالريشة والحبر السائل موجودة بالمنزل, كان ماهراً في كل شيء, فهو نجار وحداد وصياد, وفوق كل هذا كان مؤدباً أدباً جماً لم أسمع منه لفظاً غريباً, ولا كلمة تجرح الشعور, أما جدتي فكانت تدللني دلالاً زائدا, كنت تسليتهم واهتمامهم ورسالتهم في الحياة في ذلك الوقت.

مكثت في هذا المناخ الرائع عامين تقريباً, كم لعبت وكم فرحت وكم تأملت الوجود من حولي, خاصـــة البحر اليوســفي وجريان الماء به, والحَمَام الكثير وحلاوة مجيئه وغدوه وتحليقه في السماء, وكان يسبيني لون القبة الزرقاء, كان سكون القرية محبباً جميلاً, بعد الإفطار وكوب الحليب أتلقي دروس العلم, حروف الهجاء وشــكل الأرقام ثم وجدت لذتي في مسائل الجمع والطرح, وفي المساء أنتظر "فلة" صغيرتي التي لو نسيت الجميع فلن أنساها.. وكيف أنسي حبيبة قلبي وأول حب في حياتي.

كانت "فلة" صـــبية جميلة ربطتني بها علاقة حب عميقة, كانت تأتيني بهدايا صـــغيرة, وبعض الحلوى تحتضـــنني وتقبلني وأقبلها, وأحيط عنقها الجميل بيديَّ الصغيرتين, تحملني علي ذراعيها ومرة علي كتفيها ورأسها بين ساقيَّ (تسمي طريقة القزيزة), إن حب فلة مازالت رعشته تسري في قلبي وأوصالي, كانت فلة بالنسبة لي هي كل شـيء, عندما كانت تتغيب عني بسبب مرض أو لأي سبب آخر, كنت أحزن حزناً شـديدا وأنتظرها بشـوق وشـغف, وعندما تأتِ بعد غياب ولو كان قصـيراً كنت أقبلها وأعانقها بشدة فقد عادت حبيبتي.

***

تعلمت علي يد جدي الذي كان بجوار عمله بالوعظ يُعلِّم تلميذاً هنا وآخر هناك, كان يشـــجعني ويحضـــر لي الهدايا كلما نزل إلي المدينة, فتعلمت القراءة والكتابة والحســاب وأنا مازلت في الخامســة من عمري وكان جدي يقول أنت "نبيه" وكانت تعني وقتها النبوغ والذكاء والمستقبل العلمي.

من ســـوء حظي أنه لم تكن هناك مدارس بمعظم القرى, وجاء الوقت لأرحل فقد علمت بضـرورة عودتي إلي المدينة للإلحاق بالمدرسـة الابتدائية, كانت أحزان جدتي لا توصــف لأني ســأتركها وكذلك جدي, فقد ألفنا العيش معاً, ولو كانوا يملكون منعي لمنعوني من العودة.

***

تركت القرية وســط دموع جدتي, أما فلة لم تحضـــر لوداعي, تري هل خافت من لحظات الوداع, خاصـــة أنني لن أعود إلي القرية, ولن تراني ثانيةً, وبالفعل لم أراها

بعد ذلك مطلقاً, وزرت القرية وكنت بالغ الرشـــد, وكان جدي وجدتي قد انتقلا, فكان الشـوق يقتلني للمرور بنفس الشـارع الضـيق الذي عشـت فيه, وأن أري منزل جدي وجدتي, ومررت فيه وتخطيته ونظرت إلي بيت فله وحنيني لها يعتصـــر قلبي, ولم يكن يسكن به أحد. ولم أذهب لنفس المكان بعد ذلك.

***

في طريق عودتي إلي المدينة كنتُ أشـــعر بشــيْ من الكآبة وكثير من الغموض والتخوف في أعماقي, أمراً واحداً كان يشـجعني علي الرحيل هو التحاقي بالمدرســة فقد كنت في شوق لذلك, والتي لم أكن أعرف ما هي علي وجه التحديد. وبقدر ما كان استقبال القرية حاراً مبهجاً كان استقبال المدينة باردا فاتراً غَمِّماً.

فهذا أخي الأكبر وكأني أراه لأول مرة , وهذه أختي التي تكبرني بأربعة أعوام, لا أكاد أعرفها...و ذاك الصـغير القابع في حجر أمه والذي جاء إلي الحياة بعدي, وحتى أمي لم تكن تحس بى فهي مهتمة بصــغيرها, وأخيرا أبي هذا الضــخم القاســي الذي يستطيع أن يحطم خمسة رجال بضربة واحدة من يده, فقد كانت قواه الجسمانية خارقة للعادة, كان الشـرر يتطاير من عينيه المخيفتين دائماً, يتكسـر الغيظ تحت أسـنانه, كان وكأنه مرجل يغلي بالغضـــب دون توقف, كنت أســـمع زئيره علي بعد أميال وهو يضـرب أمي وأخوتي.. كان صـراخهم يجعل الجيران يتجمعون بسـرعة ليخلصـوهم من بين يديه قبل أن يفتك بهم ويلفظوا أنفاســـهم, ولكنه كان يرد الجيران مرات رداً عنيفاً فإذا زمجر لا يجرؤ احد علي الاقتراب.

كانت الفوارق بين جدي وأبي كبيرة عظيمة, فقد كان جدي تربوياً بمعني الكلمة, فإذا أحسنت يكافئني, وكم كان المكافئة لذيذة إذا كانت الفول السوداني والذي كان يقوم بتقشيره فلم أكن أقوي علي ذلك بأصابعي. وإذا أسأت وقلما كان ذلك كانت نظرة منه تردني وتجعلني أعتذر, وكانت جدتي تدفعني قائلة:" اذهب قل له أنا غلطان ومش هعمل كدا تاني" فكان يسـامحني ويحملني ويضـعني علي أحدي سـاقيه, لكن أبي كان العنف هو لغته ومنهجه وطريقته, وكنت أتعجب كيف لطفل بحســاسـيتي ورقتي نشــأ في بيئة لينة ناعمة أن يعيش في بيئة قاســية مثل هذه؟ حل فيها الخوف مكان الأمان,

والاضطراب محل السلام, حتى الأم التي من المفروض أن تكون صمام الأمان كانت هي نفسها في غير أمان, فلمن ألجأ ومن يحميني من هذا الأب, والآن أقول أن الرعب الذي رأيته في طفولتي كان كافياً لقتل أي طفل, ولكني أري أن الله أعطاني قوة للصبر والتحمل حتى أكبر.

نعم .. لقد وهبني الله الحياة.

***

انزوت نفســـي المســـكينة فكنت دائماً أبحث كالفأر عن جحر يخفيني من أمام وجهه, أغلقت قلبي الصـــغير فلم أعد قادراً علي أن أحب هؤلاء الغرباء, بالكاد كنت أتعامل معهم وبحرص شديد, كنت كمن خرج من الجنة .. إلي الأبد خرج إلي الجحيم.. فقدت متعة الحياة وأنا ما زلت صغيراً, كان طعام جدتي أشهي طعام ذقته في حياتي, والآن كل شـــيء حتى الطعام رغم أنه من يد أمي ليس له أي طعم.. لم تكن لديَّ رغبة في الطعام أو أي شـــيء آخر, كل ما كنت أتمناه هو التخلص من العالم المخيف الذي أعيش فيه.

***

دخلت المدرسة الابتدائية في سن الخامسة وليس السادسة, لأن أهلي رأوا أن في هذا مكسباً لي, ولم يعلموا أن هذا سيؤثر علي سلباً وليس إيجاباً في عمليتي التعليمية, لم يهتم بى أحد ولم يتابعني أحد , وبعد حوالي عام وأنا في بداية الصف الثاني الابتدائي كان بالمنزل تلميذة بالصف الرابع الابتدائي, ولكنها لم تكن تستطيع قراءة حتى كتاب الصف الأول, فعرضوا علي كتاب فقرأت بسرعة, فقالوا أنه لا يقرأ بل هو يتعرف علي الصور أعلي الصفحة, فقوموا بإخفاء الصور لنعلم إن كان حقاً يستطيع القراءة, وتركوا لي الكتابة وقالوا لي أقرأ فقرات " بيت سوسن.. بيت نصر.. كلب سوسن.. كلب نصر..", فتأكدوا من قدرتي علي القراءة وتركوني في حالي.

كانت والدتي هي الوحيدة التي تتابعني من حين لحين ولم تدخر جهدا في متابعتي دراســياً, فقد كانت تراني مظلوماً, كما كنت أراها مظلومة لا تســتطيع أن تفعل أكثر

مما تفعل, فهي تحيك ملابس الجيران لتوفر لنا بعض متطلبات الحياة, رغم أن دخل والدي لم يكن قليلاً ولكنه كان بخيلاً مقتراً علينا.

بدأت آخذ في الأسـرة مكان الضـعيف, مكان (البنوتة) الذي يبكي لأتفه الأسـباب, وعندما كبر أخي الأصغر مني بدأت أمي توزع اهتمامها علي الجميع, وبدأت علاقتي معها تأخذ اتجاه جديد, كان ذلك في التاسـعة من عمري حول (طشـت) الدقيق, فعندما كان يحل موعد الخبيز (البتاو) يحل الفرح فنركب (الكارو) محملين عليها الغلال إلي المطحنة, وهناك نشـــتري (البطاطا) المشـــوية والحلاوة العســـلية, تمنيت أن أري المـاكينـات التي تحرك الرحى الكبير الـذي يقوم بطحن الغلال, وذات يوم كلفوني بالدخول أسـفل الماكينات لعمل ما, فدخلت وسـط الأصـوات العالية الضـخمة ورأيت التروس الكبيرة, والبكرات المهولة , والسـيور العريضـة, فخفت وتخيلت نفســي بين هـذه التروس والعجلات تفرمني فرمـاً فخرجـت وتخليـت عن رغبتي في رؤيـة الماكينات نهائياً.

كنت أجلس بجوار أمي وهي جالسة في هيبة تنخل الدقيق في المنزل, وتسمي باسم الرب وتطلب البركة وتبدأ في سـرد قصـص الأنبياء والقديسـين علي مسـمعي وعلي مسمع أخي الأصغر.

لحظتها كان يتغير وجهها فتكسـوه المهابة وتتغير نبرة صـوتها وكأنها تصـلي"
ثلاث فتية عبرانيين لم يخافوا أمر الملك ولا سطوته ولا أتون النار المتقد
رفضوا السجود لتمثال الذهب, لأنهم يعبدون الله الواحد الحي..
فألقوهم في النار فلم يحترقوا.. ولا أتت رائحة النار علي ثيابهم,
كان داود صغيراً وكان خصم جيشهم عملاقاً خاف منه كل الجيش نزل داود لمقاتلته معتمداً علي الله, وقال له أنت تأتيني بسيف ورمح وأنا آتيك باسم رب الجنود, اليوم سيحبسك الرب في يدي,
وقذف حجراً من مقلاعه فأصاب جبهة جليات العملاق فسقط العملاق علي الأرض وأنتصر الضعيف المتكل عي الله علي القوي المتكل علي ذاته وقدراته.

لا استطيع وصف حالي آنذاك, كنت أصغي بكل كياني, فتهيم روحي وينطلق خيالي ليجسد السرد, ويري الكلمات صور وأشياء وأشخاص تتحرك وعبادة وإله قريب رحيم محب.

***

كان إحساسي بما هو خارجي مرتباً ومتدرجاً, فأول إحساسي كان باللذة الحسية التي تمثلت في الطعام, ثم في الثالثة من عمري عرفت اللذة النفسية العاطفية إحساس القلب بالحب والحنان, كان حب (فلة) يلهيني حتى عن الطعام, وفي الثامنة من عمري عرفت اللذة الروحية, والتي فاقت علي كل لذة فشُغلت عن ذكريات حب (فلة) كنتُ أتحرق شوقاً لسماع قصص العهد القديم.. كيف قاد موسي الشعب لعبور البحر الأحمر, كيف انشق البحر وغرق فرعون, وتمنيت بكل قلبي لو كنت مع الشعب في البرية وأتناول الخبز الذي من السماء (المن) والسلوى.

وحول (الطشت) أفصحت أمي عن مكنونات قلبها وشوقها القديم, وقالت بشيء من الحسرة والندم :"تمنيت أن أترهب وألتحق بالدير, ولما طلبت ذلك رُفض الطلب لأني كنت دون السن القانونية للترهب, وحينما تقدم لي والدكما وعلمت أن والده قس قبلته لأجل والده- لم تكن تعلم المسكينة أن أبناء الكهنة أشر من غيرهم- وقلت في نفسي أن حياتي مع أبن الكاهن لن تختلف كثيرا عن حياتي في الدير, فسوف أتمكن من العبادة والصلاة والصوم. واستحالت حياتها إلي جحيم مع أبن الكاهن.

شوق أمي وحسرتها علي الرهبنة كانتا أول بزور للرهبنة تُزرع في القلب الصغير, وجد هذا الغرس بيئة صالحة ينمو فيها, فالكنيسة أفضل وأقوي بيئة لغرس وتنمية بزور الرهبنة, فهي تقوم بدفن البزور وتغطيتها, وحمايتها من الطيور, والجفاف والآفات, تسقيها تعاليم النسك وتطعمها وسائط الخلاص, وتحيطها بسياج التعصب, ولاسيما مدارس الأحد التي شبعت فيها, كم سمعت وكم قرأت وكم تأملت وكم بكيت وكم اعترفت وكم تبت.

كانت تعاليم الكنيسة ولا تزال تمجد الرهبنة والرهبان, وتقدس البتولية (عدم الزواج), وتفضل البرية (المعيشة في الصحراء) علي العيش في العالم (في المجتمع),

كان السنكسار[2] يحمل- كما كنت أري- أروع وأجمل القصص عن الرهبنة والقديسين. كان السنكسار يشير وينبه وبستان الرهبان يجذب ويدفع.

***

جاء دور أخي الأكبر..

استكمل دور أمي في التربية الروحية, كانت قدماي قد اشتدا واستطيع أن أسير معه في الشـوارع وكلي آذان صـاغية لقصـص الكتاب المقدس, وكان أخي متطرفاً, وقد قرأت في كتاب أن قسوة الآباء تدفع الأبناء إلي التطرف الديني, وكنت أذهب معه إلي الكنيسة, فقد كان معلماً في مدارس الأحد, طالت صلواته وكثر صيامه, وازدادت كتبه وقراءاته, واشـتد زهده وعزف عن الحياة فصـار راهباً في ثوب علماني, وجعل من حجرته قلاية, وكانت الرهبنة حلمه وأمله والبرية شوقه ووجهته, كان الفرد الثاني في الأسـرة يتمني ويحلم بالرهبنة, ولكنه فجأة غير طريقه وطلب الزواج وتزوج وأنجب.

***

كانت هذه الأحداث حتى فترة مراهقتي التي كانت عنيفة علي نفسي, قبلها كان كل شـيْ تقريباً يخضـع لعقلي.. أما في تلك الفترة فقد ظهر مارد في داخلي عملاق, لا يسـمع لصـوت العقل ولا يرضـخ لضـمير, أنها الغرائز التي تمردت علي دعتي وسـكوني ولطفي وهدوئي.. كيف أتضـع عقلي وترك مكانته للغريزة, فصـرت أحلم بتتميم شهوات الجسد, وأطلقت العنان لأفكاري والخيالات الجسدية, وأقمت حوارات ومداعبات مع البنات من جيراني وعلاقات, وقد جرت في نفسـي حروب هائلة بين عقلي وغرائزي بين ضـميري وعواطفي بين تربيتي واحتياجاتي, في النهاية تأكدتُ أنه مهما بلغت متعة الجسد فلن تصل إلي متعة الروح.

وأخذت المراهقة سنواتها وتلطخ الجسد بالأوحال, وبلغ حنيني للعودة إلي الله مداه, فكنت أتوب وأنكص علي عاقبيَّ, أتقدم في العبادة وأرتد خائباً, أسـير مع الله أياماً وسـرعان ما ألتفت إلي غرائزي, وربما نظر الله وأشـفق عليَّ في تخبطي وحيرتي

[2]) كتاب يحوي سير القديسين والشهداء ومناسبات وأعياد كل يوم بيومه طوال السنة (حدث في مثل هذا اليوم...)

وســـمح بأن أتقابل مع أب اعتراف راهب من نفس الدير الذي ترهبت فيه, فتغيرت حياتي كلية فقد وقف بجواري وســندني, وكان عمري لا يتجاوز الحادية والعشــرين وكانت الحياة جيدة إلي حد بعيد.

لكن الخطر كان ينتظرني

فأب اعترافي راهب, وإن لم يحرضـــني علي الرهبنة بأقواله فبمثاله, فهو رجل تقي كل التقوى, ومهما حاول الراهب أن يكون أميناً في الحيادية في توجيهاته, ولا يتطرف إلي الرهبنة فلن يفلح مطلقاً, وحتى أكون أميناً في كتابتي أقول أن أب الاعتراف لم يدفعني دفعاً مباشـــراً للرهبنة, ولا للتفكير فيها بل علي العكس كان يوصيني بالزواج, ولكني كنت قد أحببتها منذ نعومة أظفاري!!

كانت قراءاتي تزيدني تمسكاً بها يوماً بعد يوم, ولم تكن عيناي تقع إلا علي الآيات التي تشير إليها[3], رغم أنه لا توجد ولا آية واحدة صريحة أو غير صريحة تحرض علي ذلك المسلك, فربما كان خيالي الذي هام بها كان يرسم من حروف الآيات طريقاً نورانياً جذاباً بدايته الدير ونهايته السماء بكل أمجادها, بداية الطريق الخروج للبرية ونهاية الطريق الوجود الدائم في حضرة الله.

وقعت عيناي علي رسالة القديس بولس الأولي إلي أهل كورنثوس الإصحاح السابع "أما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها, فحسن للرجل أن لا يمس امرأة.. ولكن تجنباً للزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها.. **إِنَّ غَيْرَ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الرَّبِّ وَهَدَفُهُ أَنْ يُرْضِيَ الرَّبَّ. أَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْعَالَمِ وَهَدَفُهُ أَنْ يُرْضِيَ زَوْجَتَهُ.. فَاهْتِمَامُهُ مُنْقَسِمٌ. كَذَلِكَ غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ والعزباء تَهْتَمَّانِ بِأُمُورِ الرَّبِّ وَهَدَفُهُمَا أَنْ تَكُونَا مُقَدَّسَتَيْنِ جَسَداً وَرُوحاً. أَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْعَالَمِ وَهَدَفُهَا أَنْ تُرْضِيَ زَوْجَهَا.. إِذَنْ، مَنْ تَزَوَّجَ فَعَلَ حَسَناً، وَمَنْ لاَ يَتَزَوَّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ.**" وقد وصل القديس بولس لقمة تحريضه علي الرهبنة إذ قال "أريد أن يكون جميع الناس كما أنا" أي بدون زواج.

طرت بهذه الآيات وبدورها طارت بى إلي عنان السماء..

[3]) كان هذا لعدم المعرفة والدراسة الأمينة للكتاب المقدس. فقد طيعنا الآيات لتخدم أغراضنا حتى ولو لم تكن كذلك. وفسرنا آيات وكأنها تحرَّض علي الرهبنة

ليس هذا فقط فمن المواقف التي بالإنجيل ما ألهب قلبي وعقلي بشـــدة, فقد قال المسيح لمتى العشار كلمة واحدة "أتبعني" "follow me", فترك كل شيء وقام وتبعه, وفهمت - خطأ - أن المسـيح يقصـد ترك الأصـدقاء والأهل والعمل والزواج خاصـة والذهاب إلي البرية

***

كان دافعي لطريق الرهبنة هو الحب الإلهي الملتهب كالنار في كل كياني, الحب القوي العميق المؤمن الواثق, ذاك الحب الذي حول "موســي الأســود" القاتل اللص الزاني إلي قديس, "ورابعة العدوية" إلي عابدة ناسكة تهيم في حب الله.

كان لي أب اعتراف غير الراهب قس علماني متزوج, صـــرحت له برغبتي في الرهبنة, فرفض الفكرة من أساسها, بل حذرني من مغبة السلوك في هذا الطريق, ولم أسمع له.. وعندما رجعت من الدير وقابلته بعد حوالي خمسة عشر سنة تذكر كلامه لى وقال "ألم أحذرك؟" أما الراهب قال لي أســلك طريق الزواج فلدينا نخبة من الشــباب المتزوجين وهم علي درجة كبيرة من التقوى والإحســان والبر, ولم يكن لديَّ عقل لأفهم كلامه علي حقيقته, بل قلت في نفسي لعله يقول ذلك ليخلي مسؤوليته في قرار رهبنتي, فلو دفعني للرهبنة لتحمل تجاهي وأمام الله مسئولية خطيرة.

أما موقف والدتي فكان معروفاً مســبقاً, وكذلك موقف أختي, أما الوالد فكنت لا أشـركه منذ صـغري في قراراتي واتجاهاتي, ولما علم بالأمر كان رافضـاً له لكنه لم يحاول منعي, أما عن بلدتي فكانت ولا تزال في منتهي التدين, فلا زالت تشـيد بسـيرة الأستاذ "رمسيس نجيب" المدرس الفنان والتي لازالت رسوماته وأيقوناته معلقة بكنائس البلد, هذا خرج إلي البرية وترهبن وقد أعطاه الله موهبة أخراج الشياطين, وسمي أبونا "أنجيلوس", وقد توفي منذ ثلاثة أعوام[4] تقريباً.

كانت مجموعة الشـباب التي أنتمي كبيرة, كنا نسـهر حتى الصـباح في الكنيسـة مصـلين وعابدين, وقد ترهب من هذه المجموعة أكثر من خمســة أشــخاص, وتكرس (أي عاش بدون زواج للخدمات بالكنيســة) أكثر من خمســة أشــخاص, وحتى أقراننا من الشـابات منهن من ترهبت ومنهن من تكرسـن, وفي نهاية المطاف منا من فشـل

4) وقت كتابة هذا الكتاب 1998م

وعاد والبعض مازالت الأمواج تلاطمه وتحطمه, وهو يلاكمها بقدر قوته, وقد قال أحدهم " وسترجع يوماً يأبني مهزوماً مكسور الوجدان, وستعرف بعد رحيل العمر أنك كنت تطارد خيط دخان" وحتى هذا لم أسمع له, وعندما أسمع الآن نفس الفنان وهو يردد نفس الأغنية, أتحسس قلبي بأصابعي فأجد به كسراً وشرخاً عظيماً حقاً مكسور الوجدان.

تطرفت قبل ذهابي للدير فلا إذاعة ولا تليفزيون ولا مجلة ولا جريدة, فقط كتب دينية, وكنبة وحجرة مغلقة وصلوات عميقة وقراءات كثيرة وصيامات أكثر.. كانت لديَّ دوافع قوية لسلوك طريق التدين كما كانت لدي الكثيرين, ولكن هذه الدوافع كانت تحتاج إلي توجيه سليم لكي تسير في الطريق حسب مشيئة الله, وهو خدمة الآخرين, فالمسيح اختار تلاميذ لا ليرسلهم لبعض الحفر في الجبال بل ليبشروا بملكوت الله, وينادوا بالتوبة, وليس تلاميذه فقط هم المدعوين لهذا العمل بل كل من يؤمن به, وللأسف الشديد الكنائس التقليدية[5] تبشيرها في المقام الأول بالرهبنة وعظمة الرهبنة, مخالفة بذلك الحق الإلهي المكتوب بالكتاب المقدس, أما نحن كشبان ملتهبين بحرارة العبادة من يصحح لنا عقولنا. وليس لنا دراية كافية بالكتاب المقدس.

البعض منا ينتظر من الله علامة علي موافقته للذهاب للدير, فيجد آية في الكتاب كما ذكرت, يفسرها هو أو تفسرها الكنيسة علي هوي الرهبنة و وربما يسأل أب اعتراف أو مرشد روحي(تُطلب منه المشورة في الأمور الروحية), أو يقوم هو بنذر نفسه وربما يكون النذر مشروطاً (إن أنقذتني يارب من كذا فسوف أهب لك حياتي وأذهب للدير) أو من شدة شغفه بالرهبنة يحلم حلماً ما, وما أكثر ما حلمنا بالرهبنة.

في اختيار مصيري مثل هذا لا يصح إطلاقاً الركون أو الوثوق بمثل هذه الأشياء فالخطأ فيها قاتل ربما ينهي علي الحياة برمتها - سوف نتعرض لشيء من هذا القبيل- فيضيع الشخص وتضيع حياته ما أخطر هذا القرار.

قص علينا الأب الروحي كيف أعلن الله له وشجعه علي أن يترهب فقد كان مسافراً بالقطار وغفا غفوة رأي فيها حلماً وإذ به يقرع علي باب هائل عتيق جداً كساه التراب

---

[5]) الأرثوذكسية والكاثوليكية

وعششت فيه العصافير وضربت فيه العناكب بيوتاً وخيوطاً, ولم يفتح منذ زمن, واخذ الأب الروحي يطرق هذا الباب, فظهر له ملاك وحذره من الدخول من هذا الباب, ولكن الأب الروحي أصر علي الدخول فقال له الملاك "خلف هذا الباب طريق مملوء بالأشواك والمتاعب والصعوبات والصدام والحرب والمرارة" ولكن الأب رغم كل هذا دخل..

وفسر لنا حلمه قائلاً أن الرهبنة الأصيلة لم تكن معاشة في ذلك الوقت ومنذ زمن بعيد لم يسلك فيها أحد, وأن الرب اختاره ليحي رهبنة القرن الرابع الميلادي, ويكون أباً لرهبان كثيرين, أما الرهبان الذين سبقوه والموجودين في زمانه فكانوا جماعة من الجوعي الجهلة ذهبوا للأديرة ليجدوا مأوي ومأكل.

كان هذا الحلم وهو نائم في القطار, ألم يكن هناك بائع مثلجات يضرب الزجاجات بالمفتاح فيستيقظ الأب من حلمه الذي جلب لنا هذا الدمار؟ أو ينادي آخر بالمسليات فيزول عن أبونا ذاك الكابوس المريع المملوء عجرفة وكبرياء؟ أو يسقط عليه قسط من المش الصعيدي يكون موضوعاً بالرف أعلي رأسه فيستفيق من حلمه علي رائحة المش؟

***

كانت شهوة قلبي الرهبنة وظل الشوق يزداد لمدة ثلاث سنوات, وبعد خمسة سنوات رهبنة كنت أحلم أحلام عن الرهبنة, فمثلا كنت أحلم أن قطار الرهبنة علي الرصيف, وعندما أقوم بالجري للحاق به يفوتني فأقوم فزعاً من النوم لأجد نفسي لابساً ثوب الرهبنة, طالقاً لحيتي وشاربي بين جدران قلاية فأشكر الله في يقظتي أنه حقق حلمي.

قبل دخول الدير تعبت كثيراً في الخدمة العسكرية خدمات بالليل وعمل شاق بالنهار, بالإضافة إلي النواهي والأوامر وظلم البعض للبعض, ولم تعد هناك فرصة للصلوات وحضور القداسات زد علي ذلك الحاجة المادية فمرتب العسكري كان ستة جنيهات(1981) بالكاد تكفي مواصلات, فضعفت حياتي الروحية, فتبدلت المشاعر وأرتد قلبي لصاحبتي بالكلية, وزادت رغبتي في الزواج, ولكني قلت في نفسي أن هذه مشاعر عارضة نظراً لضيق الظروف التي أعيشها, ولابد أن أتمم وعدي لله فقد قلت له" بما أنك مت من أجلي أنا أيضا سأعطيك حياتي سوف أقدمها لك في الدير" لابد أن أتمم رغبتي, شحذت إرادتي ورتبت حقيبتي وخرجت من الجيش إلي الدير مباشرة.

واخترت ديراً بعينه.. يتميز بالقسوة والعنف والانضباط وهو يناسبني, فقد كنت قاسياً عنيفاً مع نفسي, كما كان الدير يمتاز أيضاً بأن الرهبان لديهم أعمال يقومون بها, أعمال إجبارية, وثالثاً أب اعترافي يعيش فيه ورابعاً الأب الروحي الذي كنت أهيم بمؤلفاته وأتناول كتبة كطعام يومي هو الأب الروحي للرهبان, وخامساً لا يوجد اتصال بين رهبانه وبين الزائرين العلمانيين, وسادساً لا يُختار من رهبانه من ينزلون

للعالم للخدمة (الوعظ أويُرسـم منهم أسـاقفة وكهنة), ونظافته وحسـن ترتيبه, كما أني ترددت عليه أربع سنوات.

أخيراً اخترت هذا الدير بسـب عمي عقلي وقلبي عن حقيقته وحقيقة الرهبنة ككل!!

2

اعترافات راهب مصري

رهبان وشياطين

أيام الشقاء بالدير

"وأيضاً رأيت تحت الشمس الجور في موضع العدل, والظلم في موضع الحق"
(جامعة6:3 ترجمة كتاب الحياة)

هل كانت الرهبنة بالنسبة لي مأساة؟
نعم كانت مأساة بكل معني الكلمة, وأكثر مما تحمله الكلمة من معني!!
لقد كان حبي لمصر فوق كل تصور, فاق حبي للوطن حبي للحياة نفسها, أذكر أنه عندما كنت في الجيش كنت أتمني من أعماقي أن أستشهد في سبيل مصر, كنت أشعر بحبي لمصر إلي الدرجة التي تسيل فيها دموعي, نعم كنت مصرياً هكذا تربيت وتلقيت تعليمي حتى الجامعي.

عندما عشت في الدير تم عزلي عن العالم, فأصبحت لا أحس بمصر ولا بحب مصر, وبعد وقت تزعزعت ثقتنا في الدير, وهذا ألمَ نفسي وأي ألم, عدم الانتماء شيء صعب في هذه الحياة, أن تحس أن لا وطن لك تنتمي إليه وتفخر به وتموت من أجله إذا لزم الأمر, ولا مكان تحبه تختلف إليه أو تعود منه, إن الإحساس بعدم الانتماء إحساس قاتل ولا يعرف ضراوته إلا الذي جربه وعاشه.

أنهيت الخدمة العسكرية بتاريخ 1-7-1981, بشهادة تقدير قدوة حسنة, أعطاني الله أن أكون كذلك في كل شيْ تقريباً, في العمل في الخدمة في الرماية (المركز الأول), كانت الملابس العسكرية فخراً واعتزازا لي, خرجت من الخدمة العسكرية مباشرة إلي الدير الخدمة الدينية, هذه التي قدستها منذ طفولتي وانتظرت أن أنهي تعليمي والخدمة الوطنية لأتفرغ لها, بل لأكرس كل حياتي لها حتى أخر لحظة من العمر.

ذهبت إلي الدير لأقابل آبائي الروحيين, والأب الروحي لهم, وهناك تلقيت تعليمي الجديد ودروس الحياة الروحية, كنت أتلقي تعليمي علي يد معلمين أكفاء, وكنت من أبرع التلاميذ وأشدهم ذكاء ودقة, فحفظت الدروس عن ظهر قلب وقمت بتطبيقها حرفياً.
كان التعليم الأول للمبتدئين ينص علي نسيان العالم الذي تركناه بكل ما فيه ومن فيه, ننسي الأم والأب والأخت الحنون, والأخ الصديق, والصديق الأقرب من الأخ, كنت أحب أصدقائي مثل نفسي, ننسي عملنا ومدارسنا, ننسي النيل بجماله الذي لا ينسي, ننسي كل شيء وحتى أنفسنا, نذيب أنفسنا لخدمة الدير والرهبان, فهذا هو الوطن الجديد, ولم تكن بأي حال خدمة لله بل كانت خدمة للآباء الروحيين والرؤساء.

علمونا أن ولائنا ووفائنا للوطن يتحول إلي الدير, حب الدير وخدمة من فيه غاية عظمي, وأن أي اتصـــال بالعالم خارج أســوار الدير ســوف يدمر الحياة الرهبانية للراهب, فسيخسر الحياة الأبدية التي هي هدفه وكل سعيه.

حدث فعلاً أن قدســنا الدير وتراب القديســين, فقوانين الرهبنة قادرة علي قطع الراهب عن كل شــيء, فالجرائد لا تصــل ليد الرهبان الصــغار, ولا الإذاعة وعيب خطير إذا وقعت عينيه علي مجلة, و لكن مســموح للآباء الشــيوخ فقط, ولا يوجد تليفزيون بالدير, ولا يســمح للرهبان بمقابلة أصــدقاءهم, ويفضــل عدم رؤية أهله فالحنين يجر الراهب إلي خلف, وكنت علي علم بكل هذا قبل أن أترهب ولكني ذكرته, لكي يحيط القارئ علماً بخلفية ما يقرأ.

كيف جردونا من المشـاعر الإنسـانية, والمسـيح نفسـه المثل الأعلى لم يكن مجرد منها حتى وهو في أصــعب حالاته وهو ممزق علي الصــليب ينزف في لحظاته الأخيرة, أوصــي تلميذه يوحنا بأمه بأبلغ ما تكون الوصــية "هذه أمك.. وهذا أبنك" فضــمها يوحنا إلي أهله, وحين مات حبيبه لعازر وذهب ليقيمه من الموت بعد أربعة أيام بكي يسوع, ومهما كان دافع البكاء فهو في النهاية دافع إنساني بحت.

***

كما ذكرت قبل دخولي الدير.. كنت متديناً جداً أتوق للحياة الدائمة مع الله, حين كنا بالجامعة كان لنا صديق يتردد علي الأديرة ويعرف الرهبان, يأتِ لحجرتنا ليقص لنا بين الحين والآخر بعضـاً من الطرائف التي حدثت أثناء وجوده بالدير, ويفيض في وصــف الرهبان وعطفهم وودهم ووداعتهم وتســامحهم.. وعظمة أعمالهم وقدرتهم علي المعيشــة مع الله دون زاد دنيوي, كان له أســلوبه المشــوق اللذيذ, فيجعل قلبي يضـطرم ناراً لرؤيتهم, ويلتهب شـوقاً للتعرف عليهم, فللرهبنة بريق خاص لا يعادله أي بريق.

العطلة الصـيفية أقضـيها أو أكثرها في الدير أعمل بلا أجر, يقابلني الرهبان ببشـاشـة ويعاملوني بلطف شــديد, ومودة غير عادية, لذا كنت أحرص أن أســافر للدير فور الانتهاء من أخر امتحان, وحين كنت أغادر الدير كنت أغتم جداً, وأحس بالأســى والحزن لمفارقة الرهبان, والمكان الذي أحب, لا أقوم بتوديعهم لكي لا أضــعف وتسـبقني دموعي أمامهم, وقد عبر أحدهم أثناء خروجي وقال :"فلان لا يتكلم لكي لا يبكي"

لكن الحال تبدل كثيراً حين ذهبت للترهب, فقد تصادمت بعد أيام قلائل بأحد المسئولين عن اختبار المتقدمين للرهبنة, فقد لحقني للترهب رجل ثم أتي بعده شــاب وكنت في غاية الفرح بهما فرغبتي كانت أن كل البشــر يذهبون للأديرة للترهب, وتم إخلاء سبيل الشاب, فحزنت وسألت عن السبب فقالوا لأنه حاصل علي تعليم متوسط؛ وهنا قلت للشيخ بحزم وعزم :" وهل نعمة الله لا تعمل إلا في أصحاب المؤهلات العليا؟!! الله ينظر إلي القلب لا إلي الشهادة الدراسية!! ومن من آباء الرهبنة وقادتها كان يحمل

شهادة من أي نوع؟!! ألم يكن أنبا مقار جمالاً يبيع الملح؟!! وتلاميذ المسيح ألم يكن من بينهم صيادين سمك ومنهم من كان أمي لا يعرف القراءة والكتابة؟!!" وما أن خرج حرف تاء الكتابة من فمي حتى أنفجر غاضباً صائحاً هائجاً ملوحاً مهدداً, حتى سمع الدير كله صراخه :"أنت لك أفكار غريبة!! واتجاهات مشكوك فيها, أنت لا تصلح للرهبنة في ديرنا, ابحث لك عن دير آخر" وقام وانصرف بحدة شديدة.
وظل صراخ هذا الأب عالقاً بأذهان الرهبان, وقد ذكروه لي بعد تركنا للرهبنة.

كان صياح الشيخ لأسباب: الأول خيبة أمله بى فقد كان يأمل ازعاني وخضوعي. أم السبب الثاني, فالمنطق الذي تكلمت به ولا يستطيع رغم أنه كان راهباً قبل أن أولد بسنوات أن يرد لي مرداً علي ما قلت. أما السبب الثالث فهو كوني أفكر الشيء الذي لا تحبذه الرهبنة إطلاقا, فهذا النوع لا يستكمل الطريق, والأمثلة كانت موجودة. أما السبب الرابع خطورة وجود عقل لدي راهب ربما أفكاره تستحث أذهان بعض الرهبان أن تؤدي عملها وتعمل, وهذا ضد أهم مبدأ في الرهبنة "الطاعة العمياء وبدون عقل" لهذه الأسباب كان صياح الشيخ وهياجه.

لم يكتف الشيخ بهذا بل قدم تقريراً سيئاً بشأني لدي الأب الروحي, وعرف الآباء ما حدث, وكل من يلتقي بى يقول نفس العبارة:"أبونا الكبير زعلان منك".

أدركت وقتها أن لي أفكاراً مغايرة لأفكار الدير, وصدمتي في الشيخ كانت كبيرة, فقد ظهرت تفاهة شخصيته بالإضافة إلي استبداده, فكتبتُ إلي الأب الروحي:

"أنني قدمت للرهبنة للعشرة مع الله, وبدافع الحب الذي أحسه تجاه جلاله, وأنا لا أطمع في شيء من وراء الرهبنة, لا في زيها ولا في كرامتها, ولو وقفت الرهبنة عند حد الزى والكرامة لصارت كريهة في عينيَّ"

أعتبر الأب الروحي أسلوبي خروجاً عن الأدب واللياقة في مخاطبته, فشكي مني لكثيرين, وأصبحت في موقف لا أحسد عليه, وبدأت أضطرب وأشك في نفسي هل أنا علي حق أم الرهبان علي حق.. هل أخطأت في حق الرهبنة والأب الروحي..
جفت معاملة الرهبان وتحولت بشاشتهم إلي عبوسة, وأدركت أني مرفوض من الجميع, واعتقدت أن قرار الطرد كان وشيكاً, وأن لي ساق داخل الدير ليتني فقدتها وأخري خارج الدير ياليتني لم أسعي لإدخالها, ولكني سعيت جاهدا لذلك, وكان علي الإذعان والطاعة رغم أنفي لتمسكي الشديد بالرهبنة, وكنت أقول في نفسي لو ابتعدت عن مسيرة من سبقوك في الطريق الروحي فسوف تتيه وربما تهلك هلاكاً أبدياً.كان ذلك وأنا مازلت في ملابسي العلمانية.

قبل أن يستقر الحال بى في الدير سمعت أن صديق المدينة الجامعية, والذي كان يهيم شوقاً لأصدقائه الرهبان تخرج من كلية الهندسة والتحق بدير بالبحر الأحمر, وألحقوه بالمطبخ في فترة الاختبار, وانفجرت فيه أنبوبة بوتاجاز صغيرة, واشتعلت النار فيه ولفوه بالأقطان, وكان جلده يتساقط, وبعد ثلاثة أيام توفي متأثراً بحروقه, وحزنت وفرحت, حزنت لشبابه فقد كان في مقتبل العمر, وفرحت لأني اعتبرته شهيداً.
بعد سنوات من العذاب في الدير رأيت أن هذا الحادث وقع بتدبير من الله, لكي يقصِّر أيام الشاب وسنواته في الدير, ارتاح صديقي فقد أشفق الله عليه من الويلات التي كانت ستأتيه, أتته النيران دفعة واحدة فاستراح.. لكني كنت أحترق بالنار كل يوم, مات صديقي مرة واحدة ولكن الموت الأسود البطيء كان يلتهم نفسي وروحي وجسدي كل حين.

كانت هناك أيام سعيدة بالدير, ولكنها كانت خفيفة سريعة قليلة, وكانت معظم أيام الدير تعيسة ثقيلة بطيئة, تعاستها كانت تمحو آثار سعادتها, عندما اشتدت بي الخطوب وألمت بى التعاسة كنت أقول ياليتني خرجت من الدير بعد صدامي معهم, أو يا ليتهم طردوني, ولو كان للأيام أن تعود للوراء لتركت لهم الدير وهربت عارياً حتى من ملابسي, ولأدميت قدميَّ وكسرتها حتى لا تخطو خطوة تجاه الدير, ولمزقت قلبي كي لا يحب أو يشتهي الرهبنة, علمتني تجربتي في الدير أن هناك أخطاء بسيطة تدفع ثمنها في الحال وينتهي الأمر, فثمنها غير مكلف, وأن هناك أخطاء كبيرة تظل طول العمر تسدد في ثمنها, وربما تدفع حياتك ثمناً لها.

رغم كل ما كان من حب للرهبنة, ومكثت خمس سنوات أفكر فيها, واعتقدت أنها مدة كافية لاتخاذ مثل هذا القرار ودراسته؛ إلا أنني خُدعت فيها..

"فالرهبنة تشبه عذراء جميلة جداً, ينم منظرها عن العفة والقداسة, سألت عنها فوجدت جيرانها يمدحونها, والشعب يطوبونها, والذي لا يعرفها يشتهيها, فالتهبت شوقاً للاقتران بها وتزوجتها, وكانت المفاجأة أنها امرأة فاجرة عاهرة, سرعان ما تحولت إلي أخطبوط لف أذرعه حولي وشل حركتي, فلم أستطع حتى الصراخ.. وأخيراً التهمني التهاماً."[6]

كلما مرت السنوات أتأكد أني كنت علي حق في صدامي معهم, فقد قبل الدير قديما مؤهلات متوسطة وبعضهم في غاية الأمانة والإخلاص للأب وللدير, علماً بأن أنطونيوس ومقاريوس ومعظم- إن لم يكن كل آباء الرهبنة- أميين لا يعرفون مجرد القراءة والكتابة.

[6]) الكاتب يعتذر عن كل كلمة نابية ولفظ غير لائق, تم كتابته وقت كتابة الكتاب, ولكن الأحداث كتبت بصدق وحرص شديدين.

كلفت بالإشـــراف علي العمل بالمخبز أثناء فترة الاختبار, تعلمت العجين واســـتخدام الخميرة, وعملية الخبز.. وكل شـيء وصـرت خبازاً, وتوليت مسـئولية إدارة المخبر وتوزيع الخبز.. كان العمل بالمخبز مرهقاً شـاقاً, يبدأ في السـادسـة والنصـف صـباحاً, وينتهي في التاسعة أو العاشرة مساءا بالنسبة للعمال أما بالنسبة لي فكثيراً ما أمتد إلي الواحدة بعد منتصـــف الليل, لقيامي بتحميص الخبز بهدف تخزينه للاســـتفادة به في حالة عدم التمكن من عمل الخبز الطازج., وكنت مســـئولاً عن توزيع طعام الإفطار والغداء والشاي للعمال.

بعد فترة وجيزة عُين الأب "م" رئيساً مباشـراً لي, ويكون في نفس الوقت مسئولاً عن المطبخ والمائدة ومخازن التموين, وأيضـــاً مســـئولاً عن الإخوة تحت الاختبار, وقال لنا:

"أن الأب الروحي اختارني بالذات كي أكون وسـيطاً بينكم وبينه, فقد اكتسـبنا خبرة لطول السنوات التي قضيناها معه, وقال لنا الأب الروحي "سلموا الأخوة ما سـلمتكم إياه." (التسـليم في الأديرة يعني التعليم المباشـر يداً بيد وفماً لفم, تعليم أي شيء وكل شيء)

الذي لا أدريه هو لماذا أوكل الأب الروحي كل هذه المســـئوليات إلي الأب "م" وهو علي يقين أنه لا يصـــلح ولا لواحدة من هذه المســـئوليات, كان لأبينا الروحي طفرات, وتصرفات غريبة عنيفة فجائية وغير معقولة وهذه إحداها.

كان الأب "م" مهندساً كيميائياً ضـخم الجسم فارع الطول عريض المنكبين, تبرز بطنه في شبه نصف بطيخة كبيرة, (وهذا شيء غير محبذ في الرهبنة), عندما يتحرك تهتز دهونه الكثيرة, لونه أحمر ذو رأس كبير ومستدير, شعر لحيته أشقر, له شارب طويل متدلي أسفل شفته السفلي, أما حاجبيه لا تثبتا لحظة في مكانهما, فهما راقصتان لاعبتان علي نغمة كلماته الخارجة من فمه, إذا تحدث مال علي أحد جانبيه تارة وأنحني خفيفا تارة وشديداً أخري, يرفع ذراعيه ويخفضهما يستدير يقف يمشي, يلوح, يجســـد ألفاظه بأصــــابعه, يغمض عينيه ويفتحهما , يوســـع عينيه ويغلقهما, يتحدث بســـرعة ثم يبطؤ وأحياناً يتوقف لحظات ليعود ويســـترســـل, وأحياناً يهمس وكثيراً يصيح, لم يكن لكلامه نهاية .. كان ممثلاً بارعاً متقِناً. كان يعرف كل الأمثال الشعبية ولا يعرف أية واحدة من الكتاب المقدس, ولا قول لأحد القديسين.

كان حسـاسـاً لكرامته غاية الحسـاسـية, فعنده أن تكفر بالله ولا تجرح كرامته ولو بشـــعرة ولو بغير قصـــد, فالدم يقفز من وجهه الأحمر, والشــــرر يتطاير من عينيه الواســـعتين ولســـانه ينهمر كالهراوة علي راســـك وعلي ذراعيك وعلي رجليك, فلا تدري كيف تتحاشــى الضــربات ولا أين موضــعها منك ســتقع, كان متكبراً متعجرفاً, يتكلم كثيراً عن ذاته وإنجازاته, وما أظن أنه أنجز شـــيء طول مدة معيشـــتي بالدير, يدعي المعرفة وهو أجهل من دابة, خاصـة في الشئون الروحية فلا قراءة ولا معرفة, ورغم ذلك كان ينصحنا بإنكار الذات والتواضع بدعوي أن الذات والكرامة هي العدو الأول للحياة الروحية. كيف أفلت هذا وغيره من الشـــيوخ المنيطون باختبار الأخوة المبتدئين؟!!

عجيب أمر الرهبان هذا: ينصـحك بشـيء ويعمل هو ضـده, يحملك علي الإيمان بقيم معينـة, وهو ليس لديه إيمان بها أصلاً, ظاهره شـيء وباطنه مخالف لـه, كلامه في جهة وأعماله في الجهة المضـادة. إنها الازدواجية, أناشـد العلمانيين أن يأخذوا بأيديهم ليخرجوهم من الورطة التي زجوا فيها أنفســهم, وبتعبير أدق زجت بهم الكنيسـة فيها, ظاهرة انفصـام الشـخصـية لم تكن في ديرنا فقط بل في جميع الأديرة دون استثناء..

كـان الراهب "م" عبدا للنظـام متفـاني في الدقـة وهو في ذلك تلميذ جيد للأب الروحي, أمرني بعمل دفتر "الأسـتاذ" ولم أكن أعرف أو أسـمع بدفتر الأسـتاذ من قبل.. طالبني بتقييد عدد أجولة الدقيق والردة وكمية السـولار والخبز المحمص , وأعداد الخبز المرسلة لمائدة الرهبان والتي ترسل للمضيفة والتي ترسل للعمال.. كان يوصيني أن ضياع نصف خبزة يعتبر إهمالاً جسيما سوف أحاسب عليه يوم الدينونة علماً بأن الخبزة في حجم قبضة اليد, أزداد عليَّ ثقل العمل وكانت الدقة الشديدة للأب " م" تعوق حركتي خاصـة أنني كنت أعصر ذهني لكي لا تضيع نصف خبزة.. ولم يكن باسـتطاعتي أن أسـأل عن شـيْ فليس لي حق في ذلك.. ألم أسـأل سـؤالاً من قبل تسبب في كارثة؟!!

"لو كان النظام والدقة بدافع الحفاظ عل مئونة الدير وأمواله لهان الأمر, ولكن الدقة والنظام كانتا بدافع أظهار الشخصية, كانتا ظاهرتين مرضيتين صـادرتين عن نفوس مريضـة, فالمرأة المريضـة بالنظام والنظافة بيتها مرتب يلمع فيه كل شـيء, وهذا حسن ولكن إن صدر من زوجها أو أحد أفراد عائلتها كسر لنظامها أو مخالفة لترتيبها تصـيح وتحول الحياة إلي جحيم, ويصـير حبها للنظام كارثة لمن يعيشـون معها.

وهكذا كان حال الراهب "م" معي, فإن أخطأت في عدد الخبز مثلاً آخذ محاضـرة طويلة عريضــة, بصــياح يتعدي أســوار الدير للخارج, كنت أتلقي ما يزيد عن محاضـرتين يومياً, حتى تأزمت نفسـي!! كان سـؤاله الذي يثير حفيظتي بشـدة : أين ذهب الخبز, وكنت أجيب بيني وبين نفســي :ألا يؤكل في الدير؟!! هل أتناول أكثر من طعامي؟!! هل أقوم بإرســال الخبز لأهلي الذين انقطعت عنهم نهائياً وأبعد عنهم مســافة 400كم؟!! هل للدير مخازن أضــع بها الخبز المســروق وقبل الجرد أقوم بحرق المخازن لكي لا يظهر اختلاسي للخبز؟!!

كنت لا أجرؤ علي التكلم مع الأب "م" فهو يرســل التقارير إلي الأب الروحي بالإضــافة إلي أنني علي شـفا حفرة من الطرد فكنت أخاطبه داخل نفســي قائلاً : أيها الأخ المريض.. أتكون أمينا لا تُضــيع نصــف خبزة وتضــيع نصــف ســاعة في توبيخي؟!! أتعز عليك قبضـة من الدقيق ولا تأبه لحرق أعصـابي وأعصـابك؟!! أية أمانة هذه التي تؤدي بأخيك للتأزم النفســي؟!! أتضــحي بالمحبة الأخوية من أجل المادة التي خلقت أصلاً لأجل خاطره؟!! أي إنجيل تقرأ؟!!

***

عندما يحل موسم الصلصة (معجون الطماطم), تحل معه جميع الويلات, ويضاف إلي عملي أعمالا: الإشراف علي عمال الصلصة فرز وغسيل بالنهار وتجفيف بالفرن ليلاً بعد الخبيز من التاسعة مساءاً حتى الثانية صباحاً.
في تلك الفترة المسائية يكون الأب "م" تفرَّغ تماما لي وحدي, كانت أيام سوداء سيئة في حياتي في الدير, حجم العمل كان هائلاً فقد كانت المساحة المزروعة بالطماطم 70 فداناً يباع منها ما يُباع والباقي يصنع به صلصة.

زاد إرهاقي فعمال المخبز الذين يرسلهم الأب المسئول عن العمال صغاراً وعددهم قليل الأمر الذي جعلني أعجن بنفسي وأقف أمام النار أخبز طول اليوم, كما أساعدهم في حمل أجولة الدقيق, وكنس وتنظيف المخبز, ولم يكن دافعي الأمانة (فأنا رافض للأمانة التي علي طريقتهم) بل الخوف من عدم إنجاز العمل اليومي في وقته, وعطفي علي العمال الذين كنت أحبهم من كل قلبي.
كان المسئول عن العمال يزيد عرضه عن طوله مرة ونصف, جامداً قاسياً, كلماته قليلة وإجاباته مقتضبة, قراراته لا رجعة فيها وكان بخيلاً مقتراً في توزيع العمال علي الأشغال إلي أقصى حد, وكأنه يقتطع العمال من لحمه المكتظ, ومع ذلك كان مسرفاً فيهم للرهبان الكبار. أما صغار الرهبان والإخوة فيسومهم مر العذاب, فمكالمة من الأب المسئول عن الحظيرة تكفي ليرسل له عمال بوفرة, أما رغم أني أترك عملي باكراً قبل توزيع العمال, وانتظر أن يعطيني عامل ولحد وأتوسل إليه, فلا أجد منه إلا الرد القاسي الجافي, في نفس الوقت يرسل خمسة عمال للحظيرة, وأعود أسيفاً بدون عامل.
كنت أكرر هذه المذلة التي كسرت قلبي وأعماقي كل يوم, وعندما كان يضيق بى الأمر كنت أكتب للأب الروحي الذي كان يكتب علي نفس ورقتي للأب "ق" أن يرسل لي عمالا, وأذهب للأب "ق" الذي كان يتناول الورقة ويمزقها, ولو كنت غير مؤدب لأبلغت الأب الروحي بفعلته, وكان من الممكن أن ينزل الأب الروحي في اليوم التالي ويمزق وجهه أمام جميع الرهبان, فأكبر جريمة أن لا يطيعه راهب فما بالك بالذي مزق ورقة كتب عليها بيده, والغريب أن الأب "ق" لم يكن يرسل عمالا بوفرة للمسئولين احتراماً منه لهم أو حباً فيهم, فهو لا يحترم احد كما أنه ناقم علي جميع الرهبان.. لكنه كان يخاف من شكواهم للأب الروحي.
ذات يوم أعادني بدون عمال وتمزقت نفسي من الداخل, ودخلت المخبز ووجدت نفسي أندفع بجنون كطلقة مدفع فأصطدم بطاولة واسقط بها علي الأرض.. تراني كنت أريد أن انتحر وأخلص من العذاب الذي ألاقيه ليل نهار.
***
كنت أسأل نفسي هل تبعيتي للمسيح أدت بى إلي الجنون؟ ولماذا لا أتخذ قراراً فورياً بالنزول للعالم وترك الدير؟ فأعود لبلدي إلي أمي وأصدقائي وتلاميذي ومدرستي. ما الذي يمنعني من العودة إلي حبيبتي التي تركتها حباً في الله؟ فأتزوجها فكلمة منها كانت كافية أن تشفي جروحي وتطيب نفس.
ليتني عدت ولكني لم أعد. لم أترك الدير.

غلبني النعاس فنمت من شـــدة الإرهاق, أثناء انتظاري لجفاف الماء من صـــواني الصلصة الموضوعة داخل الفرن, فاحترقت صنيتان, ووقعت تحت أنياب الأب "م" زمجر واتسعت عيناه وأخذ يصيح بعنف, وإذ بي أقابل صياحه بصياح أشد وصرخت في وجهه **" تلومني لأجل كمية صـغيرة احترقت ونحن نلقي عشـرات الكيلوات في الزبالة يومياً.. أنا لم أنم منذ بداية هذا العمل سوي ساعتين أو ثلاث يومياً.. ألستُ أمام عينيك أسـهر حتى الثانية صـباحاً, وأدق جرس الكنيسـة في الثالثة وأذهب للتسبحة في الرابعة واخرج منها للعمل من السادسة والنصف صباحاً حتى الثانية صباح اليوم التالي.. ألا يشـفع لي عندك كل هذا العمل والإنتاج, وهل المطلوب مني أن أعمل وأنتج دون أن أخطئ ولو مرة واحدة. ثم أين المحبة وأين الرحمة, وأين قولك كل يوم أن الأب الروحي أوصاكم أن تسلمونا ما استلمتموه, أنني لم أري منك شيئاً يستحق الاستلام و لم أري سوي الغضب والصياح والخلاف الدائم"**

كانت المرة الأولي التي أصـيح فيها في وجه راهب يكبرني, و هذه جريمة في الرهبنة, أما إذا صـاح هو فيعتبر ذلك تعليما وتهذيباً وتقويماً, وكان عليَّ أن اعترف بجريمتي لأب الاعتراف, أحيانا يكون شـخص آخ غير الأب الروحي, وفي أي حالة يمكن الرجوع للأب الروحي.

بعد أيام ذهبت للأب "ق" أطلب منه عمال فتغير وجهه عند رؤيتي, وإذ به يقول لي :"أنت عنيف وقد ترك الأب "م" الإشـراف علي المخبز بسـببك" وكنت لا أعلم ذلك, تغيب الأب "م" عن المخبز أياماً ولكني كنت متوقع عودته في أي وقت, المهم أني حصلت علي أربعة عمال دفعة واحدة, ربما خاف مني هذه المرة أقول ربما.

بعد كل هذا أقول الآن أن الأب الروحي كان يدرك تمام الإدراك أن الأب "م" خاوٍ وليس لديه شيء, ولكنه وضعه مشرفاً ليكون عيناً عليَّ ليراقب سلوكي لحظة بلحظة, فما دمت أفكر فلابد من تشـديد الرقابة عليَّ, فقد كان الأب "م" يعتبره الأب الروحي ويعتبر نفسـه من مجلس قيادة الثورة.. فهو مركز قوة وعليه أن يحافظ علي الثورة ومبادئها بكل الطرق مشروعة كانت أو غير مشروعة.

***

كنت أسأل نفسي : هل في الدير عيون؟!

وأتضح لي أن العيون ليست في معظم الأديرة فقط, بل وفي نظام الكنيسة بصفة عامة فالبابا له عيون والأسـقف لها عيون وبعض الكهنة لهم عيون, وكل سـلطة لها عيون تتجسس لحسابها, والأب الروحي يحكم ويتسلط, ويخاف كل الخوف أن تمس سلطته, أو يهتز كرسي عرشه بفكر غير فكره.

***

لم أهنأ بالعمال الأربعة فقد جاء الأب "ز" المشـرف علي زراعة البطيخ لأخذ أثنين منهم بتوصـية من الأب "ق" وأشـتعل غيظي فلديه ما يزيد علي 300 عامل ومعدات كثيرة جرارات ولوارد ومواتير رش..الخ, وكل الدير في خدمته, أليس هو

الذي يزرع ما يزيد عن 350 فداناً بطيخا, ورفضت إعطاءه عاملين بحدة وغضب تبادلناه.. وأنصرف وهو يقول **"أنت مش مطيع"**.

هناك مصطلحات رهبانية ليس لها مفهوم محدد, فالطاعة عندي تقف عند حدود استطاعتي وأيضاً هذه الحدود غير محددة بدقة, فاستطاعتي وقت الراحة أكبر من استطاعتي وقت التعب, وكذلك هي أكبر في وقت نشاطي الروحي عن فتوري, أما الطاعة عند الرهبان فهي الاستبداد وتنفيذ الأوامر بغض النظر عن التعب أو الضعف أو عدم القدرة. علماً بأنه لم يكن لدي فائض من العمال فقد طلبت 6عمال لحاجة العمل في ذلك اليوم وأخذت 4 فقط فأين الفائض لكي ألبي طلبه وأكن مطيع؟

ولم يكن الأب "ز" نفسه مطيع فكم من مرة شكا الأب الروحي منه لعدم طاعته لكن إحقاقاً للحق أقول أن هذا الراهب من أكثر الرهبان الذين يفنون أنفسهم لصالح الدير والعمل والإنتاج, فهو يشرف علي 50 فدان (كانتلوب) وأكثر من 60 فدان طماطم بالإضافة إلي البطيخ, فهو لا يرتاح شهراً في السنة ليعاود السهر والعمل ليل نهار؛ ألتمس له العذر فقد كان يقوم بأعمال ويتحمل أعباء لا تستطيع الجبال أن تتحملها.

***

ربما كان الأب الروحي في البداية يقرب إليه من كان سباقاً في الفضيلة, ولكن المؤكد أنه بعد زيادة نشاط الدير الإنتاجي أصبح يقرب ويحب من كان في موقع متميز, فكلما زاد إنتاج الراهب كلما زاد حب وتفضيل الأب الروحي له.

فثمن البطيخ المباع من هذه الأفدنة يتحول إلي دولارات تودع في البنك لحساب الدير, وهذا يميز راهب البطيخ, وكذلك يتميز راهب الخضار الأوربي الذي يباع للفنادق, وراهب الإنتاج الحيواني, وراهب الزيتون و...الخ, ولكن هب أن راهب البطيخ لم يستطع القيام بأعماله لأي سبب كان حتى لو الصلاة والعبادة أو المرض أو الإرهاق أو التعب النفسي, لوجد معاملة ليست سيئة فقط بل أسوأ من السوء ذاته.
"كان الإنتاج والعمل طوال العشر سنوات التي قضيتها في الدير هما مقياس صلاحية وأفضلية الرهبان"

***

أتصل بي من المزرعة الأب المسئول عن مطبخ العمال, وطلب خبزاً علي وجه السرعة فلديه عجز وهو يقوم بتوزيع غداء العمال, وخرجت بالخبز خارج المخبز فوجدت الأب "م" يدير السيارة التي أعطاها له الدير (لتشهيل) الأعمال, سألته فأجاب :"ذاهب للمزرعة وسوف أعود مسرعاً" فقلت له: "هذا عين طلبي" وأثناء الذهاب نشبت بيني وبينه معركة كلامية (المزرعة تبعد حوالي 1.5 من الدير), وقبل نزولي من السيارة قال لي :"أنا لن أعود الآن للدير ابحث لك عن سيارة أخري" جن جنوني فلا يمكنني التأخير عن المخبز بأي حال, فالنيران مشتعلة والعمال صغاراً, وماكينة العجين خطيرة فهي من النوع القديم المكشوف, فإن وضع عامل يده بها فلن يجدها ثانية, والحصول علي سيارة للعودة في وقت الراحة شبه مستحيل وهو يعلم كل هذا, ولكن نكاية بى وإرادته أن يضعني في موقف قاتل كانا هدفه. كان دافعه للانتقام مني أكبر من المصلحة العامة للدير والعمال , أكبر من كارثة متأكد وقوعها, فنزلت من

السيارة راغباً أن أدفع السيارة وسائقها في هاوية الجحيم وأغلقت بابها دوني بشدة وقسوة وغضب لا مثيل له فارتطم بجسم السيارة مدوياً عالياً.. وسألت نفسي لحظتها ما أنا بفاعل هنا في الدير؟!! ولم أرد علي نفسي ولم أجد إجابة لسؤالي!!

من الأشياء المثيرة للعجب في تلك الفترة أن الأب الروحي كان يغض الطرف عن آباء تسببوا في كوارث, ولكنه كان يلاحقني بصفة دائما واضعاً كلتا عينيه عليَّ ولا يطرفهما. **يوجد مقياسان لدي الأب الروحي.**

***

كنا نخشى نحن الأخوة تحت الاختبار يوم السبت ونحسب له ألف حساب فهو اليوم المخصص للاعتراف الأسبوعي جبرياً, يا ويلنا من أب الاعتراف, كان طويلاً نحيفا, ذا ذقن صغيرة قليلة الشعر تميل للبياض, وعينان صغيرتان ولكنهما لاسعتان مثل كي النار, إذا صوبهما إلي أحد تخترقان مفاصله, عابس كل العبوس جاد كل الجد, تميل بشرته للسمرة, صوته منخفض ولكنه موجع وأي وجع! كان شيخاً وبالرغم من كبر سنه إلا أن وجهه يلمع وكأنه مدهون بزيت عباد الشمس, وهو من أكبر الشخصيات وأهمها في الدير, كان طبعه حاد عنيف معنا, يستطيع أن يُبكت الواحد منا ساعة كاملة علي هفوة صغيرة وما أكثرها خاصة في هذه الحياة الغريبة علينا, مستشهداً بآيات من الإنجيل مرات قليلة عائداً إلي أقوال القديسين مرات كثيرة مستخدما بستان الرهبان وميامر مار أسحق, مدللاً بقصص وإثباتات, كان متزمتاً غاية التزمت, جافاً الجفاء نفسه.. في معاملته وأقواله إلي الحد الذي كرهنا فيه لا الحياة الرهبانية بل والحياة كلها.

ذات مرة قلت له :" **يأبانا .. كانت الحياة الروحية ونحن في العالم أسهل بكثير من الحياة هنا, فقد كانت المحبة والوداد صبغة علاقتنا ببعض وبالكنيسة وبأب الاعتراف.. وقد كان أب الاعتراف عوناً لنا مشجعاً وسند."**

أما هذا الشيخ لم يحدثنا قط عن حب الله لنا, ولا العلاقة الجميلة معه, ولا عمل النعمة, ولا ذكر الرجاء, ولا فِعل دم المسيح, بل لا يأت أسم المسيح ودمه إلا نادراً في أحاديث الرهبان, والخلاص مربوط لديهم بالجهد الذاتي والنسك أكثر من رباطه بدم المسيح, المسيح أحبنا وغفر لنا خطايانا ومازال يغفر, أما الخطأ في الرهبنة لا غفران له.

عدت مرة ثانية بعد أن أدركت أن طريق الرهبنة مختلف عن الطريق الروحي الذي أسير فيه, فشتان ما بين الاثنين وقلت له :-

"أنني لم أسمع منك كلمة رحمة ولا كلمة حب أين رحمة الله وحبه, إن تعاليمكم تنحصر في الحصر والضيق والنسك وبذل النفس وإماتة الذات والقهر والتغصب والسهر الروحي, والصوم والبكاء علي خطايانا باستمرار, وأنه بكثرة عذابنا في الأرض يتضخم نصيبنا في السماء"

لو كان أب الاعتراف صادقا ولديه قليل من الحق لقال لي علي الفور :" أن الطريق الذي تطلبه ليس ها هنا, أنزل إلي العالم فليس لك مكان بيننا يا من تريد أن تعتمد أساسا ورأساً علي رحمة الله ونعمته" ولم أكن أمضيت سوي خمسة شهور فقط بالدير ولازلت بالجلباب البني (تحت الاختبار), لو صارحني لكنت أنهيت الطريق

معهم, وعصـــمت دماء وألم العمر كله, ولكنه خدعني إذ غير طريقته ونبرة كلامه وكأنه ثاب إلي رشـــده, أوثاب رشـــده إليه وبدأ يكلمني عن محبة المســـيح ورحمته وغفرانه, ولكنه ما لبث أن عاد إلي سابق عهده ولكنه نجح في خداعي!!

مسيح العالم غير مسيح الدير! الأول رقيق محب عطوف, سَتَرَ خطايانا وعيوبنا, لم يفضـح الزانية التي أمسـكت في ذات الفعل, ولم يحكم عليها, ولكي يخلصــها ممن حكموا عليها وأرادوا قتلها قال لهم أول من يرجمها بحجر لابد أن يكون بلا خطية, ولم يوجد بالطبع فقال لها "أذهبي بســـلام", وقال لليهود أن الراعي يترك أغنامه ويذهب يبحث عن خروف واحد ضـل, أحبنا وأحببناه في ضـيقنا أنقذنا في مرضــنا شـفانا, في أعوزانا جاد علينا, هو لنا رفيق وصـديق وأخ حبيب وإله صـالح, وقدوس وبار, أما مســـيح الرهبان فهو مســـيح العجرفة والكبرياء والدجل والتمثيل والرياء والحقد والكره, مسيح الذات والعنف والتسلط مسيح عدم الحب وعدم الرحمة, مسيح التماسـيح التي تبتلع صـغار الرهبان والأخوة, مسـيح المصــادمات والحوادث والنار والكبريت"

كنت أعلم مسبقاً ما سيصير في جلسة الاعتراف بعد مصادماتي مع الأب "م" فقد قال لى **"أنت تحتاج إلي تغيير.. أنت عنيف وطبيعتك قاسية.. إذا كانت هذه تصرفاتك وأنت مازلت أخ تحت الاختبار فماذا عسـاك أن تفعل حين تصـير راهباً.. سـوف تنط في بطن الرهبان" هذا ما قاله بالحرف الواحد.**

للأســف الشـــديد اقتنعت بكلامه.. رغم أني لم أكن قاســياً علي الإطلاق, بل كنت لطيفاً محبوباً طيباً وحساسا لا يهدأ لي بال إذا أحسست أني جرحت إنسان ولو علي ســـبيل المداعبة, فكنت أذهب إليه أطيب خاطره وأعتذر, وقد عرف هذا فيَّ الرهبان فيما بعد, ولكن هول الضغط من الأعمال والمصادمات والخوف هو الذي حولني إلي هذه التصرفات, كيف كنت أحافظ علي وداعتي وأضبط غضبي في ما سبق وذكرت, وبالفعل أقنعوني أني غير صالح للرهبنة.

هكذا يفعلون مع باقي الرهبان, يضـــغطون عليه بأحمال فوق طاقته؛ فإذا أشـــتكي وتذمر أو قل نومه أو صاح أو هاج أقنعوه بأنه مريض نفسياً ولابد من معالجته, ويأتِ الدكتور"رجائي" من بهمن بحلوان (رحمه الله) ويكتب له المهدءات فيعتادها الراهب المسـكين ولا يسـتطيع تركها فيدمنها, وبعدها يجرونه ويسـوقونه كيفما شــاءوا, ولا يســـتطيع الفكاك من الدير؛ هذه أحدي الطرق لربط الراهب بالدير, فمن ســـيعطيه الأدوية إن ترك الدير ومن يتكفل بالصـرف عليه وهو بهذه الحالة وهو لا يسـتطيع أن يعمل ليكســـب قوته اليومي إن نزل إلي العالم؛ وكيف يواجه العالم بهذه النفســـية المريضـــة؛ فيظل عبداً ذليلاً للدير طول أيام حياته, ولا يتركه الدير إلا جثة توقفت دماؤها عن الجريان وتحولت عظامها إلي رماد.

لن أكون مبالغاً إذا قلت أن أكبر نسبة مرضي نفسيين في أي مجتمع في العالم هي في الأديرة. فبينما لا تتجاوز هذه النســـبة في المجتمع العادي 3% فإذ هي تبلغ في ديرنا 20% أي خمس الرهبان علي الأقل مرضــي نفسيين, فلا يعود راهب من بهمن حلوان حتى يرسل الدير مكانه آخر والله يشهد علي صدق كلامي.

***

كان عمري خمســـة وعشـــرون عاماً عندما التحقت بالدير, وكان عدد الســـنوات التي قضـــاها أب الاعتراف في الرهبنة ثلاثين عاماً, أي كان راهباً قبل أن أولد بخمس سنوات. حين كنا نتردد علي الدير أثناء دراستنا الجامعية, كان الرهبان يمتدحون هذا الراهب الذي كان متوحداً حين ذاك.[7]

"الوحدة هي غاية الرهبنة.. وحلم الأكثرين من الرهبان.. وكان الأب الروحي يَدَّعي أنه يخلق جيل متوحدين يقودون الرهبنة التي ســـوف تنتشـــر وتزداد أعداد الرهبان فيها إلي الآلاف كما كانت في القرن الرابع والخامس الميلادي, ويكون هو رأس وأب هذه الجموع الغفيرة كما كان أنبا "باخوميوس", فالوحدة هي الإتحاد بالله حياة الصـــلاة التي لا تنقطع حيث الســـكون والصـــمت وترك الكل للإلتصـــاق بالواحد, الحياة التي اشتهر بها رهبان نتريا في القرون الأولي.

كنا نتوق ونحن طلاب أن نري هذا الراهب, وفوجئنا أنه عاد من الوحدة, فســـألنا في جزع عن السبب, فقد كان نزوله خيبة أمل لنا, فأجاب الذين أشادوا بوحدته بإشادة أكبر لتركه الوحدة؛ قالوا أنه رأي أن العمل ثقيل علي إخوته الرهبان؛ فترك عُلية التجلي لكي يشـــارك إخوته أتعابهم وآلامهم, وقد ضـــحي بســعادته ولذته الروحية لكي يحمل عنهم ويخلط عرقه بعرقهم ودمه بدمائهم. عجب ألم يكن يعلم بذلك قبل خروجه للوحدة؟!! أم رأي أن حياة الوحدة لا تناسبه؟!!

للرهبان قدرة علي إقناعك بالشيء ونقيضه في نفس الوقت.

***

رهبان يعملون وينتجون أليس هذا عظيما؟!!

بلي فكل عرق مبذول هو زيادة في الإنتاج, وكل يد يتم تشـــغيلها تقلص حجم البطالة.. وبذلك يعم الخير علي أبناء الوطن, فقد بلغت كميات البطيخ التي يتم تســـويقها يومياً إلي مائة طن, وطرح هذه الكمية يومياً يخفض الأســعار, ولو بكســر عشــري صــغير جداً, وما يحدث مع البطيخ يحدث في البيض والألبان والفواكه.. أما في الزيتون فكان إنتاج الدير يعتبر في ترتيبه بين المحافظات بعد محافظة الفيوم, وفي مجال الأبحاث العلمية في الزراعة مثلا كان الدير أول من زرع شجر الزيتون من الفروع وليس من الجذور, بعد تقطيعها إلي عقل وتغطية رأس العقلة بالشـمع لتقليل النتح, وعدم جفافها, ومعالجة أسـفلها بالهرمونات لإخراج شـعيرات جذرية, والدير زرع أيضـا العنب من

[7]) التوحد أي المعيشة بالانعزال عن الدير والرهبان, والانقطاع للصوم والصلاة والقراءة, وتعتبر هذه المعيشة من أعلي درجات الرهبنة.

العقل, وكانت نسبة النجاح أكثر من 90%, علماً بأن مركز البحوث كانت صلته قوية بالدير ومُطَّلع علي الأبحاث أولاً بأول, فقد قام الدير بزراعة الكركديه والزعتر والكمون والشمر بتوصية من مركز البحوث لاستخراج الأدوية منها.

كما تمت زراعة البطاطس والقمح والقطن في الأرض الصفراء, وكانت النتائج مذهلة, فقد استطاعت الصحراء بالجهد والعناية والعلم والأمانة, أن تقدم محصولاً أكبر من المقدم من الأرض السوداء علي ضفاف النيل, وقد حضر وزير الزراعة "يوسف والي" إلي الدير أكثر من مرة ورأي كل ذلك بنفسه, وقام بمصافحتنا فرداً فرداً

في الإنتاج الحيواني, لدي الدير حوالي ألف رأس من الأبقار, وستمائة رأس من الأغنام, وأول حلابة آلية دخلت مصر جلبها الدير, وتقوم بحلب 16 بقرة في وقت واحد. والأعظم من هذا كله أن عمليات نقل الأجنة لم تكن ناجحة علي مستوي الشرق الأوسط كله إلا في ديرنا, هذا بالإضافة إلي الورش والمعدات والسيارات ومساحات النخيل وأعمال أخري. أما المفاجأة الكبرى أن كل هذه الأعمال يقوم بها 100 راهب فقط.

كل هذا عظيم ورائع.

ولكن هل كان الهدف من الرهبنة الإنتاج وحسب؟!! حتى لو كان ذلك علي حساب الحياة الروحية للرهبان؟!! حتى لو كان علي حساب أعصاب الرهبان وسلامتهم النفسية؟!! لو كنا في مؤسسة أو شركة لهان الأمر وكان يمكن قبوله, حتى هذه أيضا علي الرغم من أن هدفها الإنتاج إلا أنها ترعي العاملين بها وتهتم بهم بدنيا وتسمح لهم بالراحات لسلامة صحتهم النفسية.

كان الهدف من تربية الماشية والزراعة في البداية وقبل بناء الأسوار هو استبعاد العرب من أن يرعوا ماشيتهم, أو يزرعوا بأرض الدير فيتمكنوا من وضع أيديهم عليها وبالتالي الاستيلاء عليها.

حين تقرأ للأب الروحي مقالاته أو تسمع عظاته: تسعد وتفرح بأن هدف الرهبنة الأول والأخير هو العبادة, فكلامه يمجد العمل الروحي (العبادة), ويرفعه علي العمل المادي(الإنتاج) حتى ذهب في احدي عظاته إلي القول "أنك إذا دخلت للصلاة فأنت تحول الوقت الميت إلي وقت حي وتحول التراب إلي ذهب", وكم نادي بأن وجود الرهبان في العالم يرفع غضب الله عن العالم؛ من أجل أياديهم المرفوعة دائما في الصلاة. هذا من جهة كلامه أما علي مستوي التطبيق العملي:- فكم من مرة ثار وغضب لسماعه أن راهب اعتكف يومين أو ثلاثة للعبادة وترك العمل, وكان يصفه بأردأ صفة في الدير وهي عدم الطاعة, أما الراهب الذي يعتكف أكثر من هذا وبدون إذن فكان يعتبره مجرماً ويلمح ويصرح بفرز هذا الراهب, وهي كلمة رهبانية معناها مقاطعته وعدم التعامل معه نهائياً فيعزلونه فوق عزلته, وقد طبق هذا الفرز

علي راهب كان زميلاً لي بالكلية في نفس القسم (رياضيات), وذهبت أستأذن رئيس الدياكونية[8] لأحمل له الطعام فوافق علي مضض."

إذا أهمل أو وقع من راهب أي تقصـــير في العمل فرد فعل الأب الروحي يكون عنيف ولا يبطئ في افتضـــاحه أمام كل الرهبان والعمال, أما إذا أهمل الراهب في العبادة فلا ثورة ولا غضـــب, ولا حتى مجرد لوم, بل علي العكس إذا اهتممنا بالعمل يسمينا أبطالاً وأسوداً.. وقد أطلق علي راهب كان يفني نفسه في العمل بالحظيرة لقب الشهيد, شهيد وهو مازال علي قيد الحياة, وهذا الشهيد نفسه ترك الدير بعد ذلك وعاد للحياة المدنية وعمل بأحد الفنادق بالقاهرة, وقد زرته عدة مرات بعد تركي الدير.

أما كاتب هذه السطور فقد أطلق عليه لقب الأسد, وهذا الأسد أثقلوا كاهله وضيقوا عليه وسجنوه, وضربوه بقضبان من حديد, فتقلص وأنكمش حجمه حتى صار جرزاً فسـلخوا جلده وقشـروا عظامه, فهرب وهو بين الموت والحياة, ونفد بقليل من هواء في رئتيه.

كان الأب الروحي يرفض أن يكون هدف الرهبنة الإنتاج المادي علي صـــفحات أوراقه التي يقوم بتأليفها وفي عظاته التي يلقيها فقط وفقط, أما في داخله وأعماقه الأمر مختلف تماماً, أليس بسبب هذا الإنتاج نال شهرته وجلس مع رؤساء الدول[9], لذا حرص علي تميزه هذا, فكيف لا يتمســك به وكيف لا يحول الدير إلي جحيم عمل .. لعل القارئ قد عرف الآن سر الأعمال التي تفوق طاقة البشر.

لا أرفض أن يكون العمل المادي هدف من أهداف الرهبنة فالعمل هدف نبيل وســامٍ.. فالمفروض أننا من أجل العالم وُجدنَا في الأديرة, والمفروض أن يكون عملنا هو الصلاة لأجل البشرية, سلامها ورخائها واقتصادها, فماذا لو شمرنا عن ساعد الجد ووفرنا لقمة لفم جائع بجوار العبادة ألا يكون هذا أنفع وأفضـل, ولو توصـلنا بعقولنا إلي بحث ينفع البشـــرية ويرفع عن كاهلها الغلاء والفقر, ألا يتمشـــي هذا مع روح الإنجيل الذي قال :" إن كان أخ أو أخت معتازين للقوت اليومي وقال لهم أحدكم أمضيا بسلام استدفئا وأشبعا ولم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة (يع 15:2) أي لا تنفع الصلاة في بعض الحالات التي يحتاج فيها شخص إلي سد رمقه أو ستر جسده بل الذي ينفع هو العطاء المادي.

رؤساء الأديرة لا يحسون لا بالبلد ولا بالفقير ولا المسكين, إنهم يحسون بأنفسهم فقط, فإن كانوا سيحصلون علي الشهرة والمجد من وراء العطاء فهم أسخياء فيه.. وإن لم يكن فلا عطاء ولا سخاء, يدَّعون البطولة ويتشدقون بإعمالهم العظيمة التي لا وجود لها علي الإطلاق, كثير منهم كذبة محتالين يستخدمون سلطانهم بقسوة شديدة.

---

8) الدياكونية :المطعم المخبز والمائدة

9) رأي الرئيس الراحل "أنور السادات" منتجات الدير في حضور الأب الروحي وقد أثني (رحمه الله) علي المنتجات وعلي عمل الرهبان وقد أهدي للدير ثلاث جرارات زراعية

كم من مرة رفض الدير مساعدة الفقراء, ففي فترة عملي بواباً بالدير, كان يأت من هو فقير ويطلب المساعدة, وبدوري أقوم بالاتصال بإدارة الدير, فلا أجد استجابة بل رفض بل قسوة, "إياك أن تدخله الدير أطعمه وأصرفه", كنت أتمزق بين توسلات السائل لأجل عملية ملحة لزوجته, وبين قسوة الدير, بين شعوري بالإشفاق والعطف وبين عدم القدرة علي مد اليد له, ولم تكن للدير علاقة ببيوت الأرامل والأيتام, ولا سمعنا أن الدير يدفع لملجأ, أو ساهم في بناء كنيسة, ولكن كانت عطاياه وهباته لمن هم في منصب يستطيعون من خلاله مساعدة الدير.

كان هناك مسيحي تقي يعقد صفقات تجارية للحكومة مع الدول الأجنبية, أغدق علي الدير الكثير, ووقف بجواره وكان الدير في مرحلة التنشئة.. أقامة مباني وشراء معدات...الخ, وبعد سنوات استبعدت الحكومة وساطة الرجل في عقد الصفقات, فبدأ يفتقر ويحتاج ولجأ إلي الدير وللأسف الشديد الدير لم يقف معه, ووقتها كان الدير يملك الكثير ولديه مبالغ في البنك, **ألم يكن من الواجب أن يقف الدير مع الرجل في محنته إيفاءً بجميله؟!!**

الدير لم يساعد حتى العمال الذين بنوه علي أكتافهم, وتلك كانت مأساة أحدهم:-

كان النقاش شاباً صغيراً عندما التحق بالدير للعمل به, وأحضر طاقم للعمل معه, وبعد سنوات واتته فرصة عمل بالحكومة, فأوصاه الدير بترك العمل في الحكومة بوعد أنه سيدفع له راتب أعلي كما سيقوم بتأمين معيشته, فسمع للدير وأطاع, وترك الوظيفة, ورأيناه أميناً في عمله مرحاً محبوباً من الجميع طيب القلب, كل حائط بمباني الدير مشت عليها يد النقاش, وكل ركن في الدير يعترف بفضل النقاش, فقد أتم نقاشة الدير كله, وبعد سبعة عشر سنة من العمل الجاد والشاق بالدير, مرض النقاش بمرض خطير ولم يعد قادراً علي العمل, فطلب من الدير فزوده الدير بمبلغ صغير مرة و أثنين وعندما حضر بنفسه شارحاً حاجته وحاجة زوجته وأولاده رفض الدير مساعدته.

بكي النقاش وقال لهم "لقد أفنيت شبابي في خدمتكم.. ووعدتموني بتأمين مستقبلي لماذا لا تصدقون الوعد؟" فما كان من القائمين علي الدير سوي تهديده إن عاد إلي الدير, ولما أصر علي أن لا يعود فارغاً طلبوا له الشرطة لكي تأتِ وتطرده خارج الدير. فكانت مأساة له وكان ألم في قلوب الرهبان. وما فعلوه مع النقاش فعلوه مع النجار أيضاً.. وكثير من الحرفيين الذين طردوا من الدير أشر طردة.

***

انتقام راهب

هناك الكثير والكثير جداً من الأفعال السيئة للرهبان والتصرفات الرديئة الخسيسة. وتمحو السنين معظم هذا الكثير, ولكن هناك حوادث لا يمكن أن تمحي من الذاكرة وكلما تذكرتها أحس بذنبي المريع, وعدم شجاعتي, وسلبيتي وتخاذلي.

بعد مرور عام ونصـــف من وجودي في المخبز وكنت قد رســمت راهباً, مر بي الأب الروحي وقال مخاطباً أحد الرهبان :-"هذا الراهب مخلص ويعمل كثيراً" وكان يقصدني ففرحت بهذا التشجيع عالماً في نفسي أن السماء هي التي أوصته بذلك.. ألم يكن هو رجل وحي كما يقولون؟

مر علي هذا القول عام وعاد مرة ثانية وسلم علي بحرارة وقال لي "أشكرك يا أبا لأجل مجهودك الضـخم, أنت أسـد وسـوف أحتاجك في عمل مهم عن قريب".. كانت هذه الكلمات كافية لأن تلهب حماســـي, وتشـــحذ إرادتي, وعقدت النية علي إتمام ما سـأكلف به حتى لو بذلت فيه آخر قطرة من دمي, وكان العمل هو مسـاعدة أحد الآباء في مهمة خارج الدير. كنت في هذا الوقت قضيت عامين ونصف بالمخبز.

كانت المهمة خارج الدير قال الرهبان "أنك أصـــغر راهب تخرج لمهمة خارج الدير"

تربة أرض الدير رملية والقليل منها طفلة حمراء, وللحصـــول علي نباتات قوية ومحاصـيل وفيرة يجب دعم هذه التربة, بخلطها بتربة نيلية سـوداء, ونظراً لوضـــع الدير ونشـاطه الزراعي المتميز, وعلاقاته بأكبر المسـئولين حصـل علي تصـريحين لشـــراء آلاف من الأمتار المكعبة من الطميه التي كانت جســـراً (ســـداً للنيل أيام الفيضان), ذلك من قريتين كائنتان علي حدود محافظة الجيزة.

ذهبت أعاون الراهب المسئول لجلب هذه الكميات بأسطول من السيارات, وأنجزنا العمل في القرية الأولي, وبعد عام تقريباً (1985), ذهبنا إلي القرية الثانية, واسـتقبلنا العمدة في منزله ورحب بنا, وعرض علينا أن نقيم لديه طول مدة التجريف, ونصـــب الراهب الخيام علي حرف النيل, كان فرح العمدة كبير فقد كانت معظم الأراضي التي سنجرفها مقابلة لأرضه والتجريف مكسب له فسوف يضم الأرض بعد استوائها إلي أرضه.

أستمر العمل حوالي شـهرين بأسطول السيارات المؤجرة, خلال هذه المدة حدثت مشـادة بين الراهب المسئول والعمدة, كانت صـغيرة حتى لم أعد أذكر سـبب وقوعها, ولكن الراهب وضـع في قلبه أن ينتقم منه, إذ كيف يهين العمدة قداسة الراهب وكرامته والتي تعتبرها الكنيسة فوق كل كرامة.

ســألت نفســي هل يمكن أن ينتقم الراهب؟!! ألم يوصـــي الإنجيل بعدم الانتقام؟!! "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء.." (رو12:19), وإذا فكر راهب في الانتقام فعليه أن يســـرع ويعترف بهذا الخطأ ويندم ويتوب علي مجرد التفكير في الانتقام. كما أن القانون المعمول به في ديرنا يجرد الراهب من أي حق "الراهب عليه واجبات وليس له حقوق" وهذا نص القانون. كما أن الراهب لابد أن يتنازل عن كل شــيْ وأول هذه الأشياء كرامته (من تعاليم المبتدئين).

قرب نهاية العمل كانت أوامر الراهب مشــددة لســائق اللودر, أن يضـــع الأحجار التي يتم العثور عليها بجوار أرض العمدة, وليس المكان المخصص لها, وكان العمدة علي علم بذلك فأرســل للراهب يقول ضـــعوا الأحجار بعيدة عن أرضـــي في المكان

المخصص لها, لأنها من الحجم الكبير التي لا ترفع بواسطة العمال, ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد.

خطط الراهب أن تكون عودتنا بالخيام والعمال للدير ليلاً, وفي تلك الليلة تغيرت هيئته وكانت عيناه لها بريق مخيف, وأمرني أن أتنحي جانباً أو ألزم الخيمة, ولم ألزم الخيمة ووقفت من بعيد عاقداً ذراعيَّ فوق صــدري, راغباً في معرفة ما يجري, كان الراهب تارة يركب اللودر بجوار الســائق وتارة يســير أمام اللودر بظهره, معطياً إشاراته لحركة اللودر, كان يتحرك بعنف كمن يحارب علي جبهة القتال, يحفر أرض العمدة التي سويت وصــارت صــالحة للزراعة, ويضع تلك الأحجار الضخمة بها ثم يغطيها بطبقة من الطميه, وينتقل من حفرة لأخرى, نعم وضع له السم في الدسم, أفسد الأرض وخربها, فظاهر الأرض قشرة سوداء وباطنها أحجار بيضاء لا يمكن لجذور النباتات أن تخترقها أو تتغذي عليها.

كان هول المفاجأة صاعقة بالنسبة لي وأنا مازلت مبتدئ, دهست العجلات الغلاظ كل المبادئ والقيم الرهبانية التي ســمعت عنها, ومزقت أســنان اللودر تلكم الأحلام الوردية عن الرهبنة, هل هؤلاء الرهبان الذين أتيت لأتعلم منهم المحبة والوداعة؟!! كيف يوصــون المبتدئين بالتســامح والغفران, ولا يُقبلون هم علي ذلك؟!! أين عمل الخير الذي تربينا عليه في المدارس وفي الكتب المقدسـة؟!! ما يفعله الراهب جريمة بكل المقاييس.. فهو يخرِّب الأرض التي تطعم الأفواه الجائعة.. هل له بعد ذلك أن يرفع يده في الصــلاة طالباً من الله أن يرفع المجاعات عن العالم, بينما يده الأخرى تجلبها, أنطلب في القداس الإلهي أن يبارك المســيح إلهنا الزروع والعشــب ونبات الحقل لتنمو وتكبر ونحن نميت جذور العشـب ونبات الحقل؟!! وفي صــلاة أوشـية الثمار يطلب الكاهن "من أجل كل شــجرة مثمرة في المســكونة", وها نحن نخنق الشجر من قبل أن يُزرع, ونسحق الثمرة قبل أن تظهر.

مـاذا حدث لي تركت عملي كمربي فـاضـــل ومحبوب من هيئـة التـدريس ومن تلاميذي, ونجاحي في التدريس إلي أقصــي حد, (فما تزال سـيرتي الحسـنة تتناقلها الألسن حتى بعد مرور سنوات) ودخلت الدير كي أساعد الرهبان علي ارتكاب جرائم ضد البشرية جمعاء.

أنخصِّـب أرض الدير وندعمها علي حسـاب أرض الوطن, أرض الفقير والأرملة والغريـب واليتيم, أرض أختي مـارينـا وفـاطمـة وأخي محمـد وحنـا, وأمي راعوث وزينب, أنني أتمزق داخلياً, كتمت الأمر في قلبي ولم أبح به لأحد.

أكتشف العمدة المصيبة ونما إلي علمي معرفته بالكارثة.

لماذا لم أتكلم؟!! أهو الخوف أهو الرعب الذي ســببه لي الرهبان؟!! هل أنا جبان؟!! أم شجاع هُزم وتذلل؟ لم أعد أعرف. هل خفت من هذا الراهب المتغطرس؟ ولمن أتكلم؟ للأب الروحي الذي يوكل كل هذه الأعمال وأكثر لهذا الراهب؟ وقد شــكوت من قســوته وأســلوبه الفظ للأب الروحي, فكان يقول لي "عليك بالطاعة

والتحمل لأجل مصلحة الدير" هل يئست من الشكوى لأن الأب الروحي كان لا يملك كبح جماح هذا الراهب ولا يستطيع أن يردعه؟ فكثيراً ما تمرد عليه وضرب بكلامه عرض الحائط.

لكن ومهما كانت الأسـباب لا أسـتطيع أن أبرئ نفسـي, فأنا سـكتُ عن الحق, كتماني هذا صـار حجراً في بطني يوجعني من حين لحين, ملازماً لي دائماً, ولعل بَوحِي به الآن يخفف آلامي!!

***

3
اعترافات راهب مصري

مأساة أبونا "أنج"

كان الأب الروحي ينتدب راهب يحل مكاني بالمخبز عند عملي خارج الدير, وبعد عودتي وانتهاء العمل خارج الدير, أمرني الأب الروحي, بالعمل في حظيرة الدواجن, وأنتدب راهب آخر للعمل بالمخبز, فجعل راهبين يقوما بالعمل الذي كنت أقوم به وحدي في المخبز.

في بداية عملي بالدواجن أرســـل أبونا "أنج" للأب الروحي يطلبني للعمل معه بالزراعة. قابلني الأب الروحي وطلب مني معاونته, فسألته نصف يوم أم يوماً كاملاً؟ كان سـؤالي مفاجأة مفرحة له, رفع حاجبيه واتسـعت عيناه وانفرجت أسـاريره وكأنه كان يبحث عن حل ووجد في سؤالي الحل فقال نصف يوم والنصف الآخر بالدواجن.

كلما كان موقع الإنسـان ضـئيلاً ومسئوليته صـغيرة, كلما كان خطوه صـغيراً وفي حدود مســئوليته, وكلما كان مركزه حســاســاً ومســئوليته كبيرة كلما عظمت نتيجة أخطاؤه, لذلك يكون خطأ القادة الروحيين, والقائمين علي الدين جسـيما, ولاسـيما أن المسيحية تلزم المسيحيين بطاعة مرشديهم في الرب, ولم يكن في حسبان المسيحية أن المرشدين هم ذئاب الرعية, يسرقون الغنم ويذبحونها ويخطفونها ويلعبون بمصائر الذين يسيرون خلفهم.

لقد كانت حكاية أبونا "أنج" مهزلة بكل المقاييس.. لم يقصـها عليّ إلا بعد سـنوات من العمل معه, إلا بعد أن أستوثق من حبي الشديد له وقدرتي علي حفظ أسراره, ففي ذات ليلة والرهبان في سـكون وكنا أسـفل تكعيبة العنب علي بعد أمتار من قلايته, بدأ يسرد لي قصته.

كان الرجل بريئاً كالطفل بســيطا كالحمام, ينســـاب إلي أعماقك من أول لحظة, تسرقك حلاوته وابتسامته العذبة خاصة إذا نظر إليك من خلف نظارته السميكة بعينيه الخضريان, وحبه الشديد يأسرك, يضحك يهرج يمرح يداعب دون كلفة ودون تعقيد.. تراه يطفر ويقفز فتحسـبه في رحلة سـعيدة وأنه حتماً سـيعود إن آجلاً أم عاجلاً, كان يحب الجميع والجميع يحبونه.

***

كان الأب "أنج" من القائمين علي قطاع من قطاعات الزراعة, الزراعات الخاصة بالخضـروات الأجنبية التي تباع للفنادق, كان عمله مهماً ومربحاً للدير لذا كان مميزاً ومدللاً في نفس الوقت, كـان يزرع الفينوكلي والبوكلي والكول رابي والبروكســـل والإنديف والكُوف ... لم يكن يهتم بالعبادة في حد ذاتها, ولكنه يذهب للكنيســـة لأن جميع الرهبان يذهبون, ويصـــوم لأنهم صـــائمون, لم تكن له حياة رهبانية قوية, لكنها محاكاة, كان يجبر نفســه أحياناً لكي يقلدهم, وأحياناً لا, فإن هو رغب قلدهم في العبادة وإن لم يرغب يهز كتفيه باسـتخفاف ويتركهم, وكأن الرهبان يلعبون لعبة سـخيفة هو في غني عنها.

كان يقول لي "أنا أغلق علي نفســـي وأغني, وأردد أغاني "أم كلثوم" وفي احدي المرات كنت أغني أغانيها في نزولي الســـلالم وفجأة وجدت أب الاعتراف أمامي وجها لوجه.

كان الأب الروحي الأول علي كلية الصـــيدلة في زمانه.. وكانت قدراته تمكنه من أكثر من ذلك, الذكاء الخارق والذاكرة الحديدية, والمهارة في فن الرســـم .. وعزف الموسيقي.. ومواهب أخري, ولكنه عندما تقدم ليكون معيداً بالكلية- كما قص هو علينا ذلك- رُفض بغير وجه حق, أثر هذا الرفض في نفســـه كثيراً, فَقدْ فَقدَ مكانة علمية وأدبية كبيرة, ولكنه حاول تخفيف حدة هذا الرفض بطرق أخري ونجح.. فقد كان طموحه لا يقف عند حد.

وبعد أن وصل إلي هذه المكانة الدينية الرفيعة (الأب الروحي للدير ومؤلف كتب) ظل يحن للمعيدين وأصحاب الدراسات العليا, ولا يكف عن ذلك فلا يكف عن نصب الفخاخ حول المعيدين والحاصلين علي الماجستيرات والدبلومات المتخصصـة, فإن سمع أن أحدهم في زيارة للدير, يترك أعماله ومشغولياته ومسئولياته, وينزل (بجلالة قدره) لمقابلته, علي الرغم من رفضـه مقابلة أكبر الزوار حتى لو كان أسـقفاً, وما أن يجلس إليه يدير الحديث ويدير ذهنه أيضـاً, ويقع المسـكين في حبائله, فهو بارع في تصـوير الدير والحياة الرهبانية, فيرسم له في الأفق من خيوط الأوهام وألوان الخيال صـورة جميلة لمستقبل بديع في الرهبنة, صـورة في الشـفق البعيد لخيال مريض لأب روحي لم يسـتطع تحقيقها علي أرض الواقع, فزادت مغالاته في رســـمها رغم أن الواقع مرير, كانت له قدرة علي خلب اللب والسحر بالكلام فيقع سامعه فريسة سهلة له منفذاً رغبته التي لم يعلنها صـراحة, بل احتال علي سـامعه بأسـلوب ناعم فحمله علي رغبته, فيترك المسـكين العالم والعلم ويأتِ ثانية إلي الدير طالباً المعيشـة الدائمة به.

كان أبونا "أنج" الأول علي كلية الزراعة بجامعة القاهرة, (وقد وثق ذلك راهب كان بنفس الدفعة), كان قد أعد رسـالة الماجستير وكان ميعاد مناقشـتها يوم سـبت قال: **"قلت في نفسي أذهب يوم الخميس السابق مباشرة للسبت لكي أأخذ بركة الدير."**

نحن كأرثوذكس ورثنا عن أجداد الجدود معتقدات كثيرة خاطئة, فنحن نقدس الأشـياء الرمل والزيت والأيقونات.. نقدس الأشـــخاص فلان القديس وعلّان الســـائح ونقدس الأماكن الكنائس والأديرة, لكن الكتاب المقدس كتب ضـد هذه المعتقدات. **"لكن العلي (الله) لا يسـكن في هياكل مصـنوعات الأيادي كما يقول النبي (أع 7 : 48) بل يســـكن في** الناس **"فأنكم انتم هيكل الله الحي" (2كو 6 : 16) وعلي ذلك الله لا يسكن الأحجار والأشياء,** فقد أعتقد بطل قصتنا ولنفرض أن أسمه كان "رأفت" قبل الترهب, أن زيارته للدير تجلب له البركة وتســاعده في مناقشـــة الرســالة إن لم تكن تضمن له درجة الامتياز, يستكمل حديثه قائلاً:

"توجهت إلي الدير حاملاً رسالة الماجستير لتأخذ هي الأخرى بركة الدير, ولم أكن زرت أي دير من قبل, فقد كانت هذه زيارتي الأولي, وبينما كنت أغط في النوم, إذ أن السفر للدير شاقاً, كما أن الهدوء فيه يساعد علي النوم الهادئ العميق, إذ بأحد الإخوة يوقظني, فقلت: ماذا؟ فقال: أبونا رئيس الدياكونية[10] أرسلني إليك وهو منتظرك بالكنيسة, كانت الساعة تقترب من الخامسة صباحاً, فقلت في نفسي من رئيس الدياكونية؟ وما هي الدياكونية؟ أنني لا أعرف أحد هنا ولا يعرفني أحد, ربما يكون حضور الكنيسة إجباري, وهو يريد حضوري التسبحة, أنني لا أفهم ما يقال في القداس بالعربي فكيف أتابع التسبحة بالقبطي (اللغة القبطية) وأنا لا أعرف حرف فيها, وغلبني النعاس ونمت, وإذ بأخ آخر يأت ويطلب مني الحضور ولكني نمت أيضا, فعاد الأخير ثانية ووقف بجوار السرير ولم يتحرك وأصر علي أخذي معه, ارتديت ملابسي ونزلت معه للكنيسة.

أخذني شيخ من يدي, متوسط الطول ذا لحية ناصعة البياض, وقادني إلي مقصورة بها أجساد قديسين.. ووقف أمام الأجساد الموضوعة داخل أنابيب خشب مُغطاة بقماش سميك لونه نبيتي غامق, وشرع يتمتم وأرتفع صوته وكان يصلي باللغة القبطية التي لا أعرف منها شيء, ويعود للعربية, وهكذا ينتقل من هذه لتلك, وأنا في دهشة وصمت, ولا أدري ماذا يحدث, إلي أن قال: "عبدك الأخ "رأفت".. أقبل تكريسه لك بالكامل و.." فأدركت أنني المقصود بهذه الصلوات, ولكن لماذا أنا بالذات دون الشباب الزائرين للدير؟ وتناول الشيخ جلباباً بني اللون كان موضوعاً علي الأجساد وقال "إحني رأسك" فانحنيت فوضع الصليب الذي كان يمسكه علي رأسي ويده الأخرى تحمل الجلباب, وعاد للقبطية ثم العربية.. وأخيراً ألبسني الجلباب, انتابني القلق المريع والتوتر وازدادت ضربات قلبي وصرت أتنفس بصعوبة, وأكاد أن أختنق وكدتُ أن أسقط فاقد الوعي, ما هذا الغموض وهذه الرهبة, ولم ألتقط أنفاسي حتى تناول أيضاً حزاماً عريضا جداً لم أري له مثيل في العالم.. عليه أشكال وصلبان ولفه حول وسطي, ثم وضع علي رأسي طاقية بنية اللون, كل هذا أثناء التسبيح باللغة القبطية, ثم قال لي:"مبروك" ثم قبَّل كتفي اليمين ثم اليسار, وعاد هو إلي التسبيح وتركني في ملابسي هذه, والذهول كاد أن يقتلني.. ماذا يفعلون بي هنا؟ وما المقصود بحشري في هذه الملابس.

أفقت لنفسي ونظرت حولي أستطلع لعلني أفهم شيء, ولكني لم أستطع فالرهبان منهمكين في التسبحة, منهم من يسبح عن ظهر قلب وقد أغمض عينيه ورفع وجهه لأعلي, ومنهم من يستعينون بكتب التسبحة, ومنهم الصامت الذي أطرق بوجهه إلي الأرض, وراح في فكر عميق .. ربما يفكر في العودة وترك الدير, كل منهم مندمج تماما فيما يقوم به, حتى ذلك الراهب النائم مقرفصاً في آخر الكنيسة مندمج جدا لدرجة أن صوت شخيره كاد أن (يغطي) علي صوت المُسبحين."

---

[10]) الدياكونية : المطبخ المخبز المائدة, رئيس الدياكونية : المشرف علي هذه الأماكن بالإضافة علي مخازن الأطعمة وملابس الرهبان

توقف أبونا "أنج" عن السرد وكأنه أراد أن يتمالك نفسه ويلتقط أنفاسه, وأخرج زفيراً طويلاً مؤلماً وكأنه أراد أن يحملهُ آلامه ويطردها خارج أحاسيسه وذكرياته, فأحسست بألمه, ورق قلبي له فأنا أحبه جداً. وعاد ليستكمل:

"كان عليَّ أن أنتظر حتى نهاية التسبحة.. وانتهت, وإذ بالرهبان يقعون علي عنقي يقبلونني واحداً فواحدٍ, ثم جاء دور الإخوة تحت الاختبار وقبلوني أيضا واحد بعد الآخر, بعضهم كان فَرِحا وبعضهم قال" شد حيلك" بنبرة جعلتني أشعر بأنني سأدخل في محن كبيرة الله وحده يعلم مداها, والبعض الآخر قال ربنا يقويك وتكاد الدموع تفر من عينيه, والبعض تحس بحرارة عواطفه, وآخرين تحس بالحسرة في أعينهم لسان حالهم "خسارة شبابك سوف تدفن نفسك هنا", ولم أكن أفهم شيئا.

كنت أظن أن المشكلة تنتهي عندما أدرك ماذا يجري, ولكن حين أدركت بدأت المشكلة الحقيقية. ألبسوني الزى لأكون أخاً تحت الاختبار (أي طالب رهبنة), كيف ذلك وأنا لم أطلبها يوماً؟ بل حتى لم تطرأ علي فكري!! وبينما الإخوة ملتفين حولي إذ بى شارد الذهن لا أكاد أسمع دعواتهم وبالكاد أرد علي مجاملاتهم, أخذوني في طريق أخر غير الذي أتيت به إلي الكنيسة, وصعدوا بي درجا عالياً, وأدخلوني حجرة بها سرير وطاولة وكرسي, وأحضر لي أحدهم إفطاراً وقال لي "أفطر وأشبع نوماً" وسوف نأتيك علي الغداء لنأكل سويا في المائدة. وسف نكمل لك كل ما ينقصك في القلاية.

تركني قبل أن أنطق بكلمة. وإذا بالحجرة تدور بي وكأنها انطلقت في الفضاء حيث لا جاذبية حيث لا يعرف المرء أعلي من أسفل ولا اليمين من الشمال, فإذا أردت أن أستند علي أحد جدرانها يبتعد الجدار عني, وما أكاد أن ألمس الجدران الآخر حتى يبتعد هو الآخر, ولكني يجب أن أعود اليوم إلي منزلي لمراجعة بعض النقاط الهامة في رسالة الماجستير فغداً ستناقش الرسالة في حضرة أساتذة الكلية وطلابها والأهل والزملاء الذين طالما رأوني الأول والمتفوق .. تذكرت الآن أوراق الرسالة أين هي؟!! إنها هناك بالمضيفة بجوار السرير.. يا ليتهم يحافظون عليها, ليت أحداً يأتيني من المضيفة لأطمئن علي أوراقي, إنها ثمرة تعبي وسهر الليالي وأمل العمر كله.

دعوت من كل قلبي يا رب أرسل راهباً يأخذني للمضيفة, ولكن كيف سأعود إلي البيت؟ وهل يمكن أن أخلع عني هذه الثياب, لم أكن أتوقع عرقلة مناقشة الرسالة, أريد الخروج أريد رسالتي وأمي وكليتي وزميلاتي وزملائي, لم أقترب من الطعام ولا استطعت أن أهدأ.

شمل الدير سكون رهيب لم أسمع صوت حركة تحميل أو تفريغ, بل لم أسمع صوت إنسان ولا زقزقة عصفور ولا نباح كلب ولا مواء قطة, ونظرت من نافذة الحجرة الوحيدة, فرأيت أحواض الزرع واجمة, ونبتاتها ساهمة, وجمد الهواء مكانه كل شيء كان حزيناً.. سرتُ آلاف الكيلومترات دوراناً في الحجرة أسأل نفسي:

" ألم يكن باستطاعتي أن أصَرِّح للرهبان والإخوة أنني أتيت للزيارة فقط, وأخذ بركة المكان ليس إلا؟ وأن ليس لي علاقة بالرهبنة؟ ولكن لساني معقود, وأنا في ديرهم وواقع تحت سيطرتهم, وليس لديَّ الجرأة, كيف كنت أفاجئهم وأقلب فرح البعض بي إلي غم؟ وماذا ستكون نظرتهم لي؟ متخاذل ضعيف يحب شهوات الدنيا؟

وجدت نفسي لأول مرة أسمع صوت نفسي , وليس معي أحد, وأشير بيديَّ مرة, وأخري أري نفسي محامياً يترافع في قضيتي وأرتب بنود المرافعة: أولا.. ثانياً.. ثالثاً.. وهكذا.. هل جننت؟ هل فقدت صوابي؟ وصممتُ علي العودة للمنزل. كانت الدقائق لا تمر وكأنها دهوراً طوالاً ثقيلة مظلمة.

في الثانية عشر حضر اثنان من الإخوة لأخذي إلي المائدة, كانت البشاشة تطغي علي وجهيهما فقلت لهما أريد مقابلة أبونا رئيس الدياكونية. قال أحدهم سوف أبلغه رغبتك, دخلنا المائدة.. كان جوها مهيباً, كل شيء فيها مرتب منظم, المسافات بين الأشياء محسوبة بدقة متناهية, لا أحد يكلم أحد. كل فرد يجلس أمام اسمه, ووجدت أمام الكرسي الذي أجلسوني فيه لافته من خشب مكتوب عليها "الأخ رأفت", أحسست بالجوع في تلك اللحظة وبدأت في الأكل, وتلصصت بعينيَّ علي هذا الوجوم المحيط بي, كل راهب مطأطئ الرأس ومنهمك في طعامه, هذا سمح لي بحرية أكبر في التطلع إليهم, وكان هناك راهب يقف علي منصة يقرأ ما عرفته فيما بعد, كتاب "بستان الرهبان" وبالطبع لم أع ولا كلمة مما قرأ.

في طريق إعادتي إلي القلاية أكدت بشدة علي الأخ "أحتاج مقابلة الأب رئيس الدياكونيه لأمر في غاية الأهمية", مرت ساعة واثنتين وثلاث ولم يأت, لماذا لم يكن موجوداً بالمائدة؟ أليس جميع الرهبان يطبق عليهم نظام واحد؟ علمت بعد ذلك أن المائدة للرهبان العاديين أما هو وعدد من المسئولين يأكلون في قلاليهم طعام خاص, لماذا لم يأتِ؟ ألم يبلغه الأخ؟ أم نسي الأخ؟ أم تناسي هو؟ وقرب الغروب جاء بصوته الجهوري الذي ملأ المبني, وبارك لي مرة ثانية وأمطرني بسيل من المديح والإطراء والجمل المنمقة ولم يتوقف وعرف ما يدور بداخلي فأجاب مباشرة علي أسئلتي التي لم أتفوه بها.

"يجب أن تفرح يجب أن تقفز من السعادة أليس لديك ثقة في الله .. أليس لديك إيمان.. لقد اختارك الله" فكرت في نفسي: أيختارني دون أن أختار أنا؟ أيختارني رغماً عن أنفي؟ وأستكمل فهو يعرف أفكاري التي لم أنطقها وأجاب وقال نعم سألت الأب الروحي عنك فقال "لقد جلست معه وهو صالح لطريق الرهبنة, وكلفني أن ألبسك الزى, والحقيقة قد حدث لبس فقد كان الأب الروحي يقصد الأخ عادل المتقدم للرهبنة وليس أنت.. ولكنك لبست الزى.. هذه إرادة الله.. هذه هي مشيئة الله.. وعلينا أن نطيع, فالطاعة لله خير من تقديم ذبائح, وأبن الطاعة تحل عليه البركة, "إبراهيم" أطاع الله و"ارميا" أطاع الله .. وتركني ولم يعطيني فرصة لا لأتكلم بل ولا لأفكر.

تركني ولدي بعض الجلد والتماسك اللذان يأتياني حينما تكون المصائب لا تطاق, فكم من أمور صغيرة هزت كياني وقلبت معدتي, وكم من مصائب ثقيلة شعرت فيها بالتجلد. ولكن هذه فاقت كل مصيبة.

كان يحاول إقناعي بكلامه عن زوال هذا العالم, وعدم نفع الزواج, وأن كلها أشياء باطلة, وليس باقياً سوي العمل الروحي, الصوم والصلاة والعبادة والزهد في الحياة, لم أكن مقتنعاً بشـــيء بما يقوله, فالأشـــياء التي يقنعني بعدم نفعها هي هي عين ما أشتهيه, ولا يمكن أن أبدلها بالأشياء التي يدفعني لقبولها والتمسك بها اللهم إلا وضعوا لي عقل الراهب مكان عقلي.

علي أي حال ضاعت الفرصة للعودة إلي المنزل, ومناقشة الرسالة, وبمعاملاتي في الدير سنة بعد سنة صرت أكتشف قليلاً قليلاً أن هناك سلوكيات بها غش في الدير, وتسـرب إلي نفســي أنهم غشـوني, وأني خدعت فلا اختارني الله ولا كانت مشـيئته, فبدأت بالدخول في الأزمة النفسية. فكيف سأل رئيس الدياكونية عني وأنا ما لبثت في الدير سوي سويعات قليلة, ولم يكن يعرف عني شيء, ولم أطلب الرهبنة لا تصريحاً ولا تلميحاً, كيف سأل عني وربما لا يعرف حتى أسمي, كل ما كان يعرفونه هو أنني سأناقش رسالة الماجستير.

أنها جريمة لا تُغتفر, إذا ســـرق عامل تفاحة وأكلها يطرد فوراً من الدير, مع أن القانون العرفي يجيز له ذلك, والكتاب المقدس يقول "لا تكمم ثوراً دارســـاً" بمعني عدم حرمان الثور الذي يقوم بالدريس من أن يتناول قضمة مما يعمل به, وإذا سرق إنسـان شيء يعاقب, فبماذا يعاقب من سرق إنسـان بجملته, إنها جريمة ضد قانون الدولة وضد الإنسانية.

لو كان الأب الذي يدَّعون أنه روحي لديه روح حق وصـــدق, لطلب مني مغادرة الدير فور علمه بالبدل الذي وقع, وكان عليه أن يكلف ســـيارة تحملني إلي منزلي ظهر الجمعة لأستطيع مناقشــة الرسـالة صباح السبت. ولكن كان الأمر دسيسـة مقصــــودة, وإلا لماذا شـــدد رئيس الدياكونية علي أن لا أبوح لأحد بما حدث مدي الحياة, وأن يظل ما حدث في طي الكتمان المطلق.. كانوا يعلمون أنه لو عرف بقية الرهبان الأمر, خاصـــة أنهم علي علم بحوادث الغش فســـوف تكون هناك فضــيحة للأب الروحي ومعاونيه, وسـيفتضـح أمر احتيالهم عليَّ لاصـطيادي فريسـة سـهلة سائغة.

عشت حياة التخبط في الدير كسفينة تخبطها الريح, وتحطمها الأمواج, فحين كنت في العالم, لم أكن أسـتطيع أن أزيد عن خمسـة أو عشـرة دقائق في الصـلاة بفردي, فكيف أقضـــي ســاعات في الصــلاة, وإذا ذهبت لحضــور القداس وهذا نادراً ما كان يحدث, أمتلئ بالملل, فتارة أقف علي رجلي الشـمال, وتارة أسـتبدلها بالرجل اليمين, وأجلس حينما يجلس المصـــلون, وأقف لأنهم وقفوا, ولا أدري لماذا جلســوا ولا لماذا هبوا واقفين, ولا أفهم ما يقال خاصة إذا كانت الصلاة باللغة القبطية, وأقول في نفسي

إلا يفهم الله إلا باللغة القبطية؟ وإذا غلبني الســـأم أترك القداس متذرعاً بأي حيلة لأخرج لفناء الكنيسة, أداعب الأطفال وألاعبهم حتى يمضي الوقت, فكيف أعيش حياة كلها صلاة وكلها كبت؟!! وإذا كان صوم أصوم إلي الساعة العاشرة صباحاً وهذا آخر ما لديَّ.

فجأة وسط هول هذه الأحداث تذكرت أمي وأختي المسكينتين أنهما لا تعرفان أين أنا, القلق والهلع لغيابي ســوف يدمرهما, لأنني كل من لهم في هذه الحياة, ولا توجد وسيلة اتصال مطلقاً, كل ما يعرفانه أني تركتهم يوم الخميس لأزور الدير لأخذ بركته قبل مناقشـــة الرســـالة, إن قلبي يأكلني عليهما. فلا تعلمان لأي دير ذهبت بالتحديد فالأديرة كثيرة, قال أنها إرادة الله وهل يريد الله كل هذه (اللخبطة) وكل هذا الحزن والقلق لوالدتي وأختي؟ إرادة الله أن لا أحقق أحلامي في الحصـــول علي الدكتوراه؟ والزواج؟ هل يقف الله حائلاً بيني وبين طموحاتي؟

حضـــرت المســـكينة أمي وأختي بعد أســـبوع إلي الدير, باكيتين نائحتين هدتهم المعاناة والقلق والبحث عني, ســـألتا لماذا لم تعود للمنزل؟ لماذا لم تأت لمناقشـــة الرســـالة؟ ما الذي جعلك تتركنا دون خبر؟ هل جننت؟ قلت "لا"؟ هل ترهبت؟ .."لا" إذاً ما هذه الملابس البُنية التي تلبســـها؟ "أنها لزوم العمل هنا في الدير". الآن هيا معنا.. "لا" لا أســـتطيع اذهبا وســـوف أعود إليكما بعد أســـبوع. ومر أســـبوع وأســـبوعان وأربعة أشـــهر, وعادت أمي وأختي المســـكينتين باكيتين متوســـلتين "لا تتركنا لا نعرف أن نعيش بدونك" هل ترهبت؟ "لا" إذا ما هذه الملابس التي تلبسها؟ وكانت سوداء حيث تم رسامتي قلت "أنها لزوم العمل هنا في الدير" الآن هيا معنا.. "لا" لا أستطيع. اذهبا وسوف أعود إليكما بعد أسبوع. رحلت أمي وأختي عن الدير ورحل معهما قلبي. فالمســـكينتين ليس لهما ســـواي- كما قالتا- بعد موت أبي. ومر أسبوع وأسبوعان وسبعة سنوات؛ كنت علي قناعة تامة بعدها أن لا علاقة لي بهذه الحياة وهي لا تناســـبني إطلاقاً. وأن ما أقوم به هو تمثيل في تمثيل, كان نجاحي في الدير هو مجال تخصـصـــي الزراعة فقط, التي ســـاعدت علي جلب كميات هائلة من العملة للدير.

أما أنا ففارغ من الداخل.. لا هدف ولا طريق ولا رغبة حتى في الحياة, فتركت الدير وعدت للمنزل, ولكن للأســـف كل شـــيْ قد تغير, فالذين كانوا يبكون لفراقي أستاؤا أشد الاستياء لعودتي, وكأنني قمت بعمل أخرق أحمق فاضح, كانوا يفتخرون بي ويضـــعوني في عداد الشـــهداء, ولكنهم الآن أمام خائن جبان ترك ســـاحة الوغى وعاد منقلباً مهزوماً متخاذلا, حتى أصـــدقائي لم يأتوا لمقابلتي. وكان لكلمات ابنة خالتي تأثير شديد علي, كانت عطوفة معي قبل الرهبنة وتحولت للقسوة فقالت "هل تركت الرهبنة لكي تتزوج؟ أتترك القداسة من أجل شهوة باطلة؟ كل هذا فضلا عن ضـــياع مســـتقبلي, فلم أســـتكمل دراســـتي ولا توظفت ولم ألتحق بأي عمل قبل تلك الزيارة المشئومة للدير. كيف سأغير ملابسي؟ وكيف أبحث عن عمل وأنا مرفوض من المجتمع؟ بأي قدرة أواجه نظرات المســـيحيين التي تعنفني وتثقب أعماقي, وربما ينظر إليَ إخوتي المسلمين نفس النظرة, وحبست نفسي في حجرة في المنزل

وبعد مدة لم أجد بدا من العودة للدير.. أكمل فيه حياة اليأس والضـياع وعدم القيمة والتزييف والتمثيل, الحياة التي بدأت يوم زيارتي للدير ورؤيتي للرهبان يوم ألبسوني الثوب البُني رغما عني.

عاد الراهب "أنج" للدير وعمل به ست سنوات أخريات, وكنت أعمل معه نصف يوم, ثم تفرغت للعمل معه اليوم كله, كان يحبني حباً عظيماً, وكنت أحبه أكثر من نفسـي, أحياناً كان يقول لي لا تذهب للدير لتناول الغداء بالمائدة.. بل أبق في المزرعة.. وتكون المفاجأة, وجود بعض الرهبان دعاهم أيضـاً, وقد أعد لنا الغداء "محشـي كرنب" الذي كان ممنوعاً في الدير, علي اعتبار أنه رفاهية, لم تكن لديَّ رغبة في تناول المحشـي فكيف أميز نفسـي عن بقية الرهبان, وفي نفس الوقت لا أستطيع أن أعكر صـفو هذا الطفل البرئ, الذي كان يفرح بعمل المحشـي لنا ويقفز كالأطفال ويظل سعيداً عدة أيام بهذا العمل.

قال لي الأب "أنج" يوماً وكنا بالفترة الصـباحية للعمل, اليوم الأحد وبعض العمال لا يعمل اليوم, أذهب ظهراً وأحضـر أكبر عدد من العمال كي نجمع نبات البروكسـل كله دفعة واحدة, ونقتلع جذوره ونزرع البروكسـل الجديد مكانه ذو الحجم الكبير, وفعلت وبدأنا في الجمع ولم يحضـر, وانتظرت أكثر ولم يحضـر, فأوقفت سـيارة وكانت لرأس كبيرة في الدير, فقال لي بتجهم "ماذا تريد؟" قلت الذهاب للدير لإحضار أبونا"أنج" للعمل, وما أن ذكرت أسمه حتى أحمَّر وجهه وأغر ورقت عيناه بالدموع وأشاح بوجهه عني قائلا:"الأب أنج مشـي" وأنطلق مسرعاً, ولم أجده لأفهم ماذا قال وما هو قصده. ترك تصرف هذا الراهب في أعماقي إحساساً عميقاً بالخوف والرهبة والتشـويش.. في نهاية اليوم عدت إلي الدير ووجدت إعلاناً كُتب فيه "عظة روحية للأب الروحي في تمام الساعة السابعة اليوم"

كنت قد تعودت علي غياب أبونا "أنج" فقد كان يتغيب كثيراً في الفترة الأخيرة, ولم أراه أثناء العظة, رغم أن الحضـور إجباري.. وتحدث الأب الروحي سـاعتين كاملتين عن المحبة والتسامح والرجاء..إلي آخر ما كان يردده من إدعاءات وأكاذيب, وفي نهاية العظة تغيرت نبرة صـوته وصـارت نبرة حزينة جداً وقال:" **لقد فارقنا اليوم أخ عزيز علينا.. أنه لشيء مؤسف ومحزن للغاية لقد ترك الدير ورحل"**

كان رحيل أي راهب من الدير صدمة شديدة بالنسبة لي. كان يصاحبني بعدها غم شديد وألم لفترة طويلة لا تقل عن شهر, إن أكبر ما كان يؤثر فيَّ في الدير رحيل أحد الرهبان, فقد كنت أحس أن قطعة مني فارقتني, وأظل أفكر فيه ليل نهار.

وقف الأب الروحي يصلي ووقفنا خلفه لم أحفل بصلاة الأب بعد قوله هذا ولم أكن أطيق صبراً كل ما كنت أريده هو معرفة من الذي ترك الدير. صُعقت حين علمت أنه الأب "أنج", كم كان ذلك قاسياً وعنيفاً علي نفسي, كانت ليلة ذلك اليوم سوداء بمعني الكلمة قضـيتها بمعاناة شـديدة, وفي الصـباح ذهبت لمكان عملي معه ورأيته في كل شـبر في الأرض التي زرعها وبكيت من أعماقي طول يومين ولم أزق الطعام لمدة يومين, وكتبت للأب الروحي الذي حضر بنفسه في مساء اليوم التالي وواساني وقال "لا تبكِ وأذهب تناول الطعام"وكاد أن يبكي هو أيضا.

كان الأب رئيس الدياكونية غائبا عند وقوع هذه الأحداث, وعند عودته رآني في حزني وغمي الشديدين, فقال لي "أنت حزين علي أبونا "أنج"!! قلت "نعم" فقال لي :"ما تعرفش أبونا الروحي طرده ليه؟" فشهقت شهقة كبيرة وفتحت عيناي وفمي, وقلت "طرده؟" ولم يتفوه بكلمة وتركته للحال.

حيث كانت المفاجأة مرعبة بالنسبة لي, الأب الروحي يطرده بعد ثلاثة عشر سنة قضاها في خدمة الدير والرهبان؟ خاصة أني من بين القليلين الذين يعلمون بأن الأب هو الذي اختار له هذا الطريق, فكيف يطرده الآن؟..أدخله الرهبنة احتيالا وبعد أن ضيَّع مستقبله يخرجه منها طرداً.. يا ويلي.. يا ويلي.. ويا ويل الرهبان والرهبنة. كيف صلي أمامنا أن يرافقه الله ويحفظ حياته بعد تركه للدير وبح صوته وبكي أمامنا؟ إن مشي القاتل في جنازة القتيل لهو أسهل وأيسر بكثير من أن يصلي القاتل بدموع من أجل القتيل الذي قتله. أدخله الدير وبعد ثلاثة عشر سنة طرده من الدير.

سمعتُ بعد ذلك أنه تزوج وأنجب.

في الشهور الأخيرة كثرت زيارات الأب الروحي لأبونا "أنج" بالمزرعة قبل أن يطرده, وكانا يختليان ويتحدثان كثيراً, علي الرغم من أن كثير من الرهبان, يتمنون لقاء الأب الروحي ولو لخمس دقائق فقط, تري هل نشب خلاف بينهما؟ هل تشجع أبونا أنج وصارح الأب الروحي بأنه أفسد عليه حياته ومستقبلة؟ أم أن ضمير الأب الروحي صحا فجأة بعد ثلاثة عشر سنة وأراد تصحيح خطأه؟ أم أقتنع الأب بعد هذه المدة بعدم جدوى وجود الأب "انج" بالدير؟ أم أن وجود الراهب "أنج" أمام الأب الروحي كان يذكره دائماً بما أقترف من ذنب عظيم في حقه, وتراكم هذا الضغط علي أعصاب الأب الروحي فلم يعد يطيق صبراً فأتخذ قراراً بإخلاء سبيل الراهب؟ هذا بفرض أنه كان لديه ضمير أصلاً ليصحو أو يفيق!!

4
اعترافات راهب مصري

حكم قراقوش

كانوا ثلاثة إخوة ترددوا علي الدير منذ نعومة أظفارهم, وأحبهم الرهبان وتعهدوهم بالتربية والرعاية, وعندما اشتدت سواعدهم علمهم الرهبان قيادة الجرارات الزراعية واللوادر والبلدوزرات, فقابلو هذا الجميل بالحب والولاء للدير وللرهبان, وقاموا بتنفيذ الأعمال المطلوبة منهم دون أن ينتظروا مقابل مادي.

كان الأخ الأوسط حاد الطباع قليلاً, وذات يوم تلقي أمراً تعسفياً بترك العمل الذي كان علي وشك الانتهاء منه, والبدء في عمل آخر في مكان آخر, ونظراً إلي أن تغيير مكان عمل البلدوزر من الأمور الشاقة خاصة أنه يسير ببطء شديد.. أصر هذا الأخ علي إتمام عمله قبل مغادرة المكان, قوبل هذا الموقف بعقوبة تعسفية ويقال أنه قام بتعطيل الآلة التي يعمل عليها أخيه, فقام الدير بطرده خارجاً, وهي أقصي عقوبة توقع علي العامل, فبالإضافة إلي (قطع عيشه) فالفضيحة تنتظره في بلدته.. فمعظم سكان قريته مسيحيين ومنهم من يعمل بالدير.بالإضافة إلي أن قوانين الدير لا تسمح بدخول العامل المطرود نهائيا إلي داخل الدير, كما لا تسمح بدخول الراهب الذي ترك الدير, حتى لو ندم وأراد أن يستكمل حياته فيه, غير أنه حدث خرق للقانون الثاني عدة مرات, وقد أتخذ قرار الطرد الأب الروحي, إذ لا يستطيع أي راهب أن يتخذ قراراً مثل هذا.

بحث الأخ الأوسط عن عمل فوجد عمل لدي شركة لا تبعد عن الدير كثيرا, اشتاق إلي أخويه وإلي العمال زملاؤه, وحن حنيناً أن يري الرهبان فارتباطه بالدير شديداً فقد تربي فيه, ونادراً ما يلتقي مع أخويه, حيث لا يتفق ميعاد إجازته مع إجازتهما, فقرر الحضور إلي الدير, وفي مساء أحد الأيام حضر إلي الدير, فرحب به الأب البواب, وكذلك الأب المشرف علي العمال, تصرفا بتلقائية علي اعتبار أنهم بشر, وسمح له الأخير بالبيات مع أخويه, وكاد الأمر أن يمر بسلام وهدوء؛ خاصة أن مساكن العمال تبعد عن مبني الدير بحوالي كيلومتران, إلا أن ذلك عز علي الرهبان الواشين, فكيف يفوتوا فرصة سنحت لهم بالوشاية والتقرب والتودد للرأس الكبيرة, أبلغوا الأب الروحي بما حدث, فاعتبر الأب أن ما حدث جريمة عظمي وذنب لا يُكفر عنه, إذا أخطأنا في حق الله وقدمنا توبة فبرحمته يسامحنا ويكفر عن خطايانا, أما إذا أخطأنا في حق الأب فلا توبة تُقبل, ولا كفارة توجد, واعتبر الأب أن نهاية الدير صارت قاب قوسين أو أدني,

عند عودتي من المزرعة للدير في ذاك اليوم وجدت تعليمات معلقة في المائدة حيث تعلق الإعلانات كُتبت بالخط الأسود الكبير كان نصها:-

نظراً للتسيب الحادث في الدير وعدم الإلتزام بقوانينه, وهو ما يعبر عن سوء الحالة الروحية التي وصل إليها الرهبان وهذا يُعجل بخراب الدير لذا فقد تقرر الآتي:-

1- يُعاقب الأب البواب "ع" بالحرمان شهراً من الكنيسة (عدم دخولها) والصوم لمدة شهر.

2- يُعاقب الأب المشرف علي العمال "ص" بالحرمان لمدة شهر من الكنيسة والصوم لمدة شهر.

3- يصـــوم المجمع كله (الرهبان والإخوة تحت الاختبار) ثلاثة أيام علي القراقيش والملح[11]

الأب الروحي

لكن لِمَ كل هذا؟ أتســـتحق هذه الهفوة كل هذه العقوبات, كان يجب أن يكون هناك مجرد لفت نظر ليس إلا, وبسبب هذه الحادثة تسرب إلي نفسي إحساس بتضخم ذات الأب الروحي المقدس, فالله يصفح ويغفر أما هو فلا. فحين سأل بطرس المسيح هل إلي ســبع مرات أغفر؟ فأجابه إلي ســبع مرات ســبعين مرة في اليوم الواحد, وأراد المســيح بهذه المبالغة أن يقول اغفر دائما وليس إلي حد معين, وها قد مضـــي عامان ولم يصفح الأب للعامل المرة الوحيدة التي كسر فيها قراراته التعسفية. وقال المسيح أيضا "فإن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي (الله) وإن لم تغفروا لا يغفر لكم" (مت6:15).

الشـيء الثاني الذي خرجت به هو إحســاســي الشــديد بالازدواجية أو قل الفصــام النفســـي الذي للأب الروحي, ففي الوقت الذي يفســر فيه الإنجيل في كتب ومجلدات وعظات مســـجلة, لا يطبق هو آية منه, ليت الأمر توقف عند هذا الحد, فهو يرغم الرهبان علي عدم تطبيقه, فالراهب البواب والمشرف تصرفا تصرفا مسيحيا يطابق الإنجيل فضــلاً عن كونه تصــرفاً إنســانياً حين رحبا بالأخ الأوسـط وسـمحا له بلقاء أخويه, فالأب الروحي يريد تجريد الرهبان من التقيد بتعاليم الإنجيل والتخلي عن إنســانيتهما ليطبقوا قوانينه هو وأوامره هو, وإن اعترض أحدهم فمصــيره الطرد من الدير. وإن لم يكن الدير المكان الذي يُطبق فيه كلام الإنجيل, فتري أين يُطبق أفي الخمارات وبيوت الخطية؟!!

ينطبق علي الأب الروحي قول المسيح "**لأنه سيقوم مسحاء كذبة و أنبياء كذبة و يعطون آيات و عجائب لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضا**" **(مر 13 : 22)**, **وقال عنهم أيضاَ "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان و لكنهم من داخل ذئاب خاطفة (مت 7 : 15)**, فهم مسحاء إشارة لمكانتهم الدينية, وكذبة وذئاب خاطفة تأكل الحملان, وتضل المختارين.

تعليق

ليس العامل راهب يلتزم بمبادئ الرهبنة حتى يطالبه الأب بالطاعة المطلقة, ولا يتناســـب العقاب الذي ناله مع الخطأ الذي ارتكبه. كما كان يمكن احتواء العامل بالمحبة والإرشاد, فإن لم يكن في مقدور الرهبان تعليم العمال فمن يستطيع, زد علي

[11]) في قانون العقوبات يصوم الرهبان عن جميع أنواع الطعام عدا الملح والقراقيش وهو الخبز المحمص الذي يتم تخزينه, ويتم إغلاق المطبخ والمخبز, ولا يتناول الرهبان أي شيء قبل الساعة الثالثة ظهراً, ويسمح بشرب الماء فقط بعد الثالثة

ذلك أن حضــور العامل لم يكن للعمل بالدير حتى يطبق عليه القانون, بل مجرد ليلة يقضـــــيها مع أخويه ثم يرحل صــــباحاً, وما قيل عن عقاب العامل يقال عن عقاب الراهبين, فهو لا يتناســب مع الخطأ الذي ارتكباه إن كان خطأ أصـــلاً, لو كان خطأ الراهبين في حق الله لجاز للأب معاقبة الدير كله فنحن أعضاء في جسد واحد, ولكن الراهبين إن جاز القول وهو لا يجوز كسرا وصية شخصية للأب, فليس عملاً سليما معاقبة الدير كله, إذ أنهما أذنبا في حق إنسان وليس في حق الله.

بعد هذه الحادثة مباشــرة أراد الأب الروحي أن يضــبط البوابة ففكر في شــخص يتوافر فيه الحزم والدقة والأمانة, والولاء للدير, وقبل هذه الصـــفات أن يكون هذا الشخص "**غبيا**" أي يطيع الأوامر طاعة عمياء لا يناقش ولا يجادل.. لذلك أرسل لي الأب الروحي أمراً مكتوباً "تم تعيينك علي البوابة" وأوصاني بالتشدد وعدم التهاون في أي شيء.

إهانة القداسة علي بوابة الدير

يختلف العمل بالبوابة عن بقية أعمال الدير,فالراهب البواب عنوان الدير, بل عنوان الرهبنة كلها, فالحكمة مطلوبة في كل تصـــرفاته, فهو واجهة الدير أمام العالم الخارجي, لذا يتم اختيار الراهب البواب بدقة علي أســاس ما يحمل من صــفات كما قال الأب الروحي ذلك في إحدى عظاته, فعلي البوابة يتقابل مع جميع أصــــناف البشـــر, من يأخذ ومن يعطي, من يلتمس الدخول لنوال بركة القديســين لاثماً أقدام الرهبان, ومنهم من يخرج من الدير فاقداً إيمانه في القديســين وبركتهم ولاعناً للرهبان والأديرة, وهناك من يدخل الدير تائباً يذرف الدمع علي ماضيه المُلطخ بالخطية نادماً علي ما أقترف من ذنوب, ويعيش في الدير فترة فتجف دموعه ويســـتريح من وخذ ضميره, فيرتد علي أعقابه, وتسقط من عينيه كل الهيبة التي كانت تملك عليه حياته,

فيعتاد الصــلاة دون أن يصـلـي, ويمارس الصـوم دون أن يصـوم, ثم يخرج من الدير أشر واقسي قلباً مما كان عليه قبل دموعه.

فعلي البوابة قمتُ بطرد الفقير المحتاج, وأدخلت الفتي الموسر, وأرتد المصري عائداً بخيبة أمل, ودلف الأجنبي المنتفخ بكبرياء وزهو, وفتحت الباب لذا الاســـم والشــــهرة, وأغلقتـه في وجـه المحتقر والمغزول, الله اختـار من بين من اختـارهم الفقراء والمنبوذين أما الدير فيختار شــرفاء العالم ووجهائه, وبينما رفضـت دخول رحلة من صعيد مصر إذ بي أفتح البوابة علي مصراعيها لأفواج السائحين, وربما أقترض الفقير أجر الرحلة إلي الدير لحاجته الشــديدة للشــفاء أو لحل أزمة لديه, ولم أســـمح له بتخطي بوابة الدير, في الوقت الذي أرحب فيه وانحني أمام من لا حاجة لهم بدخول الدير.

أحسست بعد وقت طويل قضيته في العمل علي البوابة أني صرت "حماراً" بمعني الكلمة, أطيع الأوامر فقط وأخلي ســاحتي من المســئولية, أم أصــحاب القرار فهم رؤســائي, وما أنا إلا أداة فقط.. هم المفكرون وأنا أنفذ "كالبهيم" المعصــوب العينين المربوط إلي الســاقية, يعتقد في نفســه أنه قطع أميالاً وســافر بلاداً, ويحلم أنه أقترب من المدينة التي مراعيها خصبة ولا عمل بها ولا شقاء ولن يري صاحبه المعتوه الذي يجلده بسـياط من نار مرة ثانية, وبينما يشـعر برطوبة حشـائش المدينة الجديدة تحت حوافره..إذ بالعصابة تسقط من علي عينيه؛ فيصدم لرؤية سياط صاحبه تسلخ جلده, ويكتشـــف أنه لم يتقدم خطوة واحدة للأمام, وما يزال مربوط إلي الســـاقية, فتلتهمه الأحزان ويقتلـه اليـأس. عقلي في إجـازة ومنعوه من التفكير.. فلمـاذا أفكر؟ وبمـاذا أفكر؟ ولو قدر "للحمار" أن يفكر لأرهقهُ التفكير أكثر من الأحمال التي علي ظهره, ولما اسـتطاع أن يعمل بعد ذلك, ولا اسـتطاع أحد أن يرغمه علي العمل. نعم لو فكر لتمرد.

لذلك لم استدع عقلي للعمل ولكن أعصابي التي هلكت استدعته, فدموع التلميذ للدخول للدير والذي لا يملك أجرة العودة بعد أن قطع إلينا مسافات طويلة وكله أمل ورجاء أن يجد فرصــة عمل كما سـبق لـه في الأعوام السـابقة, وتوسـلات الزائرين

المساكين المصحوبة بخيبة أمل في الدخول, وغضب المصدود عن أخذ البركة, والكذب علي هؤلاء وألئك كما يُملَي عليَّ " الزيارة ممنوعة فنحن في فترة صوم والرهبان معتكفين للصلاة, وقد أوصدوا عيونهم ليرفعوا قلوبهم ويبتهلوا إلي الله من أجل سلام العالم ورخاؤه" وأقول الصدق إننا لم نعتكف إلا لنعمل ونزيد نيران العمل اشتعالاً, وما المشاجرات التي حدثت بيننا والتي وصلت أحياناً إلي السب والقذف والضرب بالأيدي و"الشباشب" سوي ثمرة هذا الاعتكاف.

نعم عندما أُرهقت أعصابي وتَلِفَت استدعيت عقلي, فما أفعله يتناقض وبصورة صارخة مع الإنجيل, ومع المحبة ومع السلام النفسي ومع إنسانية الإنسان, القسوة والمصادمات غير مناسبة للحياة التي أتيت لأعيشها, فازدادت همومي الداخلية فوق همومي الخارجية, لكثرة الصراع الداخلي, فهذا يصح وذاك لا يصح, وهذا تصرف خاطئ والآخر غير مناسب, أمر المسئول هذه المرة خاطئ, وتلك المرة غير لائق, عندما استخدمت عقلي وجدت أن معظم تصرفاتي المبنية علي قرارات الرهبان خاطئة, قلت أعود "حماراً" مرة ثانية وحاولت ذلك ولكن هيهات فحين يصحو العقل لا يمكن لأي قوة في الوجود أن تبطل عمله. حينئذ حسدتُ جميع "حمير" الأرض.

***

كانت النجوم تتلألأ منثورة في الصفحة الداكنة, وسكون الليل يكبلنا بالصمت, وشقاء النهار وتعبه يثقل رأسي بالنوم الشديد, فأغمض عينيَّ وبصعوبة أعود وأفتحهما, والشعلات الصفراء الضعيفة الصادرة من مصابيح الكيروسين تتراقص أمامي تنحني تارة وتستقيم أخري تخبو تارة ثم تتوهج, أما الضوء الأبيض القوي المنبعث من الكلوب الأسود الذي يعمل بالكحول فلا قدرة لعيني أن تتحول إليه فهو مُبهر, ولا أبصر في وجوده شيئاً, ماذا لو تركني الآباء الذين يأتون لبيع الدجاج للنوم؟ وقاموا هم بفتح الباب وتابعوا وزن السيارات علي البيسكول, فتجار الدجاج يأتون بعد منتصف الليل, فيما عدا يوم الجمعة يأتون صباحاً والرهبان في انتظارهم, يا ليتهم يأتون سريعاً أو يا ليتهم يؤجلون قدوم اليوم إلي الغد لأتمكن من النوم ولو ساعتين أو

ثلاث, قبل بزوغ الفجر والذي يحمل لي كم من الشقاء والعناء, ولكن للأسف الشديد ها هي أنوار سياراتهم قادمة إلينا منحدرة علي طريق الدير إلي البوابة.

ضج الرهبان إذ رأوا الضوء وأسرعوا بفتح البوابة الحديدية الضخمة, والتي يمر من خلالها الأتوبيسات وسيارات النقل الثقيل, ودلفت السيارات للداخل, ورحب الرهبان بالتجار, وجل تركيز اهتمامهم علي (المعلمة توحة) فقد كانت جميلة حقاً.. بوجه أبيض مستدير, متوسطة الطول, ليست نحيفة, وقليل البدانة التي تتمتع بها يعطيها قبولاً جذاباً أكثر, ذات عينين جميلتين طاغيتينً رسمتهما يد رسام بارع يد الخالق ورموش طويلة داكنة السواد, وحاجبين رائعين, ووجنتاها شديدتا الاحمرار, وشفتين صغيرتين بارعتين, أم صوتها فهو مجموعة آلات موسيقية تعزف معاً لحناً من ألحان الملائكة, في جوقة الحياة الأبدية, يزيد جمالها احترامها فلم تكن كثيرة الكلام ولا قليلته, ولم تكن مبتذلة كان جسدها يتفجر بأنوثة طاغية تنطلق من حركاتها وسكناتها, ما أبهاك أيها الخالق العظيم ما أروعك أري حلاوة أصابعك فيما أبدعت, والمرأة علي قمة ما أبدعت, وكما كنت أهرب من ضوء الكلوب المبهر لكي لايؤذي عينيَّ ويبدد نُعاسي ويوقظني هكذا كنت أهرب وأتحاشى النظر إلي وجهها الذي يملك كل سحر الأنوثة واستبدادها, اللهم إلا لحظات أسرق فيها بوجل بعض النظرات المتلصصة, علي أن الراهب لا يحتاج إلي كل هذا الجمال لإيقاظ رغبة كامنة بداخله.. فهذه الرغبة مستيقظة دائما والراهب في حرب ضروس معها علي طول الخط.

كان دوري ينتهي عند تقديم وجبات الضيافة للتجار فقد قطعوا مسافة طويلة إلينا, فمعظمهم من القاهرة, ويمكنني بعد ذلك أن أخلد إلي الراحة قليلاً حيث ينشغل الرهبان مع التجار في تحميل الدجاج ومحاسبتهم, وكلما استيقظت من نعاسي المتقطع كنت أري أحد الرهبان منفرداً مع (توحة) في احدي الزوايا, وإذا تركها هذا يستلمها ذاك.. وهكذا يتبدل معها الرهبان.

سمعت أحدهم يتفق معها علي أن يأخذها في جولة بعد دخول باقي الرهبان والتجار لمزرعة الدواجن, جولة داخل مزارع الدير ليهديها كمية من البطيخ وكنت علي مقربة منهما ويعلم أني أسمع هذا الاتفاق, ومع هذا لم يهتم لوجودي, وكأنني بلا

شـخصـية يخاف منها أو عليها, منها ربما لثقته المطلقة بأنني لا يمكن أن أتفوه بهذه الأشـــياء, وعليها ربما ثقة أيضـــاً أنني لن أعثر. كأنني ملاك لا يفكر إلا في الخير فقط, وكأنني لا أتصور وجود الشر مطلقاً.

في أوقات القوة الروحية لم أكن أسمح لعقلي بمرور هذه الأشياء عليه ولكن كان بسنوات الدير أوقات بها ضعف روحي أيضاً.

إذا حل الليل كرهبان في الدير مثقلين بالتعب نَجر أقدامنا جراً لنرتمي في الفراش للنوم, أما رهبان بيع الدجاج فيدب فيهم النشـــاط والحيوية كأنهم ســـيبدؤون يومهم, كانوا يطرحون عنهم الرهبنة وقوانينها, وأقوال الآباء التي يحفظونها عن ظهر قلب, ويرددونها كثيراً, وتذهب قصـص وكلمات بستان الرهبان بالبعد عن النساء مع الريح, وتُفقد عظات الأب الروحي بل ويُفقد هو نفســه وليذهب حيثما يذهب ولو إلي قاع الجحيم, وتضـيع سنوات الرهبنة الطويلة عبثاً إذ يسيل لعابهم لمجرد رؤية وجه (توحة).. أنا أحترم ضـعفهم فهو ضـعفي أيضـاً, فأنا إنسـان تجتاحني الشـهوة مثلهم! ولكن أنُفرط بهذه السهولة في سنوات معاناة وتعب ورفض الشهوات؟ ألا نقاوم ونقف ضـد شـهوات النفس والجسد؟ أتكون الرهبنة مجرد قشرة ضـعيفة تسقط بمجرد رؤية جسـد"توحة"؟ أهي (الرهبنة) مهزلة أم تمثيلية؟ هل كان الرهبان في سـجن وصـارت توحة الحرية والنبض بالنســـبة لهم؟ أم كتمت أنفاســـهم وهي النفس الوحيد الذي يستنشقون به الحياة؟!!

أن شدة قوانين الرهبنة, والنسك الجائر, وضـغوط العمل المُرهق, والتصـادم مع الرهبان, وتجبر الرؤســـاء وتســـلطهم وظلمهم, والعثرة في المُثل, والكبت المرير وسـحق شـخصـيات الرهبان, وعدم السـماح لهم بتنمية شـخصـياتهم ومواهبهم وقدراتهم, كل ذلك لم يجعلهم عرضـة للخطأ فقط بل ويندفعون نحوه, غير حاسـبين حســـاب لشـــيء دون أن يشـــعروا..إن ما كتبته في هذه الفقرة حق وأعلم أني سأحاسب أمام الله عن كل كلمة, كتبتها.

حين كنت أعمل بالمخبز كان خروجي من أســـوار الدير الداخلية نادراً وخاطفاً وحين كنت أزور الأب البواب, كانت تنتابني راحة كبيرة بين أحضـان الطبيعة خاصـة في الليل والنجوم تملأ رقعة الســماء, وكنت أحســـده علي عمله كبواب فحوله وفوقه

جمال الطبيعة الذي ينعش النفس, فكان يقول لي "أن العمل علي البوابة شـــاق إلي الدرجة التي تنسيك جمال الطبيعة حولك" وكنت أقول في نفسي أنه يبالغ. عملت بعد ذلك في قلب الطبيعة في الزراعة, ولكن أبداً ما شعرت بجمالها ولا أحسستُ بروعتها, ولا تأملت فيها, فأثناء النهار خاصــة بالشـتاء كانت المياه تغطي أسـفل كتفيَّ حتى قدميَّ بسبب جمع الخضار وغسله ووزنه وتعبئته.. وكل هذا لا يُحسب بجوار المعاناة مع أباء التسويق للفنادق, يا لها من معاناة.

بعد ذلك نُقلت للعمل بالبوابة.. أعتقد أن الإنســان وُلد وهو مزود بطاقة نفســية وعصـــبية تكفيه مدي حياته؛ هذا إن عاش حياة طبيعية.. وإن كانت حياته مترفة لكانت طاقته تزيد عن عمره, وإن كان شــقياً لنفذت قبل أن تأتيه المنية, كلٍّ حســب كمية الشـــقاء والعناء التي يتعرض لها, وفي ديرنا عموماً مهما كانت قوة هذه الطاقة الموروثة, فسـوف تتبدد بعد ثلاثة عشـر سـنة علي الأكثر, وهناك أعمال بالدير قادرة علي اسـتهلاك هذه الطاقة بعد خمسـة أو سـبعة سـنوات علي الأكثر, أما العمل علي البوابة فسنة واحدة كافية للإنهاء علي الراهب وإصابته بالأمراض النفسية.

كانت البوابة تحمل لي كارثة أو أكثر في اليوم الواحد, ومعرفتنا بنبوات أشـــعياء ودراســتنا للغة القبطية, وإتقان حفظ الألحان, وكم الصــلوات داخل وخارج الكنيســة, وقراءات الكتب الروحية, وسماع عظات الأب, وصوم هذا مقداره, ونسك شدت أوتاره علي رقابنا فكادت أن تفصل الرأس عن الجسد, كل هذا لا يُسعفنا في مواقفنا وتعاملنا مع الأحداث التي تُجري علي البوابة, وكأن المعرفة النظرية العقلية شــــيء والخبرة اليومية الحياتية شيء أخر.

يوم من أيام البوابة:- أثناء أعداد الطعام لسـائقي سـيارات الأسـمنت الذين أفرغوا حمولتهم بالدير تواً, إذ بأتوبيس للأجانب يتعجل الدخول, فأتصـــل بالمســئول عن المضـيفة, لإدخال الأتوبيس, ويكون رده أرجئ دخول الأجانب لحين البحث لهم عن راهب كمرشـد داخل الدير, وإذ بسـيارتين صـغيرتين قادمتين لزيارة الدير, وإذ رأوا أن الأتوبيس في انتظار الدخول انتظروا هم أيضـــا, فأكدت لهم أن الدير لا يســمح لهم بالزيارة في أيام الصـــوم, فقال أحدهم " كيف تقول لا يســمح بالزيارة وســف يدخل الأجانب وعددهم كبير وما نحن ســوي عدد قليل وتريد أن تمنعنا من أخذ البركة؟!!"

قلت "هذه أوامر الدير", قال:"هل أوامر الدير أن تستضيفوا الأجانب وترفضوا المصريين؟!! إنها قوانين فاشلة " من الذي وضع القوانين؟ أجيب "الأب الروحي" فيقول "قوانين حمقاء لرجل أحمق" فأغِيرُ علي الأب الروحي وتحدث مشاجرة ليست بالهينة ولا السهلة. ويقوم بالشتم والسباب, أثناء المعركة الكلامية, يرن التليفون, ويطلب مني إعادة السيارة الثلاجة قبل خروجها من البوابة كي تأخذ معها شيك لصرفه من القاهرة, لنتمكن من دفع ثمن الحديد غداً, وما أن أضع السماعة حتى يرن جرس البوابة, وإذ بسته من العمال قادمين للعمل بالدير , ولابد أن أسجل أسمائهم وأعمارهم وعناوينهم وكل بياناتهم, وقبل أن أتم كتابة اسم أحدهم إذ بسياراتي البرسيم قد وصلت إلي الدير , وصعدت إحداها علي ميزان البيسكول, فأترك تسجيل العمال, لأقوم بتسجيل وزن سياراتي البرسيم, كل هذا في نفس الوقت كيف أقوم به بمفردي؟ وبينما أقوم بوزن السيارات, يرن جرس التليفون والذي لا يمكن أن أتأخر عليه لحظة لكي أتحاشي وقوع كارثة, فنحن دائما (علي أعصابنا) تأتِ المكالمة " بلِّغ أبونا "ص" الذي لا يرد علي التليفون بأن يأخذ جراراً زراعياً ويذهب إلي المنطقة الشرقية لأنه قد رُؤِيَ بعض العرب هناك. بلغه الآن الآن الآن حالاً." وضعت السماعة وأرسلت للأب "ص" العامل المساعد لي وعدت لوزن سيارتي البرسيم, حان الآن موعد خروج سيارات الأسمنت ولابد أن أفتح البوابة الضخمة وأسند أحدي ضلفتيها بجسمي لكي لا تعود تُغلق من تلقاء نفسها كما حدث – قبل عملي علي البوابة– فصدمت أتوبيساً سياحياً وحطمته. وأُسرع لطلب المضيفة لأن أتوبيس الأجانب أنتظر كثيراً دون أن يجيبني, بينما أتصل بالمضيفة, قدمت سيارة الثلاجة للخروج من الدير, ولم يتمهل الأب المرافق لها وينتظرني فقام بفتح الباب وأخرجها, وهذه كارثة بحد ذاتها كيف أنجو من الأب الذي طلب مني إعادتها لصرف الشيك؟ وكيف سندفع ثمن الحديد غداً؟ في توتري هذا وتشويش أفكاري, وعدم تمالكي لأعصابي, إذ بكارثة أخري فقد انشقت الأرض وخرج منها أتوبيس من الصعيد يا للهول, عندما يأت أتوبيساً سياحياً لا ينزل منه أحد سوي المرشد السياحي يطلب إذناً بالدخول, أما أتوبيس المصريين وبصفة خاصة الذي من الصعيد فيهبط كل من فيه دفعة واحدة, ولا أدري كيف صاروا أمامي بهذه الثانية, هل هبطوا من الأبواب والشبابيك؟ هل هناك زر يفتح

جانبي الأتوبيس في لحظة واحدة.. الكل يطلب, الكل يريد بركة, الكل يســـأل, الكل يتكلم في وقت واحد, أحسستُ أني أعوم في بحر من البشر.. وأضرب بذراعيَّ مقاوماً الغرق فتصـــطدم برؤوســـهم فمنهم من يدفعني ومنهم من يجذبني وآخرين يشـــدوني للقاع, أطفو قليلاً لأســـتنشـــق الهواء وتغمرني المياه كثيراً فأمتلئ بالماء, فهذا يريد الدخول وذاك يريد دورة المياه, وثالثة تطلب ماء ورابع يطلب شـــاي, وخامس يســـأل عن راهب, وسادس وسابع و..., لا أدري كم عددهم فأمامي مئات, كيف انحشروا في أتوبيس لا يحمل سوي ستين فرداً؟ .. وما يجعلني أنهار بالفعل هو تسلل أفراد منهم قاصدين دخول الدير علي أرجلهم تاركين أتوبيسهم خارج البوابة, وعبثا أصيح خلفهم وعبثا أنادي, فدخولهم الدير ليس له سوي معني واحد هو أن المسئولين سوف يقوموا بحرقي حياً يا للهول ويا للمعاناة. وسـط هذا الهياج يصـيح العمال يريدون اسـتكمال تسجيل بياناتهم ليدخلوا ويستريحوا من عناء السفر.

حتى لو مزقت نفســـي خمســـة قطع لا أســـتطيع القيام بكل هذه الأعمال, ولئن حضـر خمسـة رهبان لن يستطيعوا سبر غور غول البوابة, هكذا كنت أصـادف يومياً وهكذا كنت أتصادم وهكذا كنت أمرض يوما بعد يوم, وهكذا كان العمل علي البوابة.

مكثت علي هذا الحال عاماً كاملاً, وفي نهايته لم أستطع النوم ولا الأكل, وكنا نعرف من الحالات التي حدثت في الدير وهي ليست قليلة أن هذه أعراض المرض النفسي, وزحف المرض إليَّ فأرسلت إلي الأب الروحي تقريراً بهذا فلم يرد, وعدت وأرسلت مرة ثانية, ولم يرد أيضـــا ثم ثالثة.. وأخيراً التقيت به تحت تكعيبة العنب, وشـــرحت له ظروفي ومعاناتي , وعدم قدرتي علي النوم, وفقداني لشهيتي, عالماً أن له القدرة علي تعيين أحد مكاني فوراً وكم من مرة أتخذ قرار أبن اللحظة. ولكنه بمكر أحالني إلي الأب رئيس الدياكونية- والذي لا يملك تعيين راهب أو نقل راهب- قائلاً "الأب الروحي يوصـــيك بالبحث لي عن عمل بديل في خلال أســـبوع" وبالطبع فَهِمَ رئيس الدياكونية رســـالة الأب الروحي مع أن حاملها لم يفهمها, لذلك مضـــي بعد ذلك عام ونصـــف بعد العام الأول ولم يبحث لي عن عمل, ولا تم إعفائي من العمل علي

البوابة, فسقط بعد العامين والنصف طريح الفراش لا أقوي علي العمل ولا حتى علي الكلام, كنت أشبه بمومياء بها قليل من نفس.

كنا اثنين نتناوب البوابة أحدنا في النهار والآخر بالليل, وازدادت الأعمال ثقلاً خاصة في موسم البطيخ إذ يتم تحميل وخروج عشرة سيارات نقل يومياً وعلينا العناية بالسائقين والتباعين وأحياناً لا يتوفر لي في الأسبوع كله سوي ثلاث أو أربع ساعات فقط للنوم, فأضافوا لنا راهب ثالث.

أنا سـقطت كما ذكرت, وزميلي الأول ذهب عقله, أما ثالثنا فكان بلا عقل من قبل أن يأتينا.

لم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي سقطت فيها علي البوابة بل سبقتها مرة ولم تكن البوابة السبب المباشر فيها كان السبب أعمال أثقل وأشر.

6

اعترافات راهب مصري

أيام العذاب في الفيوم

يدخل الدير في مزايدات مزارع الدجاج الحكومية للحصــول علي "الرِســمَال[12]" ويدفع الدير أكثر لكي يرســـو عليه المزاد, وتحدد المزارع موعد رفع "الرســـمال" وإذا تأخر الدير عن الموعد المحدد, فمن حق المزارع بيعه إلي جهة أخري , ولا يحق للدير استرداد المبلغ الذي دفعه, هذا هو الشرط الجزائي.

أصـيب الأب المسـئول عن "الرسـمال" في حادث سـيارة بكسـر في الركبة, وحان موعد جلب الرســـمال من الفيوم, ولا يمكن التأجيل, وفي الدير رهبان أظن أنهم أكثر طاعة وتضحية, لكن العمل كان يتطلب ليس القدرة علي التحمل بل يتطلب نوعاً من الاستشهاد. كلفت بهذا العمل, وما عليَّ سوي السمع والطاعة.

[12]) بكسر الراء وتضعيف وفتح الميم, هو مخلفات الدجاج, (روث الدجاج) , لا غني عنه في زراعة البطيخ والشمام. يعتبر من الأسمدة

تسلمت التعليمات من الأب المسئول, وتم تحميل سيارة نقل بما نحتاجه بالمزرعة والتي تقع خارج مدينة الفيوم, خبز وجبن قريش وعسل أسود وشاي وسكر.. وخيمتين وخمسة عشر عاملاً , وأدواتهم, وصلنا المزرعة ونصبت لي خيمة بجوار خيمة العمال.

في الليلة الأولي انتظرت حتى تهدأ ضجة العمال لأتمكن من النوم, ولكني لم أنم حتى الصباح قلت ربما لتغيير المكان, أيقظت العمال ووزعت عليهم الإفطار والشاي وأشرفت علي العمل طول النهار, وكنت أنتظر الليل بفارغ الصبر فالسفر والإرهاق وعدم النوم في الليلة السابقة جعلني أتعجل الوسادة وما أن وضعت رأسي عليها حتى غفوت, وما هي إلا دقائق معدودات وقفزت واقفاً, الحشرات تلدغني بسوط من لهيب, ولم أكن أعلم أن لديَّ حساسية, فالدغه تسبب لي ألم وورم, نزعت ملابسي بحثاً عن الحشرات, يا للهول أسراب من حشرة البراغيث, مختبئة بين ثناياها, يا للمرارة جلست القرفصاء, ماذا أفعل؟ في أوقات الانتظار كنت أشغل نفسي بتلاوة ما حفظته من مزامير أو أقرأ في الكتاب المقدس, ولكن قد نُزعت من قلبي كل رغبة في الصلاة أو الإنجيل..كل ما أريده هو النوم فقط, أنني أتعجب من القصص التي تقول أن القديس الأنبا بيشوي كان يربط شعره في السقف لكي لا ينام ويواصل الصلاة, كيف يصلي وهو مرهق وبحاجة ماسة للنوم؟ كيف يصلي المريض الذي يعاني؟ كيف يصلي الناسك الذي جار علي نفسه وتأذي؟ لو كان لي ثروة الدنيا لدفعتها ثمناً لساعة من النوم اللذيذ الهادئ, ولو كنت أملك عروش العالم لتنازلت عنها مقابل راحتي, ولكني لا أملك ولا حتى جلبابي, وكل عروشي حجراً مسنود للحائط جلست عليه, وحاولت النوم دون جدوى, وأرسلت مع السيارة التي تحمل الرسمال إلي الدير في طلب بودرة للبراغيث, ونثرتها علي جوانب الخيمة الداخلية بعيدا عن الطعام, وأغلقت باب الخيمة القماش وأنا في أشد الحاجة للنوم فهذه الليلة الثالثة علي التوالي, وإذ بأنفي يستنشيط ناراً من رائحة البودرة, وتقلبت في فراشي ضاغطاً علي نفسي محتملاً لهيب أنفي ولكن هيهات, فلا تزال أسراب الحشرات تقاتلني بضراوة, فوضعت طبقة من البودرة مباشرة علي فراشي طبقة كافية لقتلي أنا شخصياً, في اليوم الرابع اضطررت لعرض

المشكلة علي كبير العمال, فنبهني أن كثرة البراغيث نتيجة لكثرة الفئران, وقام العمال بقتل فأر كبير وأحضروه لي, وإذ بآلاف البراغيث تسري وتقفز من فروته.

ســألت المهندســين عن كثرة الفئران, فلا تقف بشــاعتها عند كثرة ما تحمل من حشـــرة البراغيث, فهي تأكل العلف الخاص بالدواجن, وبهذا يُهدر المال العام, أما الخطورة كل الخطورة لا سمح الله فالبرغوث ناقل لمرض الطاعون, أجاب المهندسون مازحين "نحن نربي الفئران أيضاً, مقابل كل دجاجة نربي فأراً."

في العادة الفئران تختفي في النهار وتظهر في الليل, ولكن أمامي فئران لا فرق عندها بين الليل والنهار, يمر أمامي الفأر ليلاً ثم يلتفت فيراني فيترك طريقه ويُقبل إليّ ويتوقف ينظر إليَّ ملياً يتأملني, فأقول له "أنا غريب.. لست من هنا" ثم لا يجد فيَّ شــيء يســتحق الالتفات, فيتركني ويعود مكملاً طريقهَ, وآخر يترك الســير علي الخشـبة التي بمحاذاتي ويسـير علي رأسـي ثم يعود للخشـبة, فيقشـعر جسـدي كله, بعض الفئران لا تخشي البشر حين تتقدم إليها لا تخاف ولا تهرب.

في النهار عمل شــاق متابعة للعمال ومشــاجرات مع المهندســين الذين يريدون مغالطتي في تكعيب حمولة السيارات, فاضطررت أن أصرِّح لهم وأقول كيف تحاولون مغالطتي في الحسـابات وأنا كنت أعمل مدرسـاً للرياضـيات قبل الرهبنة؟ أضـف إلي ذلك مشاكل العمال الخاصة, وفي الليل ينتظرني العذاب.

كنـت أري في الصـــعيد عداوة دائمـة قـائمـة أبـداً بين ثلاثتهم, الفئران والقطط والكلاب, فأولاً هي عداوة طبيعية, أما ثانياً ربما يكون النزاع علي الطعام, فالقط يقاتل الفأر في المنزل لئلا يأكل طعامه وهو قليل, والكلب يقاتل القط في الشـــارع, علي كســـرة خبز ملقاة, فالفاقة تقتل ثلاثتهم, ولكن في مزارع الدجاج الحكومية في الفيوم, طعام العلف متوفر للفئران, وطعام القطط أيضـــا زيادة عن حاجتهم بكثير وكذلك الكلاب إذ أن النافق من الطيور يتم حرقه ويترك دون دفن, لأنـه يجب أن يتم حرق ودفن الدجاج النافق كما نفعل في الدير. لذلك حدث تصالح بين الأعداء الثلاث, وهم يعيشـــون في ســـلام ووئام, لماذا النزاع ورفاهية العيش متوفرة للجميع, الكلاب تأكل الدجاج المشـوي وتنام في النهار وتسـهر لي أنا خصـيصـاً, لا تكف عن النباح حتى

مطلع الفجر. يا للبؤس ويا للعذاب. والقطط لها أيضاً حظاً وافراً من الدجاج المشوي, والفئران تأكل علفه الدجاج.

بعد الليلة الرابعة بدأ جســـمي يرتعش بلا توقف من قلة النوم والصـــداع يفتك براسي, ودخل في قدمي مسمار فأحسست بالهلع والرعب من تصور أنني سأصاب بالتيتانوس, وتدهورت حالتي النفسية جداً.

بين القطاع الخاص والقطاع العام فرق, ففي الدير تقام حملة مرة أو مرتين في الأسبوع لإبادة الفئران, أما بوضع السُم أو بقتلها, أما في القطاع العام فيتم إطعامها مرة أو مرتين في اليوم الواحد, ولا يكلف الموظف نفسه لكي يقتل فأراً.

مكثت علي هذا الحال المؤلم خمسة عشر يوماً, لم أتناول فيها طعام جيد, ولم أتمكن من الاستحمام, ولم أذق طعم النوم.

أنتهي العمل وعدت إلي الدير, توقعت أن يكون الدير كريماً معي مُقدرا عذابي, فيرسلني بعد هذه السنوات من العمل الشاق وخاصة أيام الفيوم الأخيرة, يرسلني لكي أستجم علي شاطئ البحر أمام برج العرب (الكيلو 70) ولكني فوجئت بأب اعترافي يعيدني إلي البوابة, فمكثت بها يومين أحترق ولا أصـــدق أن الرحمة نزعت من قلوب الرهبان, واضطررت إلي طلب الراحة والذهاب للاستجمام.. فذهبت ومكثتُ شهراً.

هناك تأملت حياتي وعلمت أن سبب أتعابي وأمراضي, وسبب كل معاناتي, هو أني أعمل أعمالاً تفوق طاقة البشـــر بســـبب الطاعة العمياء التي ألزمني الدير بها وألزمت نفســي أمام الله بها. كنت أسير منكس الرأس, لأن بها ثقل يزيد عن نصف كيلوجرام, لا يجعلني أنصب هامتي, هذه حقيقة وليست مبالغة كان لديَّ إحساس مُر بأن داخل رأسي حجراً والصداع لا يفارقني كان هذا في عام 1986 تقريباً.

من ثَمَّ قررت أن لا أطيع ثانية, وقررت الســـماح لنفســـي بمخالفة القوانين, وأن أضـرب بكلام أب الاعتراف عرض الحائط.. لم يحدث تقدم في حالتي النفسـية رغم الراحة شـهراً من الزمان.. عدت إلي الدير رأيت الرهبان وتحدثت إليهم ونزلت للعمل ونسيت قراري بعدم الطاعة وعدت للعمل المهلك.

7

اعترافات راهب مصري

الانتحار في الدير

(1)

أنني أعرفه حق المعرفة فهو من أترابي, من نفس مدينتي ونفس كنيســـــتي, ضــخم الجســم أســمر اللون, يلتف حوله الخدام بعد الاجتماعات في فناء الكنيســة يقضون وقتاً ممتعاً, فهو محبوب من الكل خفيف الظل له تعليقات ساخرة مضحكة, خادم نشـــيط طاف بالعديد من القرى حول مدينتنا يعظ ويعلم الأطفال في مدارس

الأحد, وقد قام بواجبه الاجتماعي فقد زوج أخواته الثلاث قبل أن يذهب للرهبنة, ترهب بديرنا (للأسف الشديد) كان كما عاهدناه بالبلد بسيط القلب لطيف المعاشر.

الدير يعرف كيف يستفيد من خبرات الراهب السابقة وعلمه, فمهندس الميكانيكا يعمل بالميكانيكا, والزراعي يعمل بالزراعة وهكذا, وكان صاحبنا يعمل بالزراعة قبل الرهبنة لذلك ألحقوه بالزراعة, وبعد سنوات قليلة لا تزيد عن ثلاث, في أحد أيام الصيف بعد العصر بقليل كنتُ خارج الدير وفي دخولي:-

وإذا بجلبة وضجة وراهب يجري هنا وراهب يجري هناك, وتكسو الوجوه صرامة وجدية وذعر وهلع, وتراب أرجلهم يتصاعد إلي السماء, ما هذا الجو الخانق؟ لماذا لا يقف أحدهم ويُعرفني ماذا حدث أو ماذا يحدث؟ لم كل هذا الارتباك والغموض؟ أحسست أن مُصيبة حلت علي الدير, وما أكثر المصائب التي تحل, أخيراً وقف راهب وأخبرني أن أبونا فلان ألقي بنفسه من الدور الرابع, كانت المرة الأولي في حياتي التي أسمع فيها عن راهب ينتحر.

من هول صدمتي صرت في حالة ذهول ودهش لا أستطيع أن أفكر, أن قلبي يعتصر ألماً, ربما أقتنع يوماً بأن مياه النيل تجري ناحية الصعيد وترتد إلي الحبشة وجنوب أفريقيا, ويمكن أن أتخيل أن الأسماك ظهر لها أرجل وتمشي علي اليابسة ولكن ما لا يمكن تصوره أن راهب ينتحر, هل حقاً يمكن أن نسمع عن راهب تخلص من الحياة؟ أين تلك الحياة الملائكية التي طالما روَّجت لها الكنيسة وكتب الكنيسة, أننا نستنكر انتحار إنسان عادي, فكيف نتقبل انتحار راهب, الإسلام والمسيحية حرما الانتحار, فهو قنوط من رحمة الله, والمنتحر كما هو معروف لا يدخل السماء (الجنة), الانتحار كفر بمراحم الله, يا للعجب المكان الذي يجب أن يزداد فيه إيماننا بالله نكفر فيه بالله, إلي متى تتحطم أعصابي, إلي متى تنهار الثوابت, ألا تنتهي كوارث هذا الدير؟ أنخرج من حادث لندخل في حادث أشر؟

دارت رحى الأفكار براسي تطحن عقلي وتسحق أمالي في الرهبنة,وترسم صورة سوداء للحياة أمام عينيَّ. تري ما هو دافع الانتحار؟ وإذا انتحر شديد المرح فماذا يفعل الرهبان البائسين المُعبسين,؟ ما هي ملابسات الموضوع؟ لا يمكن الذهاب لأب الاعتراف في مثل هذه الظروف, لا أدري كيف قضيت تلك الليلة المشئومة,

شـــبعت ألماً حتى الصـــباح, التقيت أب الاعتراف في اليوم التالي, وبفراســـة الرهبان عرف ما يدور بداخلي, خاصـة أنني لم استطع إخفاء ذعري وهلعي, ولكنه كان رابط الجأش يســـير بخطوات ثابتة, رافعاً رأســـه, كما كان من قبل هكذا يبدو اليوم وكأن شـــيء لم يحدث, قال لي وقد دس كلتا يديه في جيبي البالطو الأســـود الســـميك جداً والذي كان يلبسه أحيانا في حر الصيف:

"في حياتك الرهبانية سوف تسمع ما هو أكثر من هذا " وتركني وانصرف مسرعاً ولم يسـمح لي بالسـؤال أو الاسـتفسـار, تري هل شـفي قلقي بهذا القول أم زادني اضـــطراباً؟ كنت أنتظر كلمة تهدئ من روعي فزادني ارتياعاً, ألا يعرف هذا الأب الذي كان راهباً من قبل أن أولد متى يقف ويُشـجع الإنسـان ومتى يأتِ عليه لقد تحملت ليلة سـوداء لكي أعرف ما حدث, ولم أعرف, فكم بقي لي من ليالي سـود لكي أعرف الحقيقة؟ أنني أتحمل علي أعصابي.

نقل أبونا "فلان" فور سـقوطه إلي المسـتشـفي بالقاهرة, بعد عدة أيام جاءني أمر من الأب الروحي علي لسان مساعده والذي يُعتبر يده اليمني "أبونا الروحي يقول لك تفرغ من أي عمل لاستقبال أبونا "فلان" وتمريضه بعد عودته من المستشفي".

الإنسـان يخطئ والله يسـتر, الإنسـان يفعل الشـر والله يلَّطف, الإنسـان يلقي بنفســه في التهلكة ولكن الله يتدخل برحمته, فقد أنقطع التيار الكهربي قبل سـقوط أبونا "فلان" بدقائق.. فقد سـقط علي أســلاك الضــغط العالي الغليظة, فتلقفته لا لتصــعقه بل لتخفف ارتطامه, وكان أســفل الأســلاك نخلة صــغيرة فتحت أذرعها لتستقبله بحنان الأخت لتضـعه علي الأرض فلم تكن نتيجة السـقوط موت بل كسـر في العمود الفقري وجروح بالفخذ.

مكث شـهرين بالمسـتشـفي كانت تصـلنا أخباره أول بأول, فقد صـارت أعصـابه متوترة دائما, وصـار كثير الصـياح والتذمر, ولا يكف عن الصـراخ في الممرضـات, حاد الطباع لا يرضي عن شيء, ضجت المستشفي منه ورأت أن لا فائدة منه تُرجي, ويخالف التعليمات, وقال الأطباء أنه لا يتقدم, وليس شفاؤه ممكنا أنه يحتاج معجزة.

خيم علي الـدير في تلـك الفترة حزن بـالغ, فلا هرج ولا مرج والتزم الجميع بالصـمت, وكانوا يسـيرون وكأن علي رؤوسـهم الطير, وواظب الجميع علي الصـلاة لأجل أن يشفي الله هذا الراهب.

سـألت الراهب الدكتور الذي يرافق الراهب بالمسـتشـفي عن موعد قدومه, فقال "أتتعجل مجيئه سـوف يأتِ وتشـرب" (يقصـد سـوف تشـرب المر), كنت أعمل علي البوابة آنذاك وقبل أن يحملون الراهب إلي الدير طلبت من الراهبين المعاونين علي البوابة إجازة لمدة يومين لأسـتعد وأهيئ نفسـي لما هو قادم ولمن هو قادم. للأسـف الشديد رفضا بإصرار رغم توسلاتي, ذلك ترك في نفسي أثراً كبيراً أنها قسوة الرهبان, ألا يحسا بي وبالتجربة التي سوف أدخلها؟

وضـعوا الراهب في قلاية بالدور الأرضـي.. كان نصـفه الأسـف لا يتحرك ولا يُحس به, وبالطبع لا يمكنه أن يغير وضـعه في الفراش, ولا يسـتطيع حتى الجلوس فيه.. فهو ممدد دائماً, أطعمه في فمه فحتي ذراعاه متورمتان من كثرة الحقن فيهما.. وأناوله الأدوية في حينها, وأقوم بتنظيف جروحه وأُغير أربطتها, بل أنظف جسمه كله بالكولونيا, وأقوم بتغيير وضـعه في الفراش كل سـاعتين لكي لا يُصـاب بقرحة الفراش التي أخافوني منها, فهي التي سـتقضـي عليه إن أُصـيب بها. أنها مسـئولية مرعبة, وأقوم بأعمال شاقة علي نفسي جداً القارئ يفهم ما أقصد.

الذي كان يُمزق أعصـابي هو عدم النوم, كالنحلة أعمل طوال اليوم من تنظيف القلاية, لإعداد طعامه, لاسـتجابة طلباته من المشـروبات وخلافه.. مثلا يقول لي "أريد أن أشرب شاي" وعندما أقدمه له يصيح ويغضب ويثور قائلاً "لا أريد شاي أريد أن أشرب ينسون" وعندما يحل الليل أحاول أن أنام, ولكثرة مشقتي الجسمية والعصبية لا يأتيني النوم سـريعا, وعندما أغفو لا أهنا ببعض دقائق إذ يناديني "أبونا جاورجي أريد أن أغير وضـعي" (أي يريد أن يغير وضـعه في النوم, علي أحد جانبيه أو علي ظهره), فأسـرع وألبي طلبه وأعود محاولاً النوم وبعد معاناة كثيرة أغفو ولا أهنا ببعض الدقائق حتى يناديني "أبونا جاوري أريد أن أغير وضعي" وهكذا حتى الصباح!! كان ينام علي سـرير وكنت أنام علي مرتبة مُلفاه علي بلاط الغرفة المجاورة له, وكان شتاء وكان البرد يدخل إلي عظامي.

ولو كان هذا كل شيء لهان الأمر لكن الأصعب هو احتمال النفس المريضة, فالأمر والنهي بتسلط السيد علي العبد, والصياح الدائم, وعدم الهدوء والرضا, والثورة لأتفه الأسباب, فوجود ذبابة بالغرفة كافياً لإضرام نار غضبه.. فأتلقى سيل من الملامة والانتقادات اللاذعة, ولا أسلم من السب والشتائم أيضاً.. هُدرت كرامتي, سُحق احترامي, ذُلت مكانتي وتقديري, صرتُ أقل من العبيد,.. وعلي الرغم من كل هذا لم يسمع مني كلمة "أف" ولو مرة واحدة, ولم يري في وجهي تبرُم أو تزمُر, ولكني كنت عندما أختلي بنفسي أتضرع إلي الله "يارب أعطني القوة والاحتمال, فما أقوم به فوق طاقتي " كنت بشوشاً رغم مما أقاسية وكنت أحبه أكثر مما أحب نفسي, لكم تضرعت وسكبت نفسي أمام الله لأجله, لكم بكيت لكي يُشفيه الله, وطلبت من الله بشدة أن لا يشفيه فقط بل يعود إلي عمله بالمزرعة.

الممرض الذي يعمل مقابل أجر وينظر الراتب, ربما لا يعطي الكثير ولا يبذل نفسه, ولا تأتِ خدماته بالنتائج المرجوة وتطول مدة شفاء مريضه, أما الممرض الذي تذوب نفسه من أجل مريضه, فهو الطبيب الحقيقي لنفسه وجسده, أنه يفني نفسه من أجل مرضاه الذين لا تربطهم علاقة به سوي حاجتهم الشديدة له, أنني أومن أن الله سيحسن إلي الممرضين كافة, ويجزل المكافأة لأولئك المحبين منهم مهما اختلفت أجناسهم أو أديانهم.

كان الرهبان يواصلون الصلاة من أجلنا أنا والمريض فكلانا يحتاج إلي الصلاة أنه شيء رائع من الرهبان فقد أتحدوا في صلاة واحدة وإحساس واحد, ولكن ليس جميعهم, فيجب أن نفرق بين نوعين من الرهبان.. الأول الراهب الكادح المسحوق متلقي الأوامر, والثاني القائد والرئيس والمسيطر الذي يأمر.

فقد يوجد راهب لا علاقة له بالرهبنة ولا بقوانينها ولا يمت بصلة إلا إلي الشيطان.. وربما يشترك بالتخطيط معه..ولا أبالغ إذا قلت أنني كثيراً ما تحققت من أن راهباً يفعل ما يعجز عنه الشيطان من شر, ورأيت في الدير الراهب معلماً والشيطان تحت قدميه جالساً يتعلم.

استجاب الله لتضرعاتي وتوسلات الرهبان (الغلابة) .. بعد حوالي شهرين ونصف وبينما أنظف ما بين أصابع قدميه قال "أنني أحس بأصابعك" ولم أصدق ما سمعت, فقمت بالضغط علي أصابعه بأكثر قوة, فأكد إحساسه, فأحسست بنشوة عارمة تجتاح نفسي وجسدي.. كانت مفاجأة مفرحة ولكني كنت منتظرها وأتوقع حدوثها بين الحين والحين.. وسجدت وشكرت الله الذي صنع معجزة, فالمستشفي لو كان لديها بصيص أمل في شفاؤه لواصلت معه العلاج, ولكنها فقدت الأمل في شفائه فقد حدث كسر في العمود الفقري, وتبعه شلل في النصف الأسفل من الجسم, **ولكن الله العظيم صنع معجزة ونظر للمساكين, كل الشكر والحمد والتسبيح لك يارب الخليقة.**

قليلاً قليلاً حرك قدميه وبعد فترة تمكن من الجلوس في الفراش, وكنت أشجعه بكل ما أملكه من قوة الإيمان.. حتى تمكن من الوقوف علي قدميه, بمساعدة عكازين, وخطوة واحدة يخطوها, ثم أثنين فثالثة حتى تمكن يوماً من الدخول إلي دورة المياه, وكان فرحي في ذاك اليوم عظيماً وسعادتي بالغة, وأخيراً تمكن من الخروج خارج القلاية بمساعدتي والعكازين, ليجلس في الشمس, وفرح الرهبان فرحاً عظيماً وكانوا يقبلونه ويقبلوني, فقد كان ممنوعاً عليهم الدخول لقلايته أو رؤيته أو التحدث إليه بأوامر تعسفية من الدير, ولكنه يتماثل إلي الشفاء ويخرج إليهم.

خفت حدة طباعه, وعرفت البسمة شفتيه بعد انقطاع, وعاد يضحك ويعلق ويُضحِك الآخرين, وتوافد الرهبان إلي قلايته لزيارته, هاهو الآن يحبني ويثق بي, وبدأ يسرد أحاديث إليَّ فشعرت أن هذا هو الوقت المناسب لسؤاله عن سبب الانتحار قال:-

" أنت تعلم أنني أعمل مع أبينا "ي" في الزراعة, وهو قاسٍ عنيف حاد الطباع, ولم أكن أتوقع أن الرهبان هكذا.. لم أعهد هذه المعاملة من قبل لا في الكنيسة ولا في الوظيفة.. ولا تهدأ ثورة أبينا "ي", وقد ضرب بخبرتي في الزراعة عرض الحائط, وقبلت, وكل كلامه لي أنما هو أوامر عليَّ تنفيذها, وصارت خلافاته معي تتفاقم وتتعقد, واحتملته كثيراً, وعندما كانت تضيق نفسي كنت أكتب للأب الروحي الذي

كان يهدئ نفسي ويشجعني, فأمضي قدماً في الاحتمال والصبر[13] وكثرة غياب الأب الروحي جعلتني اضغط علي نفسي أكثر من اللازم, وكتبت آخر اعتراف وأرسلته له فقد زادت الأمور عن حدها ولم أستطع الاحتمال.

في صباح اليوم التالي كانت المفاجأة المفجعة, حضر أبونا "ي" للعمل ومعه نفس الورقة التي كتبت فيها اعترافاتي, وصاح بغضب "أبينا الروحي يقول لك أنا تعبان وليس لي قدرة علي قراءة الاعترافات والرد عليها, ولا تكتب لي بعد ذلك, وقوموا بحل مشاكلكم بأنفسكم"

إنها مسئولية الأب الروحي لقد دمر الراهب الصغير الذي لا زال يحبو في طريق الرهبنة الشائك, فهو غض لا تزال عظامه طرية.

أولاً :- سد الأب الروحي المنفذ بل والمنفذ الوحيد لهذا الراهب الصغير المحتاج للمساندة حتى يشتد عوده, فنحن في مجتمع مغلق يمنع فيه التحدث بالأمور الداخلية مع أي شخص خلاف الأب الروحي.

ثانياً:- كيل الأب بمكيالين.. فهناك رهبان كبار مسئولين عن قطاعات الأعمال, ولهم كل الصلاحيات وهم موضع ثقة الأب الروحي حتى لو تجبروا وافتروا.. ولا أشك لحظة واحدة أنهم كانوا علي اتصال به, ويَرُد علي تقاريرهم واعترافاتهم.. ومنهم من كان يجلس معه ساعة وساعتين.. ورهبان صغار لا حول لهم ولا قوة ولا يُسمح لهم حتى بالشكوى أو التظلم من الاستبداد الواقع عليهم.

ثالثاً:- وهنا كل الخطورة كيف يفشي الأب الروحي سر الاعتراف, وهو سر من أسرار الكنيسة السبعة, وإن كان الأب الروحي غير أمين علي أسرارنا فمن يكون أمين؟ وفي من نثق بعده؟ أتُسلم المستجير بك إلي ظالمه؟ لجأ إليك لتحميه من النار فتزج به في أعماقها؟ ألا تدافع عن رعيتك؟

رابعاً:- إن وحدة أي كيان اجتماعي تقوم وتدوم, علي أساس وحدة قوانينه وأعرافه, فإذا كنت أيها الأب الروحي المشَرِّع الوحيد وضمان وحدة الدير, وتركت عنك هذه المسئولية وتركت الرهبان يحلوا مشاكلهم بعيداً عنك, ألا يسمح هذا لكل راهب أن

---

[13]) نكتب الاعترافات وتقارير العمل, للأب الروحي, فيتدخل لإيجاد حلول للمشكلات التي تواجهنا, والمفروض أن يقوم بتسوية الخلافات بيننا, وهو المتنفس الوحيد لدي الرهبان للبوح بما يعتمل داخل نفوسنا, وخاصة أنه يُحظر الحديث بين الرهبان وبعضهم إلا فيما يخص العمل.

يُشـرع علي هواه, وإن كثرت التشـريعات فُقدت وحدة الفكر ووحدة الرأي وتحول الدير إلي غابة بمعني الكلمة؟!!

يستكمل الراهب ما حدث ويقول:-

" فقدت ثقتي في الأب الروحي وفقدت الأمل في أن أجد حلاً, وكرهت الحياة, وصرتُ أشك في كل شـيء , وسمعت صوتاً يقول أنزلوه مع السيارة الثلاجة, فقلت من هذا الذي سـوف يُنزلونه ويطردونه سـواي؟ وأنا لا أسـتطيع العودة إلي العالم, فأنا حريص أن أموت ولا أنزل إلي العالم.

كان يتكلم بمعاناة وصـــعوبة بالغة. وتوقف عند هذا الحد أما باقي الحدث هو أنه للحال ترك المبني الذي يسـكنه (طابقين فقط) وصـعد إلي المبني المجاور ذا الأربع طوابق وألقي بنفسه من علي سطحه.

الكنيسـة صورت لنا منذ نعومة أظفارنا, أن الرهبنة هي الحياة وهي كل الحياة, وربط الدير بين الدخول فيه ودخول الحياة الأبدية, فقد كتب الأب الروحي "أن الراهب الذي يترك أباه الروحي أنما يقرر مصيره الأبدي (أي يقرر عدم نواله الحياة في النعيم الأبدي, ويذهب لجهنم)"

كما أن نظرة العلمانيين لمن ترك الدير, نظرتهم إلي مرتد قبيح, يريد أن يتمرغ في وحل الشـــهوات, زد علي ذلك أن الرهبان يفقدون وظائفهم وأموالهم وأصـــدقائهم, وأضـــف أيضـــا أن تقدم السـن عائق آخر لذا تكون فكرة العودة إلي العالم شـــبه مستحيلة.

كان صـــاحبنا يتماثل إلي الشـــفاء ويسـتطيع أن يخرج بمفرده معتمدا علي العكازين, ولكن المعاملة السـيئة التي وجدها من إدارة الدير, ونظرتهم له كوصـمة عار في تاريخه بل وتاريخ الرهبنة, فكثيرون من أصدقاء الدير الذين لهم وزنهم ما كان لهم حديث سـوي انتحار هذا الراهب, فقد وضـــع الدير في موقف حرج جداً, ومهما دافع الدير عن نفســـه ففي النهاية يقع اللوم علي الدير, وقد وصـــل إلي مسـامع الراهب ما كان يدور, فأحس أنه جرثومة في جسـد سـليم فكسـرت روحه, وكسـر الروح أعمق وأبلغ من كسـر العظام, أدخلوه المسـتشـفي العسـكري لتلقي العلاج الطبيعي ولم يحدث أي تقدم في حالته, وأعادوه لي بعد عدة شـــهور حالته

أســـوأ مما كانت عليه قبل ذهابه فلم يكن بحاجة إلي علاج قدر حاجته إلي الحب والاحتواء, وتوليت علاجه الطبيعي إلا أن جهودي ذهبت سُـــدي لأنه كان يرفض الحياة من أعماقه.

تركت الدير وبالتالي تركته وســـمعت بعد خروجي أنه حاول الانتحار,فأدخلوه المستشفي القبطي وهناك طعن رقبته (بمطواة) وفارق الحياة.

(2)

ولد رفعت[14]بقرية هادئة من أعمال الصـــعيد, ورزقت به أمه بعد انتظار دام أربعة عشـــر عاماً, وكانت امرأة هادئة مرتبة تحب الحق وكلمتها مســـتقيمة, وتربَي الطفل

[14]) الأسماء مستعارة لكن الأحداث حقيقية

الجميل علي ساحل البحر اليوسفي, وتشبع من جماله وجمال الطبيعة في القرية, ذلك أكسبه هدوء الطبع مع حلاوة الأمل في النفس, كان كوخهم ملاصقاً لبرج الحمام الذي يملكه "زكي أفندي", وكم من ساعات أمضاها في طفولته متأملاً في الحمام وبيوت الحمام, كانت كنيسة القرية صغيرة جميلة كاهنها شاب محب للأطفال والشباب, فأحبه رفعت فقد كان يذهب مع والدته خلف أبيه المسن ليلاً, أما يوم الأحد فيذهب إلي القداس مبكراً, ولا تجده يلعب في فناء الكنيسة بل مصلياً داخلها, ولا ينعس أثناء الصلاة, ينصت إلي كل كلمة تقال, ويزداد شوقه لسماع السنكسار لما يحمل من أخبار وسير القديسين, وأمجاد الشهداء الذين ضحوا بدمائهم دفاعاً عن الإيمان وتمسكاً بدينهم القويم. عرف رفعت أن العم "صالح" يذهب للفلاحة بأرض الدير.. وعلي ذلك فهو يري الرهبان أذن.. فمتى يحمله إلي هناك؟ حيث ملائكة الله في أثواب سمراء اللون, وسأل زوجة العم صالح عن موعد قدومه من الدير, فأجابته ولماذا تسأل؟ لاشيء هكذا أجاب رفعت, أتي العم صالح من الدير وأنتظر رفعت بفارغ الصبر أن يخلو إليه, فأسري إليه برغبته, فأجابه أنك مازلت صغير علي العمل بالدير بكي رفعت.

كبر رفعت وكبر معه حب الدير والشوق لرؤية الرهبان, قرر الرحيل مع العم صالح, بكت والدته المسكينة وودعه والده العجوز, كان قلبه يسبق السيارة ويتمني أن تصل السيارة بسرعة البرق, دخل الدير أصابه الذهول, أنا في السماء الآن هكذا كان يري رفعت, حضر كل شخص من بلدته يسلم عليه ويرحب به, فهو شاب دمث الأخلاق, بات تلك الليلة وهو يحلم بجمهور من القديسين والشهداء والأنبياء, وفي الصباح تم اختياره للعمل بالحظيرة, وجد في الحظيرة راهباً صغيراً أحبه وعطف عليه, وأثني علي إخلاص رفعت في العمل, بعد أيام رأي رفعت الراهب مدير الحظيرة,فأسرع إليه يريد تقبيل يديه فما مد الراهب إليه يدا وما أهتم له, بل تركه ناظراً إليه بكل احتقار واشمئزاز.

رأي رفعت الراهب مدير الحظيرة الذي كان طويلاً وليس نحيفاً, التصقت رأسه بكتفيه بدون رقبة, أو يبدو أن رأسه غطس بجسمه , وتقوستا كتفيه للأمام حتى كادا أن يتلامسا, وعدستين كبيرتين تثقل بهما انفه وضعا أمام ناظريه, علي أنه دائماً لا ينظر من خلال العدستين بل من فوقهما, يلبس شبشب بقدميه العاريتين فجلبابه دائما قصير يصل إلي ركبتيه, وصدر الجلباب مفتوح دائما يظهر منه شعر يصل إلي ذقنه, و(فلنه) تخضبت بالروث, وحتى في الشتاء القارص لا يلبس سوي هذا الجلباب, ويظهر نصف قدمه الأمامي من بين سيور الشبشب, ولطول السنوات التي قضاها بين الجاموس تحولت أظافر قدميه إلي أظلاف, ولم يبق بالشبشب سوي بطن رجله وكعبه المملوء بالشقوق, يجري في مشيته, وهو سريع الحركة, دءوب كالمكوك, من سرعته في الكلام لا تفهم سوي ربع ما يقوله, وثلثي الحروف تخرج من لسانه في غير مكانها, فتجده يقول بلسانه شيء, وعينيه وحركاته تقول شيء آخر. كان غريب الأطوار بينما يقيم وزناً لأمور تافهة في نفس الوقت الذي لا يحفل بأعظمها.

نادراً ما يذهب للصلاة في الكنيسة لكي لا يري الرهبان الحاقدين عليه, ولا يصلي بمفرده في قلايته لأنه يحقد عليهم, وحين تسأله هل تقرأ في الإنجيل يجيب,

لا أقرأ ولا أصـــلي, ويتحدث ويفخر بأنه "يعمل فقط, وفقط يعمل",يقتل نفســـه في العمل وهو ناقم علي جميع من بالدير, وإن ســـألته عن قربه من الرهبان يقول "أن البهائم هي كل مالي في الدير" فالدير مجموعة من الخونة والأب الروحي كذاب كبير, ويروي كيف كذب علي لجنة حضـرت إلي الدير وسـألوه عما إذا كانت البهائم تم تحصـــينها بكذا فأجاب بالإيجاب وعندما ســـألوه كمســـئول عن الحظيرة أجاب بالنفي. كان في هيئته كالماكينة, ولا يحمل في داخله ســـوي كتلة حديدية صـــماء لا تعرف المشاعر ولا الإحساس. كان متوحشاً في منظره وفي أفعالة, دائماً له ضحايا بشـــرية, فما أن ينتهي من أحدهم حتى يبحث عن آخر فإن لم يكن راهباً فليصَّـــبِّر نفسه بعامل. وقد ترك الدير بسببه راهبين كانا طبيبين بيطريين, أما الثالث فترك له العمل بالحظيرة وفضل أي عمل آخر بعيداً عنه.

وقع رفعت المسكين في شباك هذا الراهب, الذي يتحدي حتى نفسه, وليس ما يمنع من أن يتنافس مع عامل, لأن جل ما يريده هو أن يُظهر تفوقه وقدرته وإبداعه وبراعته وفنه, أليس هذا رأس ماله وكل ما لديه؟!! له أســـلوبه في الاصـــطياد يقيم علاقة لطيفة مع الضـــحية ويربطه بنفســـه, ويقترب منه أكثر وفي لحظة ينقض عليه ويلتف حوله ويعصره عصراً حتى يُسلم الروح, كثرت مضايقة الراهب لرفعت حتى علم الرهبان ذلك وأُعثر المسكين في الملائكة الذين يلبسون جلابيب سوداء, وتبخرت أحلامه برؤية القديسين والشهداء, ووجدهم شياطين أشداء. وتفاقمت الأزمة ووصلت عنان السماء.

أظلمت الحياة بجملتها في وجهه, ولم يعد لها معني.. لقد علق رفعت كل آماله علي الرهبان كحياة مســـتقيمة وســـلوك روحي خالص, وعول عليهم أن يأخذوا بيده لكي يصـــل للحياة الأبدية, و ها هو يري الرهبان علي حقيقتهم, فماذا بقي له في الحياة ليعيش من أجله؟ يتحمَّل المرء الخسارة المادية, أما ضياع الهدف فلا يتحمله.

لم يكن راهب الحظيرة المسئول الأول والأخير, فتعاليم الكنيسة هي سبب البلوى, في تصـــويرها الرهبان بالملائكة, وحياتهم حياة القداســـة المطلقة, والزاهد في الحياة بالمتشح بالنور, والبعيد عن النسـاء بالجالس في حضـرة الله, إلي متى تردد الكنيســة عصـــمة الرهبان من الزلل والكتاب المقدس تكلم بصـــراحة عن أخطاء الأنبياء؟ ألم يأت الوقت لتكون الكنيســة صـادقة وتعلن أن الرهبان أناس عاديين وربما أسـوأ بكثير من العاديين؟ أليس الرهبان هم الذين خربوا الكنيســـة الغربية في القرون الوســطي؟ أليس بتعاليمهم أظلمت العقول والقلوب وأقاموا مفاسد لا حدود لها؟

لم يحب الله نبي مثلما أحب داود الملك, والذي قال عنه "رجل حسـب قلبي" ورغم هذا حين أخطأ وزني مع امرأة أوريا الحثي وقتل زوجها, لم يدلس الله ويخفي أخطاؤه بل عراه في كل جيل, وسـجل ذلك في الكتاب المقدس, لكن الكنيسـة تضـع المسـاحيق علي الرهبان حتى يتجملوا وبداخلهم يعيث الصديد فساداً والدود ينخل في قلوبهم.

صـعد رفعت إلي سـطح خزان المياه الموجود بالحظيرة, وألقي بنفســه من فوقه, ويجري إليه الراهب الصـــغير ويحتضـــنه ويبكي من أعماقه, وتمر شـــهور ويعود رفعت علي كرسي متحرك للدير ليحتضن الراهب الصغير ويبكيا معاًا!!

عملت مع راهب الحظيرة فترة ناســياً ما في قلبه من حقد عي الرهبان, وخدمته خدمة العبد لســيده, فكم من المرات قمت بتنظيف قلايته, وكم صــنعت له من أطعمة لذيذة لم يكن ليذوقها بحسب أطعمة الدير, وكم طلبت من الله أن يُشفي روحه, لتكون له علاقة جيدة بالله, وتتغير حياته, حقاً كان بارعاً في مجال عمله الطب البيطري, فيقوم بنقل الأجنة, والعمليات القيصــرية.. وتعلمت منه الطب البيطري العملي التطبيقي بالإضــافة إلي أنه زودني بالكتب الكثيرة, وتفوقت علي مُعلمي في عمليات الجس ونزع المشــيمة, والتلقيح الصــناعي, وتوليد الحالات العثرة و.. كان النجاح يُخرجني من حالات الاكتئاب التي كانت تنتابني من حين لآخر. وذاع نجاحي في الدير, وأدركت أني الضحية المرتقبة, وبدأت المشاحنات, فالخلافات, والسخرية مني أمام العمال, فإذا أمرتهم بما هو صــالح يأمرهم بما هو طالح, وتحدث حوادث بسـبب ذلك ولا يتراجع, كل ما كان يهمه هو الانتقام مني, وأخيراً طردني أشر طردة سقطت علي إثرها صريع الاكتئاب.

3

ثلاث حوادث انتحار, ذكرت اثنتين أما الثالثة فذكراها مؤلمة لنفسي, لذلك سوف لا أذكر تفاصيل كثيرة.

عاش بيننا كأخ تحت الاختبار ثم رسم راهباً ومرت سنوات, وهو يعاني مثلنا من غياب المُثل, ومن العمل الثقيل, وعاني من تسـلط الرؤســاء, ففقد توازنه, وأثقل عليه رئيسه الأخير, بل نكل به تنكيلاً, ولم يحتمل المسكين, فأوسع هذا الرئيس ضرباً حتى غير معالمه, فقام الدير بطرده علي الفور.

ذهب لأحد أديرة البحر الأحمر, وهناك كشــف أموراً كانت مســتترة لرأس من رؤوس الدير, فنشـبت بينهما الخلافات الحادة, وبعد أكثر من عام علي اسـتمرار هذه الخلافات وُجد الراهب مقتولاً بحبل في قلايته, وانقسمت الشـائعات, الأولي أنه انتحر بدليل أنه طلب حبل من الراهب المسـئول عن الزراعة, والثانية أن الراهب صــاحب الخلافات معه هو الذي قتله, ويبرهن أصـحاب الأخيرة علي صـدقها بحضـور البابا شــنودة إلي ذاك الدير فور وقوع الجريمة ويقولون لو كانت جريمة انتحار عادية لما ذهب البابا شنودة للدير.

لقد أعثر الراهب في الرؤســاء ففي ديرنا تســلط وعنف وفي الدير الآخر خطايا أخلاقية, عموما أعثر في الرهبنة.

ثلاث جرائم انتحار في خلال عشـرة سـنوات قضـيتها في الرهبنة, بمعدل جريمة لكل ثلاث ســـنوات تقريباً هذا في أعظم وأفضـــل وأرقي دير, دير أبو مقار بوادي النطرون, فكم وكم يكون في باقي الأديرة.

8

اعترافات راهب مصري

السحر في الأديرة

نهي الكتاب المقدس وحرم استخدام السحر والفال والطالع ...الخ "لا تدع ساحرة تعيش" (خروج22:18), وقد اقترنت عبادة الأصنام بالسحر والشيطان." و كذلك السحرة و العرافون و الترافيم و الأصنام و جميع الرجاسات التي رئيت في ارض يهوذا و في اورشليم أبادها يوشيا ليقيم كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في بيت الرب" (2مل 23 : 24), يظن الساحر أنه يستخدم الشيطان لقضاء بعض حوائجه, ولا يعلم أن الشيطان مقابل ذلك يستحوذ عليه ويمتلك نفسه.

تمت محاكمة الذين عُرفوا أنهم يعبدون الشيطان علانية, ويتم تكريم الذين يعبدون الشيطان خفية, ويخدعون البشر بسحرهم وشرهم. ولم يستخدم الرهبان السحر فقط بل اشترك معهم في ذلك بعض الكهنة العلمانيين المتزوجين.

منذ الصغر ونحن نسمع أن للرهبان باعاً طويلاً في السحر, سمعنا أن راهباً ظل 40 سنة يقرأ سحراً علي كومة من بزور النخل وإذ بها امرأة تقوم علي خدمته, ربما كانت خرافة, ولكنها كانت متداولة كثيراً.

لم يكن لدي وقت أو جهد لتنظيف القلاية إلي الدرجة التي تجعلها مملوءة بالأتربة, كان ذلك يؤذي أنفي وصـــدري, وقتها لا أجد مناص من تنظيفها. ذات مرة رفعت مفرش الطاولة فوجدت ورقة غريبة عبارة عن قصـاصـة طويلة, الكتابة التي عليها كتبت بعناية ودقة, مكتوبة بحبر أزرق وحبر أحمر في تناسق, فقرات كل فقرة متصلة بما قبلها بخط, لم استطع قراءة أي حرف منها, أما تكرار نفس الحروف بنفس المقاس يدل علي أن كاتبها علي علم شديد بما يكتب.

حين أمســك أب الاعتراف بها تعرف عليها في لحظة وقال "هذه لأبينا الشــيخ (فلان).. ثم وجه لي السؤال مباشرة "ماذا فعلت له؟" ولم أجب من حالة الذهول التي أصـابتني. كيف لراهب أن يستخدم السحر؟ وكيف ينتقم ؟ وممن ينتقم؟ من الراهب الذي يحب جميع الرهبان ويخدم جميع الرهبان, وحقاً ماذا فعلت له؟

كان الشـيخ (فلان) طاعن في الســن وقد ثقلت أذناه عن الســمع, وبالكاد يبصــر طريقه, كانت صلاة القداس تقام بقلة شديدة في ديرنا[15]وكان كاهناً, فإذا فاته الدور في أن يقيم القداس فسـيمضـي زمناً حتى يصـيبه الدور مرة ثانية, وكنت أشـغل مكانة قندلفت[16] الكنيسـة, فأقوم بإيقاظ الكاهن الذي عليه الدور ليصـلي, وكان يوصـيني "قم بالطرق علي الشـباك فأنا نائم خلفه مباشــرة", كان ذلك يفلح أحياناً وأحياناً أخري لا يفلح, وكان يملك منبهاً ضخماً, فأقوم بالطرق علي الشباك بشدة وأسمع صوت المنبه العالي الذي يمكن أن يقوم بسببه رهبان الدير كله من النوم فيما عدا الشيخ, الذي أسمع شخيره المنتظم, وتضيع مجهوداتي في إيقاظه سدي, فأقوم بإيقاظ كاهن غيره للصلاة. وبذلك يكون هو الذي فوت علي نفسـه فرصـته لقيادة الصـلاة, ويبحث عني ليلومني علي عدم إيقاظي له, ويتهمني بالتقصير, ومهما حاولت أن أبرئ نفسي أبداً لا يبرئني, فإذا كان لا يسمع في يقظته, فكيف يسمع في منامه؟

أري أن ذلك لا يستحق الانتقام, وهل ينتقم بالسحر؟

أنه يصلي في صلاة رفع البخور "أرزقنا رحمتك وأقطع عنا كل رباطات خطايانا وإن كنا قد أخطأنا إليك في شـيء بعلم أو بغير علم أو بالفعل أو بالقول .. اللهم أنعم لنا بغفران خطايانا وباركنا وطهرنا"

كيف يطلب من الله أن يقطع عنه رباط خطاياه وهو يربط نفســه بالســحر, وبالشـياطين, وكيف يطهره الله وهو لا يريد إلا نجاسـة الأرواح النجسـة. ويطلب في الصـوم الأربعيني "اللهم أقبل صـومنا .. وامنحنا كمالنا المسـيحي" فإذا كان لم يزل بعيدا عن كونه مسيحي فكيف يصل إلي كمال المسيحية؟

كيف تسـلل إلي قلايتي كلص في غفلة من الجميع ليضـع السحر بداخلها؟ وما هو موقفه لو رآه أحد الرهبان؟ هل يمكن أن اليد التي تصـــلي وترتفع للتشــفع من أجل الناس لدي الله هي هي اليد التي تخدم الشيطان وتنتقم من الناس؟ كيف يجتمع المقدس مع المدنس؟ والطاهر مع الفاسد؟

---

[15]) في معظم الأديرة تقام والقداسات شبه يومياً

[16]) المسئول عن ضرب الجرس, وعمل القربان, وإضاءة الكنيسة

9
اعترافات راهب مصري

ضمير راهب

لا أكتب هذه المذكرات كل يوم وأتعمد الهروب من هذه الذكريات المؤلمة, لكي لا أنحصــر فيها, ولكنها تنجح أخيراً في الانقضــاض عليَّ, فأغرق في شــعور من الاكتئاب والإحباط, وتتوتر أعصـــابي, وأحاول النجاة من هذه الأحاســيس, فأنتقي حادثة خفيفة أستطيع تحمل ذكرياتها وأقوم بتسجيلها.

لابد أن يجتاز طالب الرهبنة اختبارين لكي تتم رســامته راهب, الاختبار الأول مبدئي ويجري عليه وهو مازال يرتدي ملابســه العلمانية, تطول وتقصــر مدة هذا الاختبار حسب الدير, وهي في أقصاها لا تتجاوز بضعة شهور. هذا الاختبار دقيق للغاية, فكما كانت الذبيحة تفحص في العهد القديم, يفحص طالب الرهبنة حيث أنه قدم نفسه ذبيحة لله, وكما كانت ترفض الذبيحة التي بها عيب "و ملعون الماكر الذي يوجد في قطيعه ذكر و ينذر و يذبح للسيد عائبا لأني أنا ملك عظيم قال رب الجنود و اسمي مهيب بين الأمم (ملا 1 : 14), هكذا ترفض الذبائح البشــرية, فالهيئة والمنظر والشباب والحيوية والصحة مقومات الرهبنة, سوف يقول قائل منهم أننا نهتم بجوهر الإنســان, وبروحه أكثر من ســلامة جســده, هذا إدعاء وكذب فالقوة الجسدية مطلوبة للدير, وإلا كيف سيعمل المتقدم في الطاحونة المسماة بالدير؟!! هذا بالإضافة إلي أن الدير يقوم بفحص دوافعه للرهبنة وشهاداته العلمية, ويا حبذا لو كانت دراسات عليا.

أما الاختبار الثاني وهو الأصعب وتسمي فترته بفترة تحت الاختبار ويطلق عليه الأخ تحت الاختبار, يلبس فيها طالب الرهبنة جلبابا له لون معين يختلف باختلاف الدير, أبيض, بني, أزرق, في هذه الفترة يتسلم عملاً ويكون مسئولاً عنه, وغالباً ما يكوم بالمطبخ أو المخبز, لأن هذه غالباً ما تكون أماكن احتكاك, مدة هذا الاختبار تتراوح من سنة إلي ثلاث سنوات بحسب آخر قانون, وإذا أجتاز الاختبارين بنجاح تتم رسامته راهباً, ونعتقد أن نهاية هذه الحياة هي الخلود الأبدي في دار النعيم, لذا نحرص أن نساعد الرهبان المبتدئين.

ذات يوم جاء إلي الدير طالب رهبنة.. في أواخر العقد الثاني من عمره.. جميل الوجه أحمر اللون, متوسط الطول, شعره ناعم أسود كالفحم, ذا صحة جيدة, امتدت فترة الأول لعدة شهور, وطُلب من الأشخاص المعروفين بالصلاة أن يصلوا من أجله فهو مشتت الفكر غير ثابت, طلبنا من الله أن ينير له ذهنه ويفتح عينيه ليتمسك بالدير والحياة فيه, ويا ليتنا طلبنا من الله أن يُظلم ذهنه, ويُعمي عينيه ليضل عن الدير وعن الحياة فيه, ويعود من حيث أتي, لو كنا نعلم نهايته لطلبنا من الله أن تنزل صاعقة تصعقه في الحال وتقضي عليه وتريحه من الدير وتريح الدير منه, لينعم بهدوء القبر وسكينة اللحد, وقد توسلت إلي الله كثيراً لأجله وكنتُ أكثر من أصابتني شروره, فقد ضيق عليَّ حتى الموت.

فرحنا به عندما لبس ثياب تحت الاختبار, ولم يظهر في سلوكه شيء معيب في تلك الفترة سوي أنه كثير النسيان قليل التركيز فاقد الحيلة ضيق الأفق وفي النهاية تحكم عليه أنه أبله تائه.

أخيراً رسم راهباً فتحول إلي إنسان آخر, لا يتحمل أي مسئولية, فوضوي, يفيض لا مبالاة, ويتمتع بغباء شديد, وفشل في كل عمل, فزاد حقده علي كل راهب ناجح في عمله, ولم تظهر فيه رائحة المسيح الذكية ولم يطبق الإنجيل ولم يحترم قوانين الدير.

مساكن الرهبان يحيط بها سور وتسمي بالدير, وللسور الداخلي هذا بوابة داخلية يتناوب عليها الرهبان الذين يعملون بالبوابة, لتسجيل أسماء الرهبان ومواعيد خروجهم ودخولهم إلي ومن أعمالهم فمعظم الأعمال تقع خارج هذا السور, الأراضي المزارع الورش المعامل الحظائر.. الخ. يحيط بكل هذه الأراضي سور يبلغ طوله حوالي خمسة كيلومترات وعليه بوابة خارجية التي تم الحديث عنها. يأتي العمال والفلاحون من صعيد مصر للعمل بالدير مقابل أجر (يومية), ويوفر لهم الدير المأكل والمسكن, ويأتِ الطلبة لنفس الغرض في الصيف ولكن بأجر رمزي, وكنت من بين الرهبان الذين يميلون للعمل مع الطلبة نظراً لثقافتهم وشخصياتهم المتميزة بالانطلاق والحيوية بالإضافة إلي تميزهم بالكفاح ضد الفقر, تماماً مثل الظروف التي مررنا بها.

نظراً لحجم العمل الهائل يُكلف الراهب بالإشراف علي أكثر من عمل في نفس الوقت, ولمدة تصل إلي 18 ساعة في اليوم, وفي ذاك الصيف كُلف الراهب المسئول عن مطبخ العمال الموجود بجوار السور الخارجي, بالإشراف علي الدجاج المذبوح

يومياً[17] والذي يتم تنظيفه داخل الدير, والمســـافة بينهما 2كم تقريباً. ولا يســـتطيع الراهب أن يُباشـــر العمل الأخير ويترك عمله خارج الدير لذا قام بتكليف ثلاثة من الطلبة الذين أنهوا امتحانات الشـــهادة الإعدادية وينتظرون النتيجة, كلفهم بتنظيف الدجاج, وتنظيف أرضـــية المطبخ بالجاز الأبيض وتركهم داخل الدير وذهب إلي مطبخه خارج الدير.

من مهام الأب البواب علي الســـور الداخلي أن يقوم برفع الجاز الأبيض أو البنزين بواســـطة طلمبة يدوية من البراميل, وهو الذي يعرف ويُفرق بين براميل البنزين وبراميل الجاز الأبيض. ذهب الطلبة القرويين ثلاثتهم ليحضـــروا الجاز الأبيض ولم يجدوا الأب البواب ذاك الذي ما عاد يبالي بشـــيء, فقد ترك البوابة ومســـئولياته لينعم بالنوم اللذيذ الهادئ في القلاية, فقاموا هم بإدارة الطلمبة اليدوية وقاموا بإخراج بنزين بدل الجاز الأبيض, وشـــرعوا يمســـحون به أرضـــية المطبخ, والنار لازالت مشتعلة لتسخين الماء لترييش الدجاج بالرياشة.

انتفضت مذعورا من النوم إذ دق جرس الكنيسـة ثلاث دقات وتوقف ثم دق ثلاث دقات ثم توقف, وهكذا.. وهذا معناه أن هناك خطر محدق بالدير كله, جريت حافي القدمين بأسـمالي البالية, لأتبين الخطر وأقوم بما يجب عليَّ القيام به تجاهه, فرأيت دخاناً أبيضـاً كثيفاً يتصـاعد إلي السماء, خارج من المطبخ وسمعت صـراخ الأولاد صـراخ اسـتغاثة مريع يمزق المشـاعر ويهز الأعماق صـراخ لم أسـمع مثيله طيلة حياتي صراخ مُرعب, صراخ من يصارع الحريق والألم والموت ونهاية الحياة, كان وقعه مريع علي أعصـــابي للدرجة التي تجعل مجرد تذكره الآن يُرعبني, أندفع الرهبان الذين سـبقوني داخل المطبخ حاملين أنابيب الإطفاء, قاموا بالإطفاء وهدأت الدخان ليخرج من المطبخ ثلاثة أجســـاد محترقة يالها من رائحة ويا لهول المنظر كاد أن يغشي عليَّ وأسقط, أحسست أن روحي شاخت وأني علي حافة الانهيار أري الموت أمامي.

لف الأطباء في الحال القطن الطبي حول الأجســـاد المحترقة وتم نقل الأولاد إلي المســـتشـــفي بالقاهرة وبكي الرهبان, مرت حوالي ســـاعتين ارتديت ملابســـي لأذهب لعملي واقتربت من البوابة وإذ بذاك الراهب المتســـبب في هذه الكارثة يضـــحك ويجلجل بالضـحك انتابني شـعور بالألم إذ أن المجرم الحقيقي يضـحك بعد أن تسـبب في قتل ثلاثة أطفال أبرياء. الدير كله في حزن وهو يضحك.

ما لا يمكن أن أنســـاه هو صـــوت الراهب المجلجل بالضـــحك, بعدم ضـــمير ترك البوابة وبعدم ضـــمير يضـــحك وإخوته يبكون علي حرق ثلاث زهرات صـــغيرات مقبلات علي الحياة, ألا يحس بوخز الضـمير؟ ألا يوجد به شـيء من الإنسـانية؟ متى فقد عاطفته؟ هل لا يشـعر بالندم؟ كان عدد سـاعات وجوده علي البوابة سـبع سـاعات فقط, ولديه سبعة عشر ساعة ينام فيها,أين ضمير هذا الراهب؟

بعد عدة شـهور عاد الأولاد من المسـتشـفي ورأيتهم, وبكيت عليهم من أعماقي فقد تشـــوهوا تشـــويهاً بليغاً, وقد ظهرت نتيجة الدراســـة ونجحوا ثلاثتهم, لم يقبل التلاميذ

---

[17]) يمتلك الدير مزرعة دجاج بها 45 ألف دجاجة

مناظرهم بالمدرســـة, وعاد أحدهم للدير وعمل بالدير ولكن العمال اشـــمئزوا من منظره, نعم دُمر جسدياً ونفسياً, ولم تصلني أخبار عن رفيقيه.

لا يستطيع الراهب الطباخ أن يعفي نفسه من المسئولية بحجة كثرة الأعمال التي وُضـــعت علي عاتقه, كان يجب عليه أن يتأكد من وجود الأب البواب, وأن يوصـــيه بالأولاد, وكان عليه أن يحضـر لهم الجاز الأبيض بنفســه ليتأكد من عدم وقوعهم في الخطأ الذي وقعوا فيه.

أما المسـئولية كل المسـئولية أمامي وأمام الله وأمام المجتمع والضـمير الإنسـاني, فتقع علي الأب الروحي الذي توسع في المشـاريع والأعمال إلي الدرجة التي لا يمكن التحكم فيها أو متابعتها, وكان هذا علي حساب الرهبان والعمال.

واصـــل الراهب حياة الاســـتهتار ويبدو أن الســـماء لم تكن راضـــية عن حياته فأصدرت قرارها, عاش سنوات قليلة وحدث له انفجار في المخ, ومات شاباً لم يصل إلي الخامسة والثلاثين.

10

اعترافات راهب مصري

الجريمة في الدير

(1)

كان أخي بالجسد (شقيقي) يعمل بإحدى الدول العبرية, وقد ترك العمل بها وأراد أن يأخذ جرعة روحية مكثفة, ويكمل بقية حياته عابدا مصلياً, لذلك التحق بالدير الذي كنت فيه, كفني ميكانيكي بالورشة, فأشعل نزاع رغبتان في نفسي الأولي الحنين الذي يشدني إليه لكي ألتقي به وهذا مخالف لقوانين الدير, ولكنه حنين قوي فقد كنا نلتف حول (الطبلية) [18] والطبق الواحد, والآمال والأحلام المشتركة, والآلام التي كنا نتقاسمها, والثانية هي رغبتي في عدم استمراره بالدير حتى لا ينهار الدير بكل صوره المثالية التي كانت مرسومة في أذهاننا.

كان أحد الآباء العاملين بالورشة حاد الطباع, متكبر.. كان مهندساً, حفظ جميع ألحان الكنيسة وطقوسها, وقد صار معلم الكنيسة المسئول عن المردات فيها, ولكنه لم يحفظ ولا وصية واحدة من وصايا الإنجيل, أتقن اللحن بجهد بالغ وسعي محموم ولم يُتقن التقوى التي طلبها الكتاب المقدس, أخذ مكان الصدارة في الكنيسة كمعلم ولم يعرف كيف يأخذ المكان الأخير بالإتضاع كما طلب المسيح, تفاقم خلافه مع أحد الرهبان العاملين بالورشة ووصل إلي الاشتباك بالأيدي والضرب بالشباشب.

[18]) طاولة صغيرة مستديرة يوضع عليها الطعام كسفرة

أحزنني الأمر جداً إذ أن أخي كان حاضـراً أثناء هذا كله, جاء إلي الدير ليتعلم القيم والمبادئ السامية, فإذ بأول درس "كيفية الضرب بالشباشب" وليت الأمر توقف عند هذا الحد, بل وصل إلي التراشق بالشتائم.

ذات يوم خرج ذاك الأب مع أخي لتجريب سـيارة يقومان بإصـلاحها, قاد الأب السيارة بسرعة وتهور وهو يعلم أن فرامها قيد التصليح, فأخذ أخي يحذره بشدة أن يبطئ, ولم يسمع ولم يُذعن,وأضاف أخي "لم يكن مكترث للطريق, وأنحرف بالسيارة إلي حافة الطريق ليصـدم عاملاً فقذفته السـيارة عدة أمتار ولما سـقط علي الأرض التف حول نفسـه وتكور مثل الكرة, وظل علي هذا الحال" كان وحيد والديه, نُقل إلي الدير وتم عمل تنفس اصطناعي له.

وقال أخي " كنت خارج الغرفة التي نقل إليها, وكنت في غاية الحزن, وأصـلي بشدة لينقذ الله حياة الشـاب, كما كان الرهبان يُصلون, وأثناء ذلك خرج الراهب الذي صـدم الشـاب ومعه راهب آخر من الغرفة وكان يضـحك ويبدو عليه الاسـتقرار والابتهاج, فقلت في نفسي إذا استفاق الشاب وأُنقذت حياته, فسألت الراهب كيف حال الشاب, فأشار بيده وقال "مات". وكأن الأمر لا يعنيه في شيء, إذا لماذا كان سعيداً؟

بعد ثلاث ساعات فارق الشـاب الحياة صـعدت روحه بعيداً عن الحقد والكراهية والاسـتخفاف بحياة البشـر الموجود بديرنا, حزنت علي العامل كما حزن عليه الرهبان, فقد كان طيباً ومطيعاً ولم يتجاوز عمره الثمانية عشر. وكان العائل الوحيد لأبيه وأمه.

في مثل هذه الحالات يقوم الدير بإبلاغ الأمن بوادي النطرون, لعمل محضـر وتسجيل الحادث, والدير ليس بالسذاجة التي تجعله يبلغ عن راهب ليس لديه رخصة قيادة, فيدخل الراهب والدير تحت طائلة القانون, لذلك تم الاتفاق مع راهب آخر يحمل رخصـة قيادة أن يكون هو مكان الراهب الذي صـدم العامل, قام بهذه التضـحية إن كانت حقاً تضحية مشروعة! من أجل أخيه الراهب ومن أجل سمعة الدير وسمعة الأب الروحي. وكان هذا سر ضحك الراهب وسعادته إذ أن جريمته حملها عنه آخر بنجاح, وقد صار غير مذنب أمام القانون. أما موت العامل فلا يعني له شيء.

تمت صياغة المحضر بالصورة التي تضمن براءة الراهب الحي, وتدين العامل الميت, فهو عامل مهمل مخطئ يسير في وسط الطريق وليس علي جانبه, كما أنه لم يسمع آلة التنبيه, ولديه بوادر التخلف, وربما اتهموه بأنه ألقي بنفسه أسفل السيارة حيث لم نعلم ما قد تم علي وجه التحديد, رغم قربي من المطبخ الإسـتخباراتي والمعلوماتي بالدير إلا أن حزني علي العامل صـرفني عن تقصـي ما دار سـراً بالمحضر, ونظراً لثقة شرطة الوادي بالدير لذا تم المحضر في سرية تامة, أما العمال فلا يعرفون ما يدور.

ولا يمكن أن يقوم راهب بتبليغ الشرطة بالحقيقة, فسوف يُعتبر خائناً للدير ويُطرد فوراً. وحتى لو أراد لما أمكن له ذلك فليس لدي الرهبان آية وسيلة للاتصـال بالعالم, وفوق هذا فتبليغه لن يُعيد الحياة للشـاب. أما الطامة الكبرى هي أن الرهبان لا ينتقلون

لشرطة الوادي, فنظراً للعلاقة القوية التي صنعها الدير مع القائمين علي الأمن فيأتِ الأمن إلي الدير ليتم عمل المحضـــر داخله, وليُكتب فيه ما يُمليه الدير وليس ما تمليه الوقائع.

هكذا تم تبديل الراهب المذنب الذي لا يملك رخصة قيادة براهب برئ يملك رخصة, وتم تبرئة القاتل الجاني وإدانة المقتول المجني عليه, ولو كان هناك عقاب يُوقع علي الميت, لأصدروا علي الجثة أقصي عقوبة.

أما أهل العامل فهم من الصـــعيد الذين يُقدســـون الرهبان, ولا يتطرق إلي ذهنهم الشك بالدير, ولا يمكن أن تطرأ علي أفكارهم الشكوى ضده, لذا قام الرهبان بحمل جثة العامل إلي أهله مع بعض العاملين في الدير من نفس بلدته, وأعطي الرهبان مبلغ ألفين من الجنيهات لأهل الميت, وهكذا دفن العامل ودفنت معه قضيته.

وعاد راهب الورشة يصول ويجول ويمارس تكبره ولكن ليس قبل بضعة أشهر قضاها حبيساً في القلاية, وربما كان هذا بأمر الأب الروحي[19].

ولم يغيب عن الأب الروحي الذكي أن مثل هذه الحوادث يمكن أن تتكرر, لذا قام بعمل رخص لكل الآباء الذين يقودون ســـيارات بدون رخص, وبالطبع خص أبونا راهب الورشة بإحداها.

ولو تم فتح ملف القضية لوجد أن تاريخ حادثة العامل في محضر شرطة الوادي يسبق تاريخ رخصة القيادة للأب السائق بخمسة شهور علي الأقل!!

(2)

أردتُ تسجيل ما أثر فيَّ في فترة الرهبنة بغض النظر عن ترتيب السرد زمنياً, لذلك ظهرت الكتابة وكأن حوادثها منفصلة إلي حد ما.

بعد عودتي من الكيلو 70 لم أستطع القيام بأي عمل, وقد تركت العمل علي البوابة نهائياً وبدون رجعة.

كلمني الأب "يو" وهو من كبار المســئولين بالدير قائلاً " تعلم أن الأب مدير الحظيرة ســافر إلي القاهرة ويقوم بإدارة الحظيرة الآن في الفترة الصــباحية الأب "مر", والأب "دا" يقوم بالإشراف علي قسم الرضاعة, وقد تم تكليف الأخير بإدارة الحظيرة في الفترة المسائية بالإضافة إلي الإشراف علي الرضاعة في نفس الفترة, ولما كانت الحظيرة كبيرة (ألف رأس من الأبقار وست مائة رأس من الأغنام) والأب

[19]) يلاحظ القارئ أن الأمر اليقيني أكتبه كحدث وقع بالفعل, والغير متأكد منه أسبقه بكلمة ربما أو من الجائز....الخ

"دا" يعمل فترتين لذا أصيب بالإرهاق ولم يعد قادراً علي مواصلة العمل, بل كاد أن ينهار.. فأرجو أن تسرع بمساعدته وتحمل عنه إدارة الحظيرة بعد الظهر" ولما كان الأب "يو" يعلم أني لن أتأخر خاصة في المواقف التي تحتاج إلي تضحية, كما أني حقاً لا أرضي بانهيار أبونا "دا" إذ أني أحب الجميع, لذا كان متأكدا من قبولي التضحية والدير كله يعلم أن الحظيرة تجربة من يدخلها يشبه من يدخل جحر الأفعى أو يلج إلي أتون النار.

تسلمت العمل من أبونا "دا" وأتقنت الإشراف علي الأعمال التي أوكلت لي, وقد كانت الحظيرة في الأيام الأولي بمثابة مصحة نفسية بالنسبة لي, فرؤيتي للحيوانات اليومية وإطعامها والاهتمام بها, والنجاح في إدارة الحظيرة, والقدرة علي القيادة(أكثر من 20 عامل وجرارين ولودرين..) هذه الأمور ساعدت في شفائي النفسي, فقد بدأت في استعادة اتزاني النفسي, وقد كان وراء هذه الأمور أمر أكثر أهمية وهو غياب الراهب المسئول عن الحظيرة حيث تُجري له عملي البروستاتا. وقد تحدثت عنه في الصفحات السابقة.

لم يكن في فكر الرهبان أن تكون لديهم حظيرة, ولا يقوموا بتربية الأبقار والأغنام. كما قص علينا الأب الروحي وقال "كان العرب المجاورين للدير ينزلون إلي أرض الدير في موسم البطيخ ويقوموا بزراعتها بطيخ, ويتركونها بعد جني البطيخ, سبب هذا قلقاً للدير فلو وضعوا علي الأرض الأيادي لاستولوا عليها وصارت ملكهم (كان هذا قبل بناء السور الخارجي), ومن جهة أخري لا يحب الرهبان مجاورة جار. لذلك نصح أصدقاء الدير الأغنياء بضرورة زراعة أرض الدير بواسطة الرهبان أنفسهم, والزراعة يلزمها سماد بلدي لذا يجب تربية الماشية, وقد أهدي بعضهم للدير عدة رؤوس من الجاموس والأبقار المصرية."

كانت هذه نواة الحظيرة, ولكن الدير أخذ في التوسع, وتطوير المشروع فقد أرسل الدير أبونا "أش" إلي أوربا (ألمانيا إيطاليا فرنسا...) سنة 1979 و1981 لتلقي بعض المعونات من الأغنياء المصريين المقيمين هناك (وقد ساهم بعض الأجانب أيضا) وإرسالها إلي الدير في صورة قطيع من الأبقار ذات السلالة الممتازة, في إنتاج اللحوم والألبان.

بسبب هذه السلالات الممتازة كان للدير في هذا المجال سمعة ممتازة, ليس لدي المزارع المجاورة فقط بل حتى لدي مركز البحوث التي كانت له زيارات للدير وعلاقات وثيقة. عاد الراهب المسئول عن الحظيرة إلي الدير وصرت أعمل معه بصفة رسمية.

تردد الدكتور "م" البيطري من مزرعة مجاورة علي الدير يستفيد من خبرات الدير, خاصة بعد التطور الكبير الذي وصل إليه من تلقيح صناعي, ونقل أجنة...الخ ذلك في الفترة التي عملت فيها بالحظيرة, وصار الدكتور "م" صديق للدير وصديق شخصي, كان بشوشاً خفيف الظل, يغمرك بدفء عاطفي, شاب فرح دائما, مقبل علي الحياة, نشيط يفيض حيوية, حضوره مريح, متوسط الطول أبيض اللون ممتلئ قليلاً.

أتفق الدكتور "م" مع الدير علي أن يشتري عجل فرزيان للاستفادة (بالسيمنزفي التلقيح) لتحسين السلالة لدي المزرعة التي يعمل بها, جاء موعد تسليم العجل وكانت

المفاجأة الصاعقة لي, سوف يبيع الدير العجل الذي طالما حذروني من الاقتراب منه, فهو شـــرس الطباع, يحمل كمًّا من العداوة لا مثيل لها, وجميع العمال والرهبان العاملين بالحظيرة لديهم نفس التحذير, ويعرفون عنه شـــراســـته وتهوره, كان وزنه يزيد عن الطن بمأتى كيلوجرامات, وقد قام بنطح عجل من ســـلالة (البرون), كان هادئ الطباع علي الفخذ الخلفي فكســـره, وامتنع الأخير عن الأكل فتم ذبحه, وكان وزنه 1500 كجم, وقد سبق لي الحديث عن ذبح العجل الفريزيان النطاح مع الراهب المسئول للتخلص من تهديد الخطر الذي يمكن أن يُوقعه في أي وقت وكان موافقاً.

وها هو الأب المسئول يعطي أوامره للعمال للقيام بتحميل العجل (النّطاح)!! في اضــطرابي حاولت أن أســتجمع قواي وأهدئ نفســي واقتربت من الراهب البيطري المســئول, وهمســت له "ألا يجب تحذير أصــحاب المزرعة من خطورة هذا العجل" وإذ به يلتفت إليَّ ويزمجر ويتصــاعد الغضــب إلي رأســه وتحمر عيناه, ويزجرني باحتقار شديد صائحاً "أنت مالك روح هناك يله."

اتبع معي سـياسـة الدير القائمة علي القمع والاسـتبداد والقهر وتسـلط الكبير علي الصـغير. فبحثت عن أقرب رصـيف لأجلس عليه فسـاقيَّ عاجزة عن حملي, والدوار يهشـم رأسـي, فقد شـعرت بالإهانة البالغة, إذ صـرتُ أحقر من صـبي الميكانيكي, أين احترامي كأخ له في الدير, حاصـل علي بكالوريوس مثله. كيف أسـتطيع قيادة العمال وأنا مهان بهذه الطريقة؟ أين الشـــعارات والمثل والقيم والمبادئ؟ إن نفســـي تتحطم, تركت العالم لأسير خلف المستقيمين في طريق الاستقامة, فما وجدت إلا منحرفين في طرق معوجة!! هل يمكن لطريق الغش والخداع أن يؤدي بنا إلي الحياة الأبدية مع الله؟!!

عدت إلي الدير في ذلك المســـاء مثقل بالأحزان والهموم والمهانة, لا أقوي علي السير بل أقوم بجر رجليَّ جراً. وذهبت إلي أب الاعتراف وأعلمته بما دار. ولم يُعلق بشيء.

مر شـــهراً من الزمان وإذ بأب اعترافي وبدون مقدمات يُفاجئني بالقول " لقد نطح العجل طبيب المزرعة البيطري وأرداه قتيلا" هذا في الوقت الذي كاد العقل أن يتناســـى ما حدث مع أن توقع حدوث كارثة قائم, إذ بالنبأ يأتي كالصـــاعقة, قُتل صديقي الدكتور "م" اجتاحت لوثة عقلي وملئ الحزن نفسي , وأنقض علي عذاب الضمير انقضاضاً. وصوته يصرخ في داخلي "أنت قاتل, أنت القاتل الحقيقي, أنت القاتل الوحيد, لو تكلمت لما مات صـــديقك الدكتور"م", لو صـــرخت وقتها لأنقذت حياته, أنت جبان أنت خانع أنت خائف من مسـئول الحظيرة, أنت لا تسـتحق الحياة, قد خسـر شـبابه وأنت هو السـبب, ماذا لو كان لديه أولاد وزوجة, أنهم يصـرخون ويشيرون نحوك لماذا لم تنج أبينا من الموت.." صار ضميري يردد فيَّ هذا التعذيب ليلاً ونهاراً, طار نومي وما عادت لي راحة ولا ســكينة, أســـهر طوال الليل مع هذا العذاب, لم أستطع الدفاع عن نفسي أمام ضميري, فاستسلمت لطعناته, دخلت في حالة من حب تعذيب الذات.. كمن يستريح لنصل سكين يمزق قلبه وهو ضاغط عليه بكلتا يديه لكي ينهي حياته ليريح نفســـه من ذنب جريمة ارتكبها. لم أنم لمدة تزيد

عن شهر ونصف حتى كدت أن أموت, والمسئولين في الدير يهنئون بنوم ناعم لذيذ, ولا يقض مضجعهم شيء وكأن شيء لم يحدث.

نعم لو تكلمت لمنعت الجريمة. في اللحظة التي انتهرني الراهب قائلا "أنت مالك" أعلن عن موت ضميره هو, فصار ضميري هو المسئول, ولكني جبنت وخفت, ألم يكن في مقدوري الصراخ وتنبيه أصحاب المزرعة وليكن ما يكون بعد ذلك حتى لو طردني الدير فسيكون ذلك أرحم مما أنا فيه.

أهذا ما وصل إليه حالي من الضعف والركوع وتقبيل الأيدي والسجود تحت الأقدام؟ أليس هذا سفك دماً بريئاً؟!! أليس هذا قتلاً مع سبق الإصرار والترصد؟!! هذه قضية غفل عنها القانون المدني, فهل يغفل عنها الضمير الإنساني؟ وهل يغفل عنها القانون الإلهي؟!!

ماذا يستحق الأب الروحي من عقاب علي هذه الجريمة؟ (إن كان يعلم)؟ أما جزاء راهب الحظيرة فهو الموت بحسب حكم الكتاب المقدس لأنع يعلم ويعلم ويعلم

" و لكن إن كان ثورا نطاحا من قبل و قد أُشهد على صاحبه و لم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم و صاحبه أيضا يقتل. (خر 21:29).

11

اعترافات راهب مصري

البقرة المصرية والجامعة الأمريكية

شـــيء جميل أن نغرس في النشء حب الوطن وواجب الدفاع عنه, والتضـــحية في سبيله بالحياة, لا لكي نجني ثمار ذلك في المستقبل فيدافع الشباب عن الوطن ويطلبوا سـلامته, ويدينوا بالولاء له فحسـب.. ولكن ليكون النشء سـليم نفسـياً, فيعرف حب الغير, ومعني الرجولة والتضـحية والفداء, وان حياة الوطن والآخرين أغلي عنده من حياته هو, ويدرك مفهوم الشـــهامة والأمانة.. فأماله بتقدم الوطن وازدهاره, والعمل علي ذلك يدعوه للتفاؤل والإقبال علي الحياة, يجب أن ننمي فيه غريزة الانتماء لبلده لأرضه لتراب وطنه, فينشأ جيل قوي شجاع لا يخاف الموت, يتمتع بصحة نفسية.

هكذا كانت نشـــأتنا علي يد الأســـتاذ "عليان محمد" الفلســطيني, فكم كانت تلذ لنا قصص الكفاح من أجل التحرير, فذاك جواد حسني يُصاب فيكتب بدمه "نموت نموت وتحيا فلسطين", وتلك ذات العقال الفارسة المُحاربة بالسيف, وميسرة الغلام المقاتل, وعيسي الغواص الذي كان يحمل الرسائل تحت الماء, لكم عشق جيلنا الأبطال وتعلق بالعلماء.

كلما لمحت الوطنية في الأب الروحي في الدير كلما ارتفعت نفسي فوق السحاب, واتسعت رئتاي لتمتلئ بشهيق الشجاعة الذي بدأت أتنفسه في المدرسة الابتدائية, وأحس أني مازلت حياً وما زال علي واجب هو تحقيق الكرامة والرفاهية لوطني, وها الأب يُقدم لنا بحماس مشـــروع جديد لخدمة الوطن إلا وهو "تحســـين البقرة المصرية" هكذا أطلق عليه.

تقوم فكرتـه علي التهجين, فـالـذكر "فريزيـان" والأنثى بقرة مصـــريـة, وتلقح العجلات المولودة (الجيل الأول) من فرزيان أصيل أيضاً, وهكذا يحدث للجيل الثاني فالثالث حتى الجيل الســابع الذي إن لم يكن يحمل صـــفات الأب فعلي الأقل صـــفات قريبة جداً منه.

الفرق بين الفريزيان والبلدي هائل, علي سـبيل المثال ذكر الفريزيان يصـل وزنه إلي أكثر من 1300 كجم (طن وثلاثمائة من الكيلوجرامات), وأنثاه تزيد عن 900

كجم, أما الذكر البلدي فلا يصـــل إلي 900 كجم, وأنثاه لا تتجاوز 600كجم, أنثي الفريزيـان تحلب مـا يقرب من 25كجم لبن يومياً والبقرة البلدي لا تحلب أكثر من 4كجم لبن يومياً. ومن فوائد التهجين أن الأجنة تحمل القدرة علي التكيف من البيئة كصفات وراثية من الأم, وتحمل غزارة اللحم والبن كصفات وراثية من الأب.

انتخبت بقرات مصــرية للمشــروع وذكور فريزيان جلبها الدير من "ألمانيا" التي بدورها جلبتها من هولندا وقامت بتطوير ســـلالتها, وولدت الجيل الأول, وهذا ولد الجيل الثاني .. ووصل البحث للجيل الرابع وفي بطونها الجيل الخامس.

وهنا ظهرت الجامعة الأمريكية التي لم تكن لنا علاقة بها من قبل, أو هكذا كان يبدو لنا كرهبان صـغار, كيف عرفت موضـوع البحث؟ وهو سـر من أسـرار الدير, ربما لا يعلمه مركز البحوث المصري رغم زياراته لنا الكثيرة وعلاقاتنا به الوثيقة.

ما هي إلا أيام من تردد مندوبين من الجامعة الأمريكية علي الدير إلا ونسـمع أن الأب الروحي باع البحث ومشـــروعه للجامعة الأمريكية.. حملوا أبقار الجيل الرابع الحوامل بالجيل الخامس, والأوراق وكل ما يخص البحث, فكانت فاجعة بالنسـبة لي وللرهبان فاجعة عظيمة, ولم يســتطع الرهبان كبت غيظهم فكانوا يسـلبون الأب الروحي علانية.

أيأخذون البحث ونحن علي وشك إتمامه؟ أيأخذونه جاهزاً؟ ألم نكن نحن أصحاب الفكرة وأصـحاب العمل حتى كاد أن يكتمل؟ أيشـترون عرقنا وأملنا؟ وهم لم يتعبوا فيه ولا ترجوه ولا ترقبوه مثلنا؟ وضـعنا أمالنا عليه, فيا للحزن ويا للحسـرة, أننا لا نرغب في المال إطلاقاً, إن مكسـبنا أكبر بما لا يُقاس لو تم المشــروع, يكفي أنه بعد عدة سـنوات لن تطول (إن نجحنا كمصـريين في تطبيقه ونشـره) سـوف يتوفر لدينا اللبن والجبن والســمن واللحم, واللحم أهم ما يؤكل وهو المؤثر الأول في اقتصـــاد المنزل ومؤثر في اقتصاد الدولة, وسوف نتحول من بلد مستورد للحوم إلي بلد تُصدر اللحوم.

كيف فرط الأب في المشـــروع وهو لا يفرط في أي حق من حقوق الدير, ولا في شـبر أرض, تشـهد عليه القضـايا والمحاكم التي أنتزع بها الأرض من أيدي العرب وكذلك الوزير "حسب الله الكفراوي" الذي أراد ضم أرض الدير إلي مدينة السادات.

لماذا باع أفكاره وتعبه؟ فقد كان متابعاً للمشــروع بنفســه. أيكون الثمن المدفوع باهظاً؟ حتى ولو كان فهل يُغير ذلك الثمن ضـمير الأب الروحاني المتســامي عن المادة؟!! أما بالنسـبة للجامعة الأمريكية فالدولارات لا تعني لها شـيء فهي متوفرة لديها كأوراق الأشجار.

وعَدت الجامعة الأمريكية باسـتكمال البحث. يا للسـخافة تكمله لصـالح من؟ وقد صار ملكا لها تكمله أو لا تكمله فهي حرة. إن لم نخدم نحن أبناء البلد بلدنا فهل ننتظر أن الغريب خاصـة أمريكا أن تخدمها عوضـا عنا هذا هراء. وماذا سـيعود عليها إن أكملته وقدمته للحكومة المصـرية (جدلاً)؟ بل السـؤال الأهم والحقيقي ماذا سـيعود عليها إن هي لم تكمله؟!! يعود عليها الكثير: فضعف الدول يضمن استمرارية الهيمنة

والســـيطرة (الأمريكية) فأن زاد اقتصــــادنا ولم نعد في حاجة للمعونة الأمريكية فسنعيش الاستقلالية التي لا تريدها لنا. وقد قال "القذافي" (رحمه الله) **لا حرية لشعب يأكل من وراء الحدود (حدوده).**

مضت المدة المحددة لاستكمال البحث ولم نسمع أن الجامعة الأمريكية أتمته, ولا قدمته للجهة المصرية المختصة حتى تهكم الرهبان وقالوا:

قامت الجامعة الأمريكية بذبح البقرات المصرية

وشوتها علي الفحم شيا وأكلتها طعاماً شهيا

وصار هذا الموضوع مثار سخرية بالدير.

كان هم الجامعة الأمريكية عدم تحســـين البقرة المصـــرية, وقد تواطأ معها الأب الروحي.

قطعت أمريكا الحلم الجميل الذي كنا نحلمه وأيقظتنا علي كابوس أن الدير ليس لديه روح الوطنية التي يتشدق بها كثيراً. ولما أراد أن يبرر فعلته الشنيعة قال "قمت ببيع المشـــروع للحفاظ علي تواضـــع الرهبان العاملين فيه خوفا من أن ينتفخوا (يستكبروا) ويصابوا بالغرور وينصرفون عن العبادة الروحية."

الآن تذكر العبادة الروحية, وأين كانت أثناء إقامته كل هذه المشـــاريع؟ الآن تذكر أن هدف الرهبان روحي وليس مادي. وأين هذا الهدف من بقية المشـــاريع؟ وهل يتعارض النجاح مع التواضـــع؟! علي العكس النجاح الحق يزيد التواضـــع! بيع هذا المشـــروع بثمن ضـــخم لذا بدأ الدير بتذكر الهدف الروحي, ولو بيعت كل المشـــاريع بنفس المســـتوي لتم التذكر التام للهدف الروحي. نعم ســـوف نتذكر الهدف الروحي ولكن ليس قبل أن يكدس الدير أكواماً في البنوك, للاطمئنان علي المســـتقبل, ففوائد البنوك تضمن عيش (البغددة), التي هي ممنوعة علينا كرهبان صغار, فلو فكرنا فيها فمصيرنا الهلاك في جهنم الحمراء.

تتلون تلك الحيوان الصغير بلون البيئة التي تُوجد فيها ويتلون الأب بلون الموقف, فإن أراد أن يقنعك بترك الصـــلاة والعمل الروحي لتنتج مادياً قال لك أن الأمين في القليل (العمل المادي) أمين في الكثير (العمل الروحي), وإن أراد دفعك للصـــلاة قال لك أن العمل المادي يؤثر علي روحانية الراهب, وهو علي علم تام بأن أكثر من 78% من الرهبان قد انفصلوا عن الصـــلاة والعبادة, وصـــار عملهم هو كل عبادتهم, فلا حضـــور التســـبحة ولا حضـــور صـــلاة الغروب ولا قراءة في الكتاب المقدس, والكثيرين ليس لديهم إدراك روحي.

أثناء المشروع أطلق شعار **"أننا نقوم بواجبنا تجاه مصر بهذا المشروع"** كان شـــعار جميل, كانت الحنجرة تهتف وكان العقل يتنكر, والضـــمير يتعثر واليد تقبض نعم أثان في واحد 2×1 لا يساوي واحد.

12
اعترافات راهب مصري

أمريكي يترهب بديرنا

كانت الدراسات اللاهوتية تجري علي قدم وساق في الدير, وتُعامل كالدراسات العلمية تماماً, ومن ثمَّ تعلم اللغة الألمانية لأن الألمان احتفظوا بمخطوطات الأديرة, خاصة ديرنا, ونقلوها إلي لغتهم بعد شرائها من الرهبان الذين كانوا يجهلون قيمتها في ذاك الوقت. فقد كانت مكتبة الدير من أضخم المكتبات, وكان الدير مركز إشعاع علمي كبير, ربما تأتِ مكانته بعد مكتبة الإسكندرية الشهيرة.

وصل جهل الرهبان إلي أنهم كانوا يحرقون المخطوطات, لاستغلالها كوقود لصناعة الخبز, فكان الألمان ينقذونها من أيديهم بقطعة نقود أو بلفافة تبغ أو بزجاجة خمر! وفي سياق ذلك صرح لي الأب الروحي أن النساء كن يأتين إلي الرهبان في الخفاء وقد أفسدن الرهبان والرهبنة (هذا ما قاله بالحرف الواحد).

فقد مرت الرهبنة مراراً بعصور مظلمة وأخري مزدهرة, تارة تعلو وتارة تهبط إلي القاع, أما المرحلة التي تمر بها في هذه الأجيال فهي مرحلة التزييف والرياء, لها شكل الأصالة وجوهر الخداع, وحتى وهي في أزهي عصورها لم تخرج عن كونها تزييف لحقائق وآيات الكتاب المقدس, وهو بريء منها تماماً ومن تعاليمها.

كان تعلم اللغة اليونانية أساسي في الدير فهي اللغة التي كُتبَ بها العهد الجديد, وخاصة أن ترجمة "فانديك" الموجودة بين أيدينا مضي عليها 150 سنة, وبرغم الإتقان الذي ترجمت به إلا أنها لا تبلغ لدقة النص اليوناني الذي كُتب به الأصل, وما يقال علي اللغة اليونانية يُقال علي اللغة العبرية التي كتب بها العهد القديم, وقد حضر إلي الدير القنصل الإسرائيلي ليعلم هذه اللغة, وبعد فترة مُنع القنصل من الدخول للدير لأسباب سياسية, كما كان يحضر إلي الدير مدرس من بلجيكا ليعلمنا اللغة الفرنسية, وأرسلت لنا الجامعة الأمريكية خير مدرسيها مستر "وليم دوقلص" ليعلمنا اللغة الإنجليزية, وذلك بعدما ذاقت حلاوة لحم البقرة المصرية.

كان شـــاباً رائعاً بكل المقاييس, خلق الأدب, لســـان الحلاوة, قلب الحب, عاطفة الإحساس, سخاء العطاء, كان أفضل من تعامل مع الدير, وأنقي من تردد عليه, كان متدينا بصـــدق, طويل القامة أبيض الوجه مع احمرار,جميل الطلعة بشـــوشـــا, رقيقاً خجولاً بصـورة تفوق خجل البنات, أحب الرهبان وأحبوه, وصـار صـديقا لكل منهم, كان يأتِ إلي الدير مرتين أسبوعياً, وكان يسعي للحصول علي درجة الماجستير في مادة طرق التدريس من الجامعة الأمريكية.
بعد حوالي عام ونصـــف من التردد علي الدير قرر أن يترهبن فيه ويقضـــي بقية حياته راهباً لدينا, ما كانت أشـــد فرحتنا به, أما فرحة الأب الروحي به فقد فاقت التصور, وقد أطلق له اسم أبونا مكاري كتعويض عن الأب مكاري المصري[20]ولكن الفرق هائل بينهما, فالمصـــري كان له وزنه وخبرته الروحية ومعارف وعلوم لا حد لها,أما الأمريكي فكان مبتدئا, تماما كالفرق بين ســـعد زغلول وســـميه الطفل ســـعد زغلول, أو الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وسميه الطفل جمال عبد الناصر.

فمن المعروف أن الأنبا باخوميوس مؤسس الرهبنة الباخومية والذي وضع كثير من قوانين الرهبنة, كان لديه رهبان من الروم, ويُحكي أن أحدهم كان يعترف لديه ولكن بواسطة مُترجم, ورفض المُعترف أن يستكمل اعترافه بواسطة المترجم, فصلي الأنبا باخوميوس فأُلهم معرفة اللغة الرومية من الله مباشـــرة وصـــار لا يحتاج إلي مترجم. وقد وصل عدد الرهبان لديه إلي سبعة آلاف راهب.
وكان هذا ســـر فرح الأب الروحي أن ينال شـــهرة الأنبا باخوميوس مُعلمه ومثله الأعلى. لم يغير الشاب الأمريكي جنسيته, ولسسنا ندري إن كانت السلطات المصرية علي علم برهبنته أم لا؟ غير أن رؤســـاؤه في الجامعة الأمريكية عارضـــوه بشـــدة وحاولوا أن يحولوا بينه وبين ترك الجامعة والترهب. مكث الرجل البار في الدير عامين فقط وأصطدم بالواقع المرير.
كانت أوامر الدير لنا أن نصـطاد العصـافير لأنها تتلف المحاصـيل وتنقض علي العنب قبل أن يُجمع وتأكل الفواكه وتُخربها, فأقترب إلينا ذات ليلة وقال لنا "ما هذه القسوة تقوموا بقتل العصـافير, ألا نقول في التسبحة سبحي الرب يا طيور السماء, فكيف ندعوها للتســـبيح وأنتم تقتلونها, أليس لديكم قلب؟ ألا توجد فيكم عاطفة؟ هل يمكن أن الرهبان يقتلوا؟ كان الرقيق يلومنا لقتل العصـــافير ولا يعلم أن لدينا القدرة كرهبان أن نقتل بعضنا بعضا.
كان لديه عقل راجح كان أول من قال لنا "لا توجد طاعة عمياء هذا خطأ كبير, يجب أن تكون الطاعة مصـحوبة باسـتنارة" لم نسـمع هذا من الأب الروحي ولا من الشيوخ, ولا من أحد في الكنيسة كلها, حقاً كان محقاً وقد قال عبارته في وقتها القاتل.

عاني الأمريكي صـــاحب الحرية المنضـــبطة عاني من قوانين الكبت والقهر والحرمان وعدم احترام الآدمية, والمعاملة الجافة, وضـــياع المثل, حتى انهار تماماً

[20]) سيأتي الحديث عنه

وترك الرهبنة وترك الجامعة الأمريكية وترك مصـــر كلها وعاد إلي أمريكا بعد تجربته الخاسرة ولكن ليس بعد أن قال قولته الشهيرة الصادقة:

إن الدير يشـــبه فاترينات العرض, جميلة من الخارج.. أما من الداخل فمملوءة بالقاذورات" فكانت لطمه قوية للأب الروحي أفاقته من حلم أن يترهب الأجانب بالدير, وأن يمتلئ من كل الجنسيات.

13
اعترافات راهب مصري

يوميات الحرمان في الدير

لم يكن الدير بخيلاً فقط في عطاياه لمن هم خارج الدير حتى ولو كانوا محتاجين, بل وكان بخيلاً لمن هم داخله أيضا أي علي الرهبان. ولم يكن يدفع إلا ليأخذ أضعافاً, علي الأقل مديح وعظمة وشهرة.

كان المتبرعون يحملون للدير ما يلزم للرهبان وتوضع الملابس و(الشباشب)[21] في مخزن, وأكثر ما يُستهلك الشباشب الجلد, فالراهب يسير كم هائل من الكيلومترات يومياً, لذلك وضع الأب الروحي قانون أن لا يُصرف للراهب شبشب جديد إلا بعد مرور أربعة أشهر, علي الرغم من توافرها بالمخزن, أما الغيارات الداخلية فتُصرف مرتين في السنة, مرة في الشتاء ومرة في الصيف, وكان المسئول عن الدياكونية يأخذ هذه الغيارات التي تصل إلينا مجاناً من الفيوم ويرسلها إلي الكانتين لتباع فيه للعمال, أما الرهبان فليس لديهم نقود ليشتروا شيء من الكانتين.

أما الأب المسئول عن القرطاسية فيسألك خمسة عشر سؤالاً لكي يُعطيك قلماً أو كراس, كأنك وإياه قادمان علي ارتكاب جريمة فيقوم بدور المحقق, ولا سيما إذا طلبت قلم (فلوماستر), صعدت إليه ذات مرة طالباً مسطرة فغضب غضباً شديداً وأحمر وجههُ الأحمر وزمجر قائلاً "الأولي بالمساطر الرهبان المهندسون لكي يخططوا مشاريع الدير" وكانت مسطرة عادية مثل التي يحصل عليها تلميذ ابتدائي, ونزلت من قلايته مصحوباً بمرارة شديدة, وألم نفسي بالغ, ما هذا الحال الذي أوصلني إليه الدير, لا أملك مسطرة ولا ثمن مسطرة وأهان عند طلبي مسطرة.

---

[21]) ينتعل الرهبان شباشب حتى في الشتاء القارص, وتُمنع الأحذية إلا في حالة السفر خارج الدير

قد كنت أحمل في حقيبتي (السمسونايت) أثناء تعييني كمدرس سنة1979 الأقلام والأدوات الهندسية أهديها تشجيعاً للتلاميذ, ولم تخلو حقيبتي من الحلوى التي كنت أوزعها علي الجميع بدئاً بالناظر حتى الفراش, قد وصل احتياجي إلي التوسل وجرح الكرامة من اجل مسطرة لا يزيد ثمنها عن جنيه واحد, أهكذا ثمن الراهب في الدير لا يساوي جنيهاّ واحداً؟!!

ما أثرَّ في نفسي وكان صعباً نسيانه هو عدم توفر الفول المدمس في المساء, فهو الوجبة الرئيسية أثناء الصوم (أكثر من سبعة شهور في السنة), ويُوضع زيتون أحياناً بجواره وأحياناً لا يُوضع, أما الزيتون فهو من النوع المخروم, والذي كان ساقطاً علي الأرض قبل القيام بجمع الزيتون, وعلي الراهب فتح الزيتونة قبل أن يأكلها ليتأكد من خلوها من المخلوقات الغريبة, فعلي الرغم من الكم الهائل من الزيتون بالدير إلا أن العمال والرهبان يُصرف لهم الزيتون الفاسد, أما الزيتون الممتاز مثل الكالاماتا الذي تم استيراد شتله من اليونان, والأسباني من أسبانيا فيعطي هدايا لكبار الأغنياء, أو يُباع بثمن غالٍ, ويعرف الدير من أين تؤكل الكتف, فقد تصل قيمة الرد علي هدية صفيحة الزيتون إلي ألف جنيهاً, ومن ثمَّ أليست الهدايا مربحة أكثر من البيع؟ أليس هذا مخالفاً لأقوال المسيح " **عِنْدَمَا تُقِيمُ غَدَاءً أَوْ عَشَاءً، فَلاَ تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلاَ إِخْوَتَكَ وَلاَ أَقْرِبَاءَكَ وَلاَ جِيرَانَكَ الأَغْنِيَاءَ، لِئَلاَّ يَدْعُوكَ هُمْ أَيْضاً بِالْمُقَابِلِ، فَتَكُونَ قَدْ كُوفِئْتَ. 13وَلكِنْ، عِنْدَمَا تُقِيمُ وَلِيمَةً ادْعُ الْفُقَرَاءَ وَالْمُعَاقِينَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ؛ 14فَتَكُونَ مُبَارَكاً لأَنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَمْلِكُونَ مَا يُكَافِئُونَكَ بِهِ، فَإِنَّكَ تُكَافَأُ فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ».(لو 14: 12-19)**

عودة للفول المدمس فول الحلَّة (البريستوا) فكميته قليلة جداً لا تكفي للرهبان, فمن عاد مبكراً من العمل كان له السبق في حيازة مغرفة من الفول, ومن يعود بعده لا يجد سوي الخبز فقط وتتبرم نفسه وتتأفف حتى ولو كان قديساً, أبعد كل هذه الأعمال الشاقة والصوم والجوع لا يجد قليل من الفول المدمس الذي وفرَّه الله لأفقر فقير في مصر؟!! ونشكر الله ونحمده علي توفر الفول ونسأله أن يديم علينا هذه النعمة علي الشعب, فيكفي أن نأكل ونلبس كما قال بولس الرسول.

حين عودتي أحياناً نادرة من العمل كان يمكنني أن أحمل نصف كمية الفول الموجود بالحلة, ولكني كنت اذكر إخوتي المتأخرين فأتناول علي طرف المغرفة كمية قليلة لا تكفي لفطيم, علماً بأن الفول يأتِ إلي الدير كتبرع من أحد المعروفين بالفيوم بكمية هائلة, ويمكن زراعته في الدير.

حين كنت اذهب لمهام خارج الدير وأمر في المدن علي محلات عصير القصب واشتم رائحته, يسيل لعابي فقد كنت أحبه حبا شديداً, أمتنع عن شربه مع أن لدي نقود, لكي لا أُميز نفسي عن إخوتي الرهبان الكادحين في الدير الذين لا يستطيعون شربه أو الحصول عليه. لكم كنت صاحب مبادئ في دير انعدمت فيه المبادئ.

في غير أيام الصوم نأكل الزبادي ونشرب اللبن ونحمد الله كثيراً ولكننا كنا نتوق لرؤية (الجبنة), فهي ليست عملة صعبة فقط بل وممنوعة أيضاً, علي الرغم من كميات الجبنة التي يصنعها المعمل يومياً, وكانوا يقولون في الخارج "أن جبنة الدير لا يُعلي عليها". يوضع للرهبان قطع بلاستيك شديدة الصلابة, إذا قذفتها للحائط ترتد إليك, ليس لها طعم ولا رائحة, يُطلقون عليها جبن قريش وما هي إلا أحجار بيضاء.

كان الرهبان خارجين من الكنيسة فور انتهاء صلاة الغروب. وفجأة دوي صوت رئيس الدياكونية الغاضب بدرجة أعلي مما كان يقود بها الصلاة داخل الكنيسة:-" الجبنة البيضة ممنوعة, الرهبان لا يأكلون الجبنة البيضة, أنها تصنع نجاسة للرهبان" (يقصد أن نسبة الدسم الموجودة بالجبنة البيضاء تتحول إلي طاقة في الجسم تزيد الشهوة الجنسية اشتعالا). كان يصرخ في وجه الأب "يس" الذي همس في أذنه طالباً إذناً أن يأخذ جبنه بيضاء لتقديمها للرهبان, إذ كان هو المسئول عن المائدة في تلك الفترة, امتقع وجه أبونا "يس" فقد جرح أمام الرهبان ولم يكن طلبه الشخصي بل عبر عن احتياج الرهبان. انتحيتُ به جانباً وحددت له مكان نلتقي فيه ليلاً. فقد كنت دائماً قلباً للرهبان أواسيهم في أحزانهم وأفرح لأفراحهم وأشجعهم وأسندهم.

كنت مسئولاً عن جلب الطعام لرئيس الدياكونية وهو بدوره يقوم بإعداد الطعام للأب الروحي, لذا كنت قريباً إلي حد ما من قيادة الدير, كان مسموحاً لي بدخول مطبخ رئيس الدياكونية في وجوده أو عدم وجوده, وكان له ثلاجة بقلاية مجاورة لمطبخه أضع فيها الطعام أو أحمله له منها, وغير مسموح لأحد غيري بدخول تلك القلاية. أخذت أبونا "يس" سراً وأدخلته تلك القلاية وفتحت له الثلاجة, فتعجب وذهل وضرب كفاً بكف (جبنه فلمنكة - لانشون- جبنه رومي- جبنه صفراء- بسطرمة- لحوم فواكه..) وعلق قائلاً يصرخ في وجهي "الجبنة البيض تصنع نجاسة للرهبان" وكل هذه الأشياء لا تصنع نجاسة له؟!! وهكذا واسيت ذاك الراهب وخففت عنه آلامه, وكلما التقينا ضحكنا ملئ شدقينا.

كانت الخيرات التي تأتِ من الدير أو إلي الدير تمر علي رئيس الدياكونية, فهو المسئول عن أطعام الأب الروحي كما سبق الذكر, ولأول مرة أري التفاح الأمريكاني يتم تقشيره. ولم يكن الأب الروحي أقل ترفا من رئيس الدياكونية ولكننا كنا نلتمس له العذر لكبر سنه بالإضافة إلي انه كان يشكو من عدم كفاءة معدته في الهضم, مع أنها كثيراً ما هضمت رهبان وأخوة وعمال. وحتى أثناء الصوم كنت أذبح له الديوك التي تُشوي له. ولا يأكل خبز الرهبان بل كنت أصنع له خبز من الدقيق الأبيض (الفينو). وبينما كنا لا ننام من شدة الحر ولا نجد المبيد الحشري للبعوض إذ بالأب الروحي يتمدد تحت التكييف, وحين طلبت منه تغطية سطح المبني (بالطفلة) لتقليل شدة الحرارة التي نسلق فيها ونشوي, وضع في احدي أذنيه طيناً وفي الأخرى طفلة.

الأب الروحي يمنع الزيادة في عدد العمال لكي لا يدفع زيادة الأجور, وعلي الرهبان الذي لا يتجاوز عددهم 100, أن يعملوا مشرفين وعمالاً, وبدل 8 ساعات عمل نعمل 18 ساعة, وليست هناك إجازة أسبوعية كالتي تعطيها كل حكومات

الأرض, وممنوع علي الرهبان والعمال الذين يزرعون ويجمعون بأيديهم أن يذوقوا التفاح ولا العنب ولا التين والفاكهة بصفة عامة, الفاكهة والسلع الممتازة تُباع وما هو دون ذلك فللرهبان والعمال, وحتى بهذه الأصـناف الدون كان يُعيِّرنا رئيس الدياكونة قائلاً "كل واحد فيكم يأكل ب 1000جنيه في الشـهر, لن تسـتطيعوا إطعام أنفسكم إذا تركتم الدير" سوف أرتفع بأسلوب الوصف إلي أقصي مداه وأقول لكم كان رديئاً جداً.

لم ينظر إلي أعمالنا التي تجلب المكاسـب العالية للدير, بل نظر إلي اللقمة التي نقتاد بها, ومن جهة أخري لو كان لديه ماكينة يتكسب منها, أما كان يوقفها عن العمل ويعمل لها صـيانة, ويغير زيوتها ويمدها بالوقود, وإن لم يفعل ذلك فسـوف يدمرها ويدفع لشـراء أخري, ولكن الدير لا يدفع لشـراء الرهبان فالرهبان يذهبون إليه, وسيأتي عوضا عن المُستَهلك سليم وصحيح, قال هو نفسه " الرهبان لدينا كأعواد القصب نعصرهم ونأخذ العصير ونلقي بالنفاية إلي الخارج.

ربما يسأل سائل ألم تتعهدوا النسك ونذرتم الفقر؟ كيف تطلب الأكل والشبع؟

هذا صحيح, لو كنا نقضي الوقت في الصلاة وقراءة الكتاب المقدس والتأمل كان يكفي اليسير من الطعام, ولكن العمل الشاق الذي تبلغ ساعاته أحياناً إلي 18 ساعة في اليوم يحتاج طاقة, فالسـعرات الحرارية تسـتنفذ في هذا الكم من الأعمال والمشاريع, وقد قمت بالكتابة عن بعض هذه الأعمال.

وربما يقول آخر أين أنتم من الأنبا بولا الذي كان يأكل نصف خبزة, والقديسين الذين كانوا يكتفون بثمرتين من البلح, وآخرين كانوا يعيشون علي العشب؟!!

رغم أن هذا الكلام غير منطقي علمياً ولا صـحياً, فالجسـم يحتاج عناصـر غذائية متكاملة وإلا أصابته الأمراض, ورغم أن هذه قصص قريبة من الأساطير, فسوف نفرض جدلاً أن هذا حدث بالفعل مع أولئك واستطاعوا أن يتحملوا, ولكن كيف لأبناء هذا الجيل أن يصبروا علي أكل نصف خبزة, في حجم نصف راحة اليد ويستمروا في الحياة, أو بأي منطق تطلب منهم أن يأكلوا العُشـب الأخضـر, ومعظمهم أطباء ومهندسين وصيادلة وتجاريين ومدرسين؟

14

اعترافات راهب مصري

الراهبة "هاء"

لم أفكر في حياتي قبل الرهبنة في رؤية الراهبات, أو الزيارة لأحد أديرتهن, ففي طفولتي رأيت راهبات أجنبيات في المستشفي القبطي, ومن شدة جمالهن وأدبهن ورقتهن وخدمتهن للمرضي, رُسمت صورة ملائكية لهن في عقلي, وحدث بعد عدة سنوات أن لعبنا بجوار مدرسة الراهبات, وكان صياحنا يُزعجهن, وسقطت الكرة علي المبني الذي يُقمن فيه, وطرق بابهن أحدنا وانتظرت من بعيد خروج الراهبة لأتطلع إليها, وكلي شغف وأخيراً خرجت لنا راهبة مصرية وأمطرتنا بوابل من الشتائم والسُباب, والكلام القبيح, فكانت صدمتي هائلة إذ كنَّ في فكري والملائكة شيء واحد.

لاحظت أثناء وجودي بالكاتدرائية تردد راهبة عليها يومياً, لم أهتم بالأمر ولكنها نادتني باسمي وصافحتني وقالت "أنت من دير الأنبا مقار وقد جلست مع البابا أليس كذلك؟ رددتُ "بلي.. كيف عرفت كل هذا؟" قالت "سوف أخبرك" في هذه اللحظة دخل الأسقف وكيل البابا إلي الصالة ورآني معها, فتغيرت ملامحها وارتبكت وقالت:"سوف أراك بقاعة الانتظار, مر ذلك اليوم ولم أتمكن من رؤيتها.

لكن صورتها لم تفارق خيالي, كل أحاسيسي تدفعني إليها, أيكون الحرمان الطويل من المرأة؟ حرمان مع عطفها وحنانها وأنوثتها؟ أهو حب الاستطلاع؟ أم شركتها معي في نفس الزى والطريق؟ ربما تكون في مأساة كمأساتي, وتبحث عمن تبوح له بآلامها, ولكنها انزعجت حينما رأت الأسقف, وربما يرفع تقرير للبابا عن وقوفنا معاً, والراهب لا يملك سوي سمعته, إذا المشاكل تلوح في الأفق, لا يجب أن أقابلها ثانية, ولكن مظهرها ينم عن طيبة بالغة, وعليها مسحة من الحزن, كما أن القاعة تعج بالناس من مختلف الطبقات بالإضافة إلي الكهنة, فكيف أجلس معها وهي راهبة وأنا

راهب, وسوف يسترعي وجودي معها انتباه الجميع, وكيف أجرؤ علي رؤيتها وأنا أخاف أن أتطلع في وجه أمراه؟

دخلت القاعة ومررتُ ببصري علي من فيها ولمحتها وتظاهرت بأني لم أراها, وغضضت بصري وعدتُ من حيثُ أتيت لعلها تلحق بي, وبالفعل لحقت بي ونادتني, ودخلنا القاعة سوياً, جلسنا في ركن بعيد, وابتدرتني قائلة "مشكلتي تنحل لو قابلت قداسة البابا, وعرضتها عليه, فأنني أريد منه أن يُعيدني إلي ديري, وإن لم يكن ممكناً ينقلني إلي دير آخر.. كل أملي أن أعيش في دير لأني مشردة في شوارع القاهرة منذ عدة شهور" وتنهدت وصمتت, واحترمت صمتها وخشيت أن أسألها عن سبب خروجها من الدير لكي لا أسبب لها حرجاً, وأن أُجبرها علي البوح بما لا تريد الإفصاح عنه, وهنا دخل الأسقف الوكيل ورمقني بنظرة قاسية, فهو يعلم مطلبها, وانزعجت مرة ثانية وقالت سنتقابل غداً, وتشوقت أكثر لمعرفة قصتها.

كانت متوسطة الطول وممتلئة قليلاً, بيضاء, لا يظهر منها سوي وجهها فقط, مقبولة بشكل عام, تتميز بالعقل والمنطق, لها إرادة قوية علي ضبط عواطفها, الرهبنة عموما تقوي العقل علي العاطفة, التقينا وقصت قصتها.

قالت:-" ترهبت حين كان عمري 15 سنة, ومكثت بالدير 24 سنة, ونبتت الخلافات بيني وبين الأم الرئيسة[22], وشبت نيران الغيرة, ربما لأني أتقن التسبحة, وطلبت الأم مني طلب غريب أن أعترف لديها فقلت لها أني اعترف لدي الأب الكاهن المعيَّن للاعترافات (يأت إلي الدير من حين لحين) ولا يصح أن أعترف لدي أمراه (هذا صحيح حسب قوانين الكنيسة), وأصرت الرئيسة فلم أذعن لها, فقامت بالشكوى ضدي عدة مرات لأسقف الدير (لكل دير أسقف رئيس) وهو أسقف شاب يسمع للرئيسة, وليس لديه حيلة أمامها فهي شخصية قوية جداً بالنسبة له, وهي الآمر والناهي, وأخيراً قررت طردي من الدير, وأمرت سائق الدير بإعداد السيارة, ولما لم تكن لي رغبة بترك الدير, قاومتهن فأصدرت الأم الرئيسة أمراً لصغيرات الراهبات بربطي وتقييدي وحملنني إلي الشارع وكنت أصرخ لا أريد الخروج من الدير أريد البقاء, ولما استمرت مقاومتي لهن أمرت بإعطائي حقنة مخدرة, والحقنة خطيرة, إذ أن لدي مرض بالقلب, فرفعن عني ثوبي في الشارع, فثار السائق لهذا المنظر عليهن, وصاح في الرئيسة بأعلى صوته "لا يمكن أن يحدث هذا في الشارع, وأمام الناس, أليست الراهبة بنت ناس؟ " نعم أيها السائق الشهم أنت ترانا أولاد ناس ولكن الأب الروحي والأم الروحية يروننا أولاد البائل بالحائط.

استكملت قصتها وقالت "حملتني السيارة إلي بيت المكرسات[23]ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلة عذابي, فلم أسترح للمكرسات ولا هن استرحن لي, ونشبت الخلافات بيننا, فقمن بنقلي إلي بيت الشابات, وهناك قامت المشرفة بطردي بعد مدة قصيرة,

---

[22]) أقول الآن بضمير يملؤه الارتياح أنه لا وجود حقيقي للأب الروحي ولا وجود حقيقي للأم الروحية, كلها مسميات اخترعتها الرهبنة, ولا تعبر إلا عن الكذب والتمثيل وخداع البسطاء من الناس

[23]) نظام التكريس يختلف عن نظام الرهبنة, ففي النظام الثاني لا يجوز للراهب أو الراهبة سوي التعبد داخل الأسوار , ولا يجب الخروج منها, أما نظام التكريس فهو خدمة للمجتمع بصفة عامة, سواء أكان إرشاد روحي أو عمل بالتمريض أو بالتدريس, أي عمل يخدم المجتمع الإنساني, وهو نظام خاص بالكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية

و ها أنا أتردد يومياً علي الكاتدرائية ليقوموا بحل مشـــكلتي, ولا يوجد معي نقود وأصوم حتى المساء لعدم وجود ما أتناوله"

أيوجد ظلم أكثر من هذا الأم الرئيسة تنعم في تركة أبيها (الدير) وهذه المسكينة لا تجد ما تأكله ولا مكان يؤويها.
أنهت قصتها و كانت الساعة تجاوزت الرابعة عصراً, فسألتها هل تناولت طعاماً فأجابت "البتة" فشعرت بعطف شديد تجاهها, فاشتريت لها طعاما, وشعرت أنها طفلتي وأني مسئول عنها, وانتابني شعور بالذنب إذ أني أتناول طعاماً فاخراً من نفس ما يأكله قداسة البابا, وهي لا تجد ما يسد رمقها, كما أنني سوف ألتحق بدير الأنبا بيشوي وهي ستظل شريدة في الشوارع, وصارحتها بهذه الأفكار فقالت: "لأنك من دير الأنبا مقار يهتموا بك مع انك رجل وتســتطيع أن تتحمل الجوع والعري والبيات في الشارع, وإن لزم الأمر تستطيع أن تعمل."

وأضافت متحدثة بألم ومرارة:- "أما أنا فقد أهملوني وتركوني بدون مسكن أو طعام, والعجيب أنهم (الكنيسة وقادتها) يتسترون علي البنات التي حملن سفاحاً, والتي وقعن في الخطية, فيوفرون لهم المأوي والمأكل, أما أنا التي خدمت في الدير 24 سنة, وأنفقت حياتي في العبادة والاستقامة فالتشرد أقل ما يُقال عن حالي"
كنت أقوم برفع جزء من طعامي وأحمله إليها يومياً, وقد رجتني أن أحكي قصتها لقداسة للبابا عندما أقابله, فالأسقف العام يمنعها من مقابلة البابا, أحسستُ بالمسئولية تجاهها كما ذكرت ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ وأنا لا أملك حتى زمام أموري , وسألتها سؤال مباشر لماذا لا ترحمي نفسك من هذا العذاب, وتعودي إلي بيت أبيك؟ فأجابت: "أبي كاهن وأخي كاهن وأُفضـــل الموت علي العودة إلي البيت, أنت تعلم نظرة المجتمع لمن تترك الرهبنة, وحكت لي عن راهبات تركن الدير إلي حياة التشرد والضياع.. وإحداهن تعرفها معرفة شخصية تركت الدير وتقوم ببيع "الفجل" للحصول علي قوتها.

لماذا لا تقوم الكنيسة بإيواء مثل هذه الحالات, وتوفر عيشة كريمة لهن خاصة بعدما قضين سنوات الشباب في خدمة الدير, وخاصة أن الكنيسة شديدة الثراء, فهي تجمع الملايين من الداخل بالإضـــافة للأموال التي تأتيها من الخارج, لماذا ترد الرهبنة علي عَرق ودم الرهبان بالنكران والتجاهل؟
لماذا لا تقوم الكنيسة بتوفير مبنيين واحد للراهبات والثاني للرهبان الذين تركوا الرهبنة أو طردوا من الأديرة, وتوفر لهم فرصة عمل وتشرف عليهم حتى يتمكنوا من إقامة بيوت وإعالة أسرة, لماذا لا تسهل لهم مشروع الزواج, لماذا تقف ضدهم إذا رغبوا في الزواج ولا تعطيهم تصـــاريح بذلك! ما هو ذنبهم؟ ذنبهم الذي يعاقبون به من الكنيســـة والرهبنة, والمجتمع الذي ينظر إليهم نظرة دونية منحطة وكأنهم ارتكبوا أبشع الجنايات وسقطوا في أشنع الخطايا؟ يخرج الراهب فلا يجد مأوي ولا عمل ولا قوت يومي, ويُعامل أســوأ المعاملات. أليس من العار علي

الكنيســة أن بعض الرهبان يتســولون في الشــوارع. ألا يجب عليها أن ترعاهم بدلاً من الخزي.

ولماذا تضــع الكنيســة الســلطات المطلقة في يد أم (روحية) متغطرســة وأب (روحي) معتوه. لماذا ترضــي بأن يتســلط عليها الرهبان, ويجلســوا علي أعلي كراسيها, وهذا مخالف للإنجيل.

أختفي هتلر من الوجود ولكنه مارس النازية في الأديرة, مات صــلاح نصــر واندثرت مراكز القوي من المجتمع المصــري, ولكنه ترك روحه تصــول وتجول في رؤســاء الكنيسة والأديرة, ألا يوجد شــهر مايو بين شــهور السنة القبطية, ويوم 15 منه ألا يأت أبداً لتقوم ثورة تصحيح في المجتمع الكنسي والرهباني؟

كان قداســـة البابا قد وعدني بالمرافقة الدائمة له وقال "إذا ذهبت للدير تذهب معي وإذا عدت للقاهرة تعود معي" ولكنه لم يتمكن من الســـفر للدير فقد انشـــغل بإعداد الأساقفة الذين سوف يرسمهم في عيد حلول الروح القدس, لذلك أرسلني إلي الدير مع الأســـقف المحبوب رئيس دير الأنبا بيشـــوي, وأوصـــاه أن يقوم علي راحتي ويلبي طلباتي, وأوصاني الأسقف العام والذي كان زميل لي في دير الأنبا مقار قائلاً "سوف تقيم في مقر البابا في الدير ولكن عليك إن لا تتصـــل بالرهبان أو تتحدث معهم هذه أوامر البابا."

تركت الراهبة "هاء" ليد أمينة الأخ مجدي فايق أخو الأخ إيهاب شـــاب مهذب متدين, قلت له لســتَ في حاجة لكي أوصـــيك بها" فقال "**أنتبه أنت لحياتك ولا تقلق بشأنها"**

15
اعترافات راهب مصري

دير الأنبا بيشوي

تحســـنت حالتي النفســـية جداً أثناء إقامتي في الكاتدرائية, فكثيراً ما قابلت الأخ مجدي مع أصـدقائه والأخ إيهاب مع أصـدقائه, واتصـلت بعدد من معارفي, وتمتعت بحرية الدخول والخروج, والتنزه في القاهرة.

الدفء الاجتماعي يزيح عن النفس هموماً, قد خلق الله الإنسان اجتماعي بطبعه, أما أن يعيش الراهب في وحدة وعزلة تامة, فهذا مخالف لما خلقه الله عليه, وما نجاح الناسك في الوحدة سوي إدعاء باطل, أو مرض نفسي, أو هو نوع من الكتابة علي سبيل التشبه بالأساطير.

عندما نعزل أحد الطيور عن باقي مجموعته, ونضـــع أمامه الأكل والشـــرب, لا يأكل ولا يشرب مهما كانت درجة جوعه وعطشه, ويظل يصرخ ويصرخ حتى نُعيده إلي باقي المجموعة, فيعود لحالته الطبيعية يأكل ويشـــرب ويمرح, فإذا كانت الطيور والحيوانات مخلوقات اجتماعية فكم بالحري الإنسان؟

ذهبت إلي دير الأنبا بيشـــوي في المرة الأولي, وأقمت في مقر البابا في عزلة عن بقية رهبانه, إلا من أصـدقائي رهبان الأنبا مقار الذين سـبقوني واسـتبدلوه بدير الأنبا بيشوي, فساءت حالتي النفسية مرة أخري,بسبب الشعور بالسجن والعزلة مرة أخري.

في هذه الفترة حاولت الامتناع عن الأدوية المهدئة, ومضادات الاكتئاب.. ولم يكن ذلك ســـهلا يســـيراً, فهي تجربة "إدمان" كنت أعلم أن علاج الإدمان يكون بتقليل الجرعة قليلاً قليلاً, ولم أستشر أحداً.. **وقمت بتقليل الجرعة بالتدريج فانتابني صداع شديد.. واجتاحت جسدي حالات من الارتعاش العنيف, وشعرت أن عقلي تافه فارغ من أي نوع من التفكير, وكنت أسمع دقات قلبي بوضوح, والألم يملك جسدي كله..**

مع صعوبة في التنفس وبذل جهد كبير للحصول علي الشهيق, وكنت أجد صعوبة بالغة في كسر قرص البرشام ذو الحجم الصغير.

وتملكني شعور بالغضب المريع عندما أقارن بيني وبين المدمن, فهو يتناول المخدر بإرادته, أما أنا فأشعر بأنهم قيدوني وأعطوني إياه رغماً عني, لذلك هو يشعر بالمتعة وأنا اشعر بخيبة الأمل. ربما يكون هو مقتنع بأنه صار مريضاً, وبأن راحته لا تأتِ إلا من تناول الحبوب, أما أنا فمقتنع أني سليم وأن هذه الحبوب هي المرض بذاته؛ لذلك صممت علي الإقلاع عن هذه المهدئات, وبعد حوالي شهرين والحمد لله انقطعت عنها نهائياً, ولكن حالة الاكتئاب لم تفارقني.

حضر قداسة البابا إلي الدير وطلبني, وقال لي " **ماذا تريد؟ أنا لا أريد إلا راحتك, وما تطلبه سوف أنفذه لك"** فأبلغته برغبتي في الخدمة والنزول إلي العالم والتقابل مع الناس فلم أعد أطيق الأديرة, وكان يرغب في أن أبقي معه ولما رأي تصميمي أرسلني إلي الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف.

كان الأسقف العام أنبا "يوحنا" صديق شخصي فقال, سوف أقوم بالاتصال بالأنبا أثناسيوس لتمكث لديه شهرين فقط وتعود إلينا هذه تعليمات قداسة الباب شنودة.

أمضيت في الخدمة خمسة شهور, كان من يسمعني يتعزي, ولكني كنت في جفاف روحي, وكنت أقول لله يارب من سمعني تعزي وأنا لم أتعزي. بالرغم من وجودي في المجتمع وحولي أناس كثيرين, كهنة وخدام وشباب إلا أن حالتي لم تتحسن, كان الاكتئاب يقهرني ليل مع نهار. فطلبت من الله قائلا: "يارب أنا تعبان أرجو أن تنهي خدمتي في بني سويف" وسمع الله وثاني يوم مباشرة أرسلني الأنبا أثناسيوس لقداسة البابا مع خطاب امتدحني فيه كثيراً.

قصصت قصة الراهبة"هاء" عل مطران بني سويف, وطلبت منه إلحاقها بدير الراهبات لديه, فقال:" قبلت عندي ستة منهن واحدة بعد الأخرى ممن لم يكن لهن مأوي, ليس عندي مانع من قبولها ولكن قبولي لها يسبب المشاكل والمتاعب بيني وبين البابا".. إذا الكنيسة لا تمد لهن يد المساعدة .. بل علي العكس تمد يد الأذى لمن يساعدهن.

كانت عودتي للمرة الثانية لدير الأنبا بيشوي, لكن هذه المرة لأعيش فيه بقية حياتي, لم يكن رئيس الدير تلقي تعليمات بشأني من قداسة البابا, هكذا قال, ولكن كان في مقدوره أن يضعني في قلاية, للأسف الشديد وضعني في المضيفة, مع الضيوف سيدات وبنات ورجال وأقارب الرهبان, وأشكال وألوان, الفوضى ذاتها. بعد ذلك سكنت في قلاية وطلبت عملاً أقوم به, فكُلفت بالإشراف علي مصنع البلاط في الدير.

علي قدر ما في دير الأنبا مقار من نظام وضبط والتزام زائد, علي قدر ما في دير الأنبا بيشوي من إهمال وتسيب وفوضي.

بينما لا تدخل الصحف والمجلات إلي رهبان الدير الأول, إذ بالتليفزيون في قلايات رهبان الدير الثاني, وقد اشتكي أسقف الدير من هذه الظاهرة. وبينما لا يُسمح بدق مسمار في القلاية في الأول إذ برهبان الثاني يبنون فيلا بأكملها مكيفة ومجهزة

بكل الكماليات, وفي الوقت الذي لا يجد فيه رهبان الأول الفول المدمس, يقوم رهبان الثاني بشـــي الدجاج علي الفحم من المزرعة, نظراً لكثرة الشـيكولاته في الدير الثاني أطلق عليه رهبان الدير الأول "دير الشيكولاتة."

رهبان الأول لا يقابلون الضـيوف ولا علاقة لهم بالضـيوف ولا يحصـلون منهم علي مليم واحد, ولا يعرفون شـكل العملة, رهبان الثاني يسـيل لعابهم لسـماعهم أن ضيوفاً حضروا للدير ويوطدون علاقاتهم بهم, ويحصلون علي مبالغ طائلة منهم.

بينما الاجتماعات والصـلوات إلزامية في الأول, فهي في الثاني حسـب هوي الراهب, شـاء أن يذهب فليذهب, شـاء أن ينفخ بطنه في القلاية فلينفخ, رهبان الأنبا مقار يقتلهم النسك والعمل المُضـني, بينما رهبان الأنبا بيشـوي يقتلهم الملل والضـجر وفراغ الوقت, ينجح راهب الأول في حمل مسـئولية عدة أعمال وأشـغال في ذات الوقت, ولا يقوم راهب الثاني بالعمل الواحد المُكلف به, يدرس رهبان الأول الألحان واللغة القبطية واليوناني والعبرية و...الخ, ويسـتميت رهبان الدير الثاني في حفظ القداس وألحانه, لكي يسـتعدوا للرسـامة, يضـع راهب الدير الأول التفوق في العمل والحياة الروحية نصب عينيه, ويضع راهب الدير الثاني الترقية نصب عينيه. يزداد رهبان الأول اتضاعا, والثاني عظمة وارتفاعاً.

ينتعل راهب الدير الأول شـبشـب مقطوع ويحافظ عليه حتى يتم أربعة شـهور, ليستطيع أن يحصل علي آخر, ويركب راهب الدير الثاني سيارة فارهة, لا يوجد في الدير الثاني رهبنة علي الإطلاق.

ينشـغل رهبان الأنبا بيشـوي بأخبار من رُسـمَ ومن لم يُرسـم بعد ومن عليه الدور, فيتلهون بأخبار الكهنوت والأسـاقفة, ومن خدم بالخارج ومن عاد, ومن سـوف تظهر صـورته في مجلة الكرازة, تلك المجلة الركيكة الضـعيفة التي لا تقدم شـيء سـوي أخبار البابا والأساقفة وسفرهم وعودتهم, وأخبار كنائس المهجر.

وآخرين شقوا طريق الدسائس ليصلوا بسرعة إلي رضا المطران والبابا, ومنهم من أجهد نفسه في تأليف كلام فارغ علي اعتبار أنها كتب روحية, وبالغ فيما كتب ولا يقوم بتطبيق حرف واحد مما يكتب. هؤلاء جميعاً عشـت بينهم وما كتبته ما هو إلا صورة صادقة لأحوالهم مهما أعترض مُعترض, ومهما حاول تجميل صورتهم أحد.

في دير الأنبا مقار كانت السـلطة التشـريعية والتنفيذية في يد الأب الروحي, فهو المُشَّـرِّع والمُنَّفِذ وهو المتابع حتى نهاية الفكرة أو المشـروع. في دير الأنبا بيشـوي كانت السلطة التشريعية في يد البابا شنودة, والمنفذ لأفكاره ومشاريعه المطران, وقد جرد البابا المطران من أي سلطة للتشريع, وحتى مجرد التفكير, فلا يستطيع أن يرفع يد أو رجل بدون إذن البابا. فقد كانت شـخصـية البابا قوية جداً بالإضـافة إلي حدة ذكاءه؛ لذا كان ضـمان وحدة الرهبان في الدير الأول خضـوعهم للإدارة المركزية, وسبب اختلاف رهبان الدير الثاني عدم توفر المرجع الواحد والمُشَّرع الواحد, فالبابا في سفر أو متواجد في القاهرة بصفة شبه دائمة, ونادراً ما يذهب للدير, والمطران لا يستطيع اتخاذ قرار أو تعديل مسار, فهو الحاضر الغائب له شكل رئيس الدير والواقع أنه لا يملك من أمر نفسـه شـيئاً. فهذا المناخ أتاح لكل راهب أن يفعل ما يشـاء, فلا رقيب ولا مُتابع ولا مُرشد روحي ولا أب روحي.

ونحن بصـــدد رئيس الدير حدث أن الأنبا ميخائيل رئيس دير الأنبا مقار قد حاول مرة وهو في زيارة للدير أن يتدخل في شـــئون الدير الداخلية, فما كان من الأب متي المســكين إلا أنه ترك له الدير ومن فيه وأعتكف في مغارة, تاركا له رســالة "الديك الدير أفعل ما شئت فيه" فوضع متى المسكين الأنبا ميخائيل في موقف صعب حرج, فلا يستطيع ترك إيبارشية (كنائس وشعب) أسيوط, ولا يستطيع تسيير رهبان أنبا مقار فكل واحد منهم يُمثل دولة مستقلة. لذا ترك الدير وترك رسالة للمسكين "عد إلي ديرك أني راحلٌ"

كان للرهبان في الدير الأول برغم كل ما فيه من مســاوئ, شــكل وطابع ولغة واحدة, كادوا أن يكونوا متحدين فكرياً, أما رهبان الدير الثاني فهم مجموعة مختلفة في أذواقها وأهدافها وأمزجتها, ولولا التعنت في الدير الأول لصـار أفضـل الأديرة, ومن أعتاد الحياة في الدير الأول لا يستطيع العيش في أي دير آخر بل وتستحيل عليه الحياة في أي مكان آخر, أما الدير الثاني فنادرا ما تصــادف راهب يحب الحياة الروحية, فالدير الثاني يشـبه سـوق الأربعاء والسـبت في بلدتنا, ورهبانه ما هم إلا مجموعة تجار يشترون ويبيعون.

بالرغم من كل هذا, ليس معني وجود دير جيد أو راهب تقي أن الرهبنة من الله, أو منصــوص عليها في الكتاب المقدس, إطلاقا فجميع الآيات والمواقف التي يســتخدمها البعض ليدلل علي أن الرهبنة موجودة بالكتاب المقدس, جميعها بدون استثناء واحد, تم ليّها والانحراف بها بعيداً عن معانيها وسياقها لتخدم أغراضا غير مســتقيمة, أما جذور الرهبنة الحقيقية فهي الوثنية الموجودة بالعبادات الشــرقية وليس غير ذلك.

16
اعترافات راهب مصري

الاكتئاب قاتل الرهبان

أري أن عذاب جهنم سيكون ابتلاء الله الأشرار بالاكتئاب النفسي. لو أنني أملك فصاحة لغات العالم, وبراعة أفضل وأحسن وأدق أديب, فسوف لا أستطيع وصف الاكتئاب النفسي حق وصفه, ولا تصوير ما يعانيه مريض الاكتئاب!!

بينما تنزلق أخبار الحوادث والأمراض من علي إذن أحد الأشخاص, وكأن شيء لم يكن إذ بشخص آخر يتأثر بها فتدخل إلي أعماقه ووجدانه, وكلما كان الإنسان قريباً من الحدث أو مر به كلما قوي شعوره به, غير أن هناك أشخاصاً لهم الحساسية الشديدة فيعيشون أعماق الكاتب ويحسون إحساسه ويتعايشون مع تجربته.

أنه عذاب في النهار كما قال أيوب النبي "إن قلت فراشي يُعزيني مضجعي ينزع كربتي. تروّعني (يا الله) بالأحلام والكوابيس وترهبني برؤى" (اي7: 13و14). وعذاب في الليل كما قال هو أيضاً "إذا رقدت أقول متي أقوم (متي يأتي الصباح) ولكن الليل طويل وأشبع قلقاً إلي الصباح, هكذا كُتبت عليَّ أشهر سوء وليالي شقاء قدرت لي " (أي 7:4و3) في النهار من شدة الضيق ينتظر المريض الليل معتقداً أنه سوف ينام ويرتاح, والويل له إن حل ظلام الليل فلا نوم ولا راحة.

هذا المرض اللعين لا يُصيب إلا مرهفي الحس والذين لديهم المثالية العالية, وأصحاب المشاعر الفياضة, الذين لا يعيشون لأنفسهم, لم تكن هذه المثالية لديّ شديدة قبل وصولي للصف الثالث بالكلية, ولكن في ذاك العام جذبني الله فتقابلت معه فملئ قلبي وسلمته حياتي, فأخذت قلباً جديدا قلباً يحب الكل ويحس بالكل, ويعطف علي الكل, ووهبت سلوكا أمينا وضميراً حي, وغبطة بالعطاء تركز هدفي ونظري علي الروحيات.. وكان التغيير واضحاً جلياً و هائلاً, فلا خطايا ولا هفوات وإن حدث فالتوبة والبكاء والدموع, وقمت بقطع العلاقة التي تربطني بالفتاة التي اخترتها لتكون رفيقتي في مسيرة الحياة, وكانت زميلة لي بالكلية ومن نفس بلدتي ولها علاقة حميمة بأسرتي, ومتدينة وخادمة, كان القطع مؤلم والنزيف حاد فلكم تلويت وقتها من الألم, ولكم بكت دموعاً غزيرة تلك المسكينة, ولبست الملابس السوداء, وبقطعي علاقتي

بها قطعت ما يربطني بالحياة والأمل والمستقبل في هذه الحياة وأحسست بالرباط بيني وبين الحياة الأبدية. ولكن الله عوضـــني كثيراً وملئني كثيراً, ووضـــعت في طريقي للحياة الأبدية كل كياني وكل ما لأملك كل شوقي وكل آمالي.

أتراني كنتُ واهماً فليســت هناك حياة آخرة بدون حياة دنيا؟ أكنت مخطئاً حين جردت نفســي تماما من هذه الحياة, وفرغتها للروحيات فقط؟ لســت أدري!! هل ظلمت نفسي أم فعلت الصواب؟ وما قمت به هل كان ما يريده الله؟ لست أدري!!

لكن الرهبان يدرون, فالذي قضي أكثر من عشرة سنوات في الدير يعرف الإجابة جيداً, إن معظمهم يطمح في العودة إلي العالم ليعيش ما بقي من حياته في الدنيا قبل فوات الأوان, ومعظمهم في أعماق أعماقه قد اقتنع أن الرهبنة تجربة فاشـــلة مائة بالمائة, فقد اصـــطدم بحقيقتها وبحقيقة حياة الرهبان, ولو عاش كل منهم في العالم وسارت حياته طبيعية لما فقد نفسه وفقد الآخرين وفقد أهله وفقد الزواج وفقد الأولاد, وفقد كل شـيء, ولكان تتمَ كلام المسيح أكرزوا بشروا عمدوا تلمذوا, سواء تزوج أو لا, كان سيتمم عمل الإرسالية, ولظل الرباط الذي يربطه بالحياة الأبدية متيناً قوياً.

فها هو جرس الكنيسة بالدير يدق يدعو جميع الرهبان للصلاة ولكنك لا تجد سوي نفر قليل مداومين عليها فالرغبة في الصــلاة ماتت, فأبونا (فلان) يُفضـل المكوث في القلاية علي الذهاب للصــلاة, وقد حاول الدير إنعاش الصــلاة فنادي باجتماع للصــلاة أســبوعي, وبدأ الاجتماع بحماس وما لبث أن فترت الهمة وضــعفت الرغبة وتناقص العدد إلي أن أغُلق الاجتماع, وفشـــل الدير في ذلك وكان فشـــله ذريعاً إلي درجة أنه أُحبط فلم يحاول مرة أخري. فقد كره الرهبان اجتماع الصلاة. أما أبونا (علّان) فترك عنه الصـــلاة ليقوم بدورانه حول حوض الزرع, وما أن ينتهي من دورة حتى يبدأ بأخرى يفعل ذلك كل يوم ليريح نفســه ويبدد ما بها من ضــيق, وعبثاً يفعل فلا راحة لنفسه ولا ضيق يتبدد.

أما أبونا (ترتان) فيهرب من الصلاة باندماجه في العمل, وما سر إفنائه نفسه في العمل سوي الهروب من مواجهة نفسه, والهروب من الحياة الرهبانية التي صارت له جلباباً علي جســـده من الخارج فقط, فقد خلعها من قلبه ومن ســـلوكه. فقد تورط ولا يسـتطيع الرجوع عنها, فالتجربة خاسـرة, والعمل مُنقذ ومَخرج من التفكير في سـوء حاله وخيبة آماله, كما أن العمل يحقق بعض النجاح الذي تحتاجه النفس لتحس أنها مازالت علي قيد الحياة ولا زالت مرغوب فيها.

الراهب (ســنكرلان) فلم يذهب للكنيســـة فقد تمكن بعد جهد وتخطيط وذهاب عدة مرات للمطبخ بحجة مساعدة آباء رهبان المطبخ , تمكن من سرقة حلة وبعض المواد الغذائية, وأغلق علي نفســـه ليقوم بطهي طبخة شـــهية, ربما تكون المســـقعة, أما البطاطس المحمرة والطعمية فكانت شـــهوة الرهبان, ولم يكن الأب الروحي يحســـب حساب تجريحه للرهبان, ولم يكن مراعياً للشعور مطلقاً, فقد أعلن عن سرقة طنجرة من المطبخ وجاري البحث عنها, وقد تجمعنا حوله ذات مرة فقام بتأنيب وتعنيف أبونا (سـنكرلان) علي سـرقته الحلة أمام جميعنا. وضـع الراهب وجهه في الأرض وذاب قلبي خجلاً وحرجاً وتمنيت أن تبتلعني الأرض ولا أري أبونا (ســـنكرلان) في هذا الموقف, فقد كان محترماً قبل الرهبنة ويعمل في وظيفة جيدة, ومن بيت له عراقته,

ووالده معروف في كنائس مصر كلها, قد كان الحرمان الشديد وراء ارتكاب حماقات وتفاهات. أما أبونا (خملان) فقد وجد في الرهبنة فرصـــة لينام بقية أيام حياته فهو لا يستيقظ إلا لينام.

إن أكبر خسارة وقعت لمن اختار الدير طريقاً وبعد سنين سواء ترك الدير أو ظل به هي فقدانه للرابطة الحميمة الحلوة اللذيذة التي تربطه بالله والصـــلاة والعبادة والســـهر والمناجاة والصـــوم والتعفف. هذه حقيقة مرة يرفضـــها الســـطحيون, والطوطميون. ولكن يقرها حقيقة دامغة أولئك الذين تركوا الدير, والمســـنين من الرهبان الجالسين بكليتهم خارج الدير, فقط ظهورهم مستندة إلي أسواره, أما قلوبهم وأفكارهم فقد عادت إلي العالم, عادت بعد معاناة عادت بيأس وقنوط, ولن ترجع إلي أجسادهم, وستظل هذه الفُرقة حتى يموت الجسد ويدفن في التراب, فتحلق أرواحهم فوق بيوتهم وأصحابهم وأرضهم ومعارفهم, وأماكن سمرهم وتنزههم قبل الرهبنة.

أعود للاكتئاب النفســـي.. حين كانت تدب الخلافات بين الرهبان, كنت أُحدد في نفســـي من المخطئ ولماذا أخطأ ومن البريء, من الظالم ومن المظلوم, وكنت أرتاح للنتيجة التي ســـتنجلي وتكون هي الحقيقة, كان هذا حتى ولو بلغتني قصـــة الخلاف مُلفقة. لكن في السنة الأخيرة لي في أبو مقار كنت أسمع القصة من الظالم الذي يبرئ نفســـه فأصـــدق أنه بريء مائة بالمائة, ثم أســـمع من المظلوم فأقتنع أنه مظلوم مائة بالمائة. إذا قابلني راهب بترحاب وبشاشة أجد شعوراً بالحب الشديد يتدفق من قلبي تجاه هذا الراهب, وأذكر له حسن معاملته وطيبة نفسه, وبعد دقائق إذا صدر من نفس الراهب أمر ســـيء أجد الكره الشـــديد له والحقد وحب الانتقام يتدفق من قلبي تجاهه, وأتذكر كل أعماله وكلماته السيئة التي صـدرت منه لي منذ دخولي الدير, وهنا وهنا فقط علمت أني دخلت في خلل نفســي, فليسـت هذه نفســي وليس هذا عقلي الذي يحكم حكماً موضوعياً علي الأمور, ولستُ أنا بالذي يغير أفكاره وأحاسيسه بهذه السرعة, من هذا الشـــخص الغريب الذي أعيشـــه أنه ليس "فائق زكه بولس" ولا "الراهب جاوري ألمقاري" من أنا؟!! يا للخوف والهلع من أنا؟!! ماذا دهاني؟!! لحظتها ارتعبت لأن ما يرعب الرهبان الأصـحاء خوفهم من أن يصـيروا مرضـــي نفسـيين كأخوتهم المرضـــي النفسـيين, فهم يعلمون كم يعاني إخوتهم من المرض ومن العلاج, بل أن جميعنا يعلم عدم جدوى العلاج, فلم يحدث أن راهباً واحداً شــفي وعاد ســليماً, وحتى بفرض أن هذا يمكن أن يحدث - جدلاً- فنحس إحساسا قوياً أنه عرضـه لعودة المرض مرة أخري وأنه مهدد بأن يصـــرعه المرض وســـيكون أســـوأ مما كان. والحالات أمامنا كثيرة.

أما جرس الإنذار بالخطر فكان عدم النوم, أن النوم نعمة كبيرة من عند الله, وعلي من ينام نوم طبيعي أن يشكر الله كل صـباح وينحني مقبلاً الأرض ممجداً الله مسبحاً إياه, مرنماً ترنيمة أمتنان وعرفان بالجميل, أنني أكتب هذا وأنفاســـي تتقطع لتذكري عذابي في عدم النوم, نعم كانت سنوات شقاء تحمل ليالي ظلمتها تمسك باليد مسكاً.. كانت يداي وبدني كله يرتعش بصـــفة دائمة لقلة النوم, كان الضـــيق ثقيلاً ثقلاً مريعاً

جاثماً في صدري لا يفارقني أبداً, مستبداً بي ضاغطاً علي أنفاسي, وتخترق مخالبه عنقي, أما الصداع المريع فكان يحطم رأسي ويطيح بكل أمل لي في الراحة, أما اليأس فهو الفخ القاتل الذي حصرني, فلا رؤية ولا رجاء ولا بصيص من أمل يأتِ ولو بعد ألف عام, كان أشد عذابي أني لا أري نهاية لهذا الضيق. كل هذا جعل حجراً ثقيلاً في بطني, ألآم شديدة ومغص قاتل يشل حركتي ويجعلني أستلقي علي ظهري بالأربعة أيام لا أستطيع الحراك, والويل لي إن أردت تغيير وضع نومي فتأتِ علي آلام فوق طاقة البشر, وويل الويل إن كنتُ مصاباً بالسعال في تلك الأيام, فهو يمزق أمعائي ليخرج منها, قبل أن يخرج من حنجرتي, وقد أصبت بالحساسية في كل جسدي, وأصيبت عيناي بالحساسية أيضاً فكانت النار تأكلهما.

كانت القراءة في البداية تخفف عني, وخاصة القصص فأعيش أحداثها وأري أشخاصها وأنفعل بأحداثها, وبمجرد أن أغلق الكتاب إذ بالضيق ينقض علي صدري, فأعود لآلامي وقلايتي, وبعد فترة بدأ عقلي يفقد القدرة علي تجميع الأحداث ومتابعتها, وساءت الحالة أكثر فكنت أعود لبداية القصي لأتذكر الشخصية صاحبة القول, وضَعُف الاستيعاب جداً فقد وصل بي الأمر أنه عند وصولي لنهاية الجملة أكون قد نسيت أولها, ففقدت القدرة علي القراءة. علي الرغم من أن ذاكرتي كانت قوية جداً ولا أنسي المعلومات بسهولة, وكان تقدمي في الدير في اللغة الإنجليزية والفرنسية ودرجاتي في اليوناني التي لم تقل عن 97% تشهد بذلك. كما أني درست اللغة القبطية وقواعدها في الدير أيضا كما حفظت جميع ألحان الكنيسة.

رغبتي في العمل انقطعت تماما بعد أن كنت أعمل ثماني عشر ساعة يومياً وأحقق نجاحات كثيرة في مجالات عديدة, لم تعد نفسي تعبأ بالنجاح والتقدم فقد طعمه, صار النجاح كالفشل لا فرق, فلا تشجيع بالأول ولا إحباط من الثاني فالإحباط ملازم.

كان ليلي حالك السواد أنه جحيمي كل مساء, كم كنت أتمني حلوله وكم كنت أخاف حلوله, كان حارس الجحيم المفزع يمسك بلطة حادة, ويقف علي حافة فرشتي منتظراً, وأتقلب علي فراشي حتى بداية الفجر ويخطفني النعاس لحظة وإذ به يهوي بالبلطة فيشج أم رأسي, فأقوم صارخاً متلوياً من الألم, ولم يكن من مهرب منه, فإذا تخطيته تتلقفني وحوش ومخلوقات رعب مخيفة أشكالها قاتلة, لم أري لها مثيلاً في أفلام الرعب, كوابيس وفزع ويقظة, كوابيس وفزع ويقظة حتى تكتمل ساعة أو ساعتين, لتبدأ رحلة عذاب النهار, الألم والضيق والصداع والارتعاش, فالألم والضيق والصداع والارتعاش.

لا أحس بالجوع لا نهاراً ولا ليلاً فقدت شهيتي تماماً, يحل المساء فيسألني سائل إلي أين أنت ذاهب؟

- إلي المائدة
- لماذا؟
- لأجلب الطعام
- لكنك لست بجائع
- كل مساء أقوم بإحضار طعام
- هذا لأنك كنت تحس بالجوع

- هي عادة
- لم تتسيد عليك عادة قط

أجلس لتناول الطعام, ما هذا طعم الأكل مر المرارة, أيكون فيه أفسنتيناُ

- ألم أقل لك لا تأكل
- مرارة نفسي طغت علي حلقي ولساني

أتناول لقمة وأقربها من فمي ولكن لا أستطيع دفعها فيه فقد شب الصراع ويسألني ذاك الذي لا أعرفه لماذا تأكل؟

- لكي أعيش
- أتستطيع أن تكمل هذه الحياة؟
- لا
- إذا لماذا تأكل؟
- لكي أعيش

فيزداد صياحه وصراخه

- هذه ليست حياة أنها الموت ذاته أنها اليأس أنها جهنم وبأس المصير,

كلت ذراعي وتعبتْ وهي مُعلقة من طول انتظار نتيجة الصراع فتسقط مني علي الطاولة, هذا هو اليأس.

من الذي كان يسألني أنه شخص آخر ليس خارجي أنه بداخلي, هل أنا اثنان؟ ومن أكون أنا فيهم؟ هل أنا جننت؟ هل فقدت عقلي؟ أنا لا أدري بنفسي من أكون؟ أنا ظل لحياة ماتت, أنا رجل أفرغوه من محتواه, أنا نفس بلا رئة أنا نبض من غير قلب, أنا غبار, أنا خيال يتمشي.

وصـــل عطشـــي للموســيقي إلي مداه, كان بلا حد, حتى أن طنين أغطية الحلل بالمطبخ يجعلني أحس براحة كبيرة, ولكن من أين لي بشرائط موسيقي؟ أو صـوت الكمان أو الناي أو الآنون, نعم كنت في أشد الحاجة لسماع الموسيقي.

ربما يفقد إنســان ثقته في أبيه فتعوضـــه عن ذلك أمه أو العكس, وربما يفقد الثقة في أهله فيعوضـه عن ذلك أصحابه, وإن فقد أصحابه فهو لا يفقد ثقته في مدرســته ولا معلميه, ولا كنيســته. بدأ فقدان الثقة في الآخرين وأولهم وأهمهم الأب الروحي وأنتقل ذلك إلي بقية الرهبان, وكان هذا الشـــيء مريع ثقيل, والأخطر منه فقدان الثقة بالنفس, في قدراتي في تفكيري في إرادتي في قدرتي علي اتخاذ القرار, وفوق كل خطورة فقدان ثقتي في الله نفســـه, كان الله لي كل شـــيء في حياتي كان أبي وكان أمي كان أخي وكان أختي كان صـــحبي وخلي وحبيبي, والآن صيرني عدو له نصبني هدفاً له يلقيني بسهامه كل حين لم يعد يسمعني بل يصد صلاتي, كان إحساسي بحضوره شديداً فقد كان يُبكتني ينتهرني يشجعني وتحيطني ذراعاه, قد تخلي عني تركني صرت وحدي صرت بمفردي.

اقتنعـت أن الله ترك الأرض ومن عليهـا يتخبطون,يختلفون, يتقـاتلون, ترك القوي كالأب الروحي يأكل الراهب الضـــعيف, والظالم يتجبر علي المظلوم, كم قمت بعتاب مع الله- إن جاز التعبير- وكم تشـــاجرت معه الذي لم يحدث ولم أكن

أتوقع أن يحدث, فكم أظهرت له بري وأنني بذلت نفسي وروحي وجسدي وكل ما املك في خدمته وخدمة أولاده. وها هو يكافئني علي بري ونقاوة يدي وخدماتي ونصاعة ضميري بكل هذه الآلام والقسوة والمعاناة.

كانت نفسي محتدة علي الله, وكنت أخشي أن أظهر له تذمري وتبرمي, ولكن تحت ضغط أعصابي المتهالكة كنت أكلم الله بحدة وهذا لا يجوز مطلقا ولكن من رحمته علينا يعاملنا كبنين له. ماذا فعلت من أثم حتى ألقي هذا المصير؟ أهذا رداً علي حبي لك وتركي العالم كله لأجلك والذهاب خلفك لأرض قاحلة مالحة, أناس لهم قلب المفترسين يأكلون أرضهم وأرضهم تأكلهم؟ أحسست أن الله أغلق مراحمه تجاهي ولم يعد يهتم بي فقدت الإيمان. إذاً ماذا بقي لي؟

فقدتُ الثقة في الناس وفي نفسي وفي الله, ما أتعسني أني أشقي مخلوق عل يوجه الأرض كلها.

الخوف والهلع لازماني, كنت أخاف من السكون وأخاف من الضجيج, أخاف من الأصوات المرتفعة ومن الأصوات الهامسة, من الصيف ومن الشتاء, غير أن الصيف لعين بسبب الحر والبعوض ألد أعداء النوم عندي, ومن شدة لظى نفسي كنت أحس بحرارة شديدة في جسدي حتى في عز الصقيع, وكنت أرفع عني الغطاء بسبب ذلك, وكم كنت أحس بالشيء ونقيضه في نفس الوقت, فأحس بالبرد فأثقل الغطاء وما هي إلا لحظات فأحس بالحر فارفع عني الغطاء, كنت مسجوناً في الضيق دائماً أريد أن أخرج منه ولا سبيل لذلك ومن هنا بدأت فكرة الانتحار, كانت فكرة ضعيفة ثم قويت, وصارت صوتاً لشبح يطاردني يعذبني"تخلص من الحياة لتتخلص من هذا الضيق" "لن ترتاح إلا إذا قتلت نفسك.. أقتلها وأسترح.." كان لدينا تعليماً أن المنتحر لا يدخل ملكوت السموات, ولكن إلي متي؟ أليس من نهاية؟

ذهبت بحالتي هذه إلي جميع أباء الاعتراف بالدير, واحداً فواحدٍ, ولم يكن فيهم من يعالج أو يشفي وصعُب عليهم الأمر, فاتجهت لكبير الأطباء بالدير أبونا "لوقا" وما دمت سأعطي حساباً عن كل كلمة أكتبها فسأعطي هذا الرجل حقه ولو أني امتدحته فلن أوفيه حقه فقد كان مثالاً للالتزام مثالا للأخلاق مثالاً للحب والخدمة والأمانة والإخلاص والرجولة والحكمة, كان ودوداً حساساً طيب القلب, لم يحدثُ أن أساء قولاً ولا فعلاً. علي الرغم من الظلمة الحالكة إلا أن هناك بعض الرهبان كانوا رجال الله بصدق, لا أبالغ إن قلت قديسين رسل أنبياء. كان أبونا "لوقا الطبيب" واحداً منهم.

استمع لي الأب "لوقا" وقال لابد من علاج نفسي, وعرف خوفي وقرأ فكري فعقب وقال لا ترفض ولا تقرر الآن أذهب وأدرس الأمر وقرر ثم عاودني.

ذهبت لصراع مرير, إن أخذت علاجاً نفسياً فسوف أدخل في الإدمان, وكيف أتخلص منه متي أردت ذلك؟ وكما ذكرت أن كل الذين تلقوا علاجاً نفسياً لم يُشفي منهم أحد, بالإضافة إلي عدم قدرتهم علي الامتناع عن الأدوية, وقد حدث أن احدهم ترك العلاج مرتين وفي كل مرة تزداد حالته حدة وسوء, وأعادوه إلي الأدوية بنوعيات وكميات أكبر, وقد ترك الدير ووجد في الصحراء ولولا رحمة

الله لمات من العطش والجوع, كما يصـــعب علي متناول الأدوية ترك الدير, فمن ناحية هو محتاج الأدوية ومن ناحية أخري كيف يواجه العالم وهو مريض نفســياً ومن سيشتري له تلك الأدوية الغالية, وقد صرح لي أحدهم أن معدته لم تعد قادرة علي الهضم بسبب كم المُهدئات التي يتناولها, أضف إلي كل ما سبق نظرة باقي الرهبان التي تتحول من الاحترام للشـخص لتقواه أو إيمانه أو ذكاؤه أو إخلاصـه في العمل, تتحول إلي نظرة لشـخص مريض ربما نظرة عطف وهي مرفوضـة وربما نظرة تهكم.

وإن رفضــتُ العلاج فســأظل في هذا الضـيق الذي لا يُطاق, ولا يمكن أن أعيش بدون طعام أو نوم, ولكن هناك حل مرعب وكان وروده علي فكري ضـعيفاً أن أترك الرهبنة وحياة الدير, ولكن هب أن حالتي تحســـنت بعد تركي الدير فســـوف يلومني ضـــميري علي قرار ترك الدير كما لا يمكن العودة إليه فالدير لا يقبل من خرج منه, إذا فلأقطع علي الضـــمير ملامته وأقبل بتناول الأدوية, فالأدوية هي الورقة الأخيرة في يد الدير للاحتفاظ بي, فسوف أسمح له بإلقاء أخر ما لديه علي ساحة دَجَلَه الكبيرة, وأريح ضميري فيما بعد وأريح نفسي فيما بعد.

أبلغت أبونا "لوقا" برغبتي في العلاج, وبعد أســبوع حضـــر الدكتور رجائي من مستشـفي بهمن بحلوان, قصـير القامة محدد النظرات يعرف ما سـوف تقوله قبل أن تقوله, يسمعك حتى لو طال حديثك للصباح ولن يقاطعك, يحترمك كراهب لا يعاملك كمريض مريح نفسـياً صـبور ودود. سـمعني فقال اكتئاب, فطلبت علاجاً لا يسـبب إدمان, قال هذا لا يتوفر سـوي في نوع واحد ولكنه ضـعيف ولكن لا بأس فلنجرب, فـأخـذت "الموتيفـال" ولكن دون جـدوى, فتنـاولـت "اللودوميـل" ثم "الأنـافرنـل" ثم ازدادت إلي خمسـة أنواع وقد كانت حالتي تزداد سـوءاً. كانت- كما كنت أظن- تسـعة شـهور لو أن العلاج فعال كافية لإحراز تقدم في الحالة ولكن كان يحدث العكس. بات قرار ترك الدير وشيكاً.

لكن هل الكبت والضــيق والمرض النفســي أســباب كافية لترك الدير أليس هناك سبب داخلي؟ بلي

حين كنت أصلي قبل المرض النفسي كنت أحس براحة كبيرة وسلام يملأ قلبي, فقد كان الله يزيل مخاوفي ويرفع عني ضيقي ويفرحني في حزني, كان الإنجيل يثلج صـــدري, كانت آياته نور لطريقي, وتبدل الحال كما ذكرت فلم يعد يســـمعني ولا يستجيب لي, خرجت إلي الجبل لأصلي وصرخت بدموع, وبكيت بكاء شديد, وقلت لله إن عدم عزائي وعدم وصول قوتك لي في هذه الظروف معناه مؤشر لترك الدير, وربما ترك الرهبنة كلها فقد مضت شـهور طويلة وأنا في عذاب نفسـي, وانتظرت هذه المعونة فلم تأتِ فعلمت أن الله يريدني أن أترك الدير.

17
اعترافات راهب مصري

أخطاء الأب الروحي

1

في هذا الفصل لن أتعرض للخطايا الشخصية للأب الروحي, بل ما يتعلق بتصرفاته مع الرهبان وتدبير الدير, والنظام بصفة عامة.

كانت الأمور هادئة نسبياً في الدير في تلك الأيام, فوجئ الرهبان بعمل اجتماع عاجل بالكنيسة, وقف أبونا رئيس الدياكونية خلف المنجلية (المنبر) وأخرج ورقتي عريضة الاتهام وقرأها وختمها بقرار:-"**تم فرز أبونا "مكاري" من المجمع.**"

لا يجتمع الرهبان لتقرير شيء, فليس من حقهم تقرير شيء, ولكن واجبهم السمع والطاعة فقط دون نقاش, ولكن ما معني فرز الراهب:-

معناه مقاطعته أي علي جميع الرهبان عدم التعامل معه ولا حتى مجرد السلام عليه, لا أحد يعترف لديه ولا يتخذه أحد مرشداً له, ويُحرم هو من إقامة القداسات وأخذ الاعترافات والصلوات مع الجماعة, والأكل في المائدة مع إخوته الرهبان, ويصير شخصاً غير مرغوب فيه من الجميع, إلي أن يرضي عنه الأب ويقرر عودته ولا يوجد نقض أو إبرام.

أما قرار الحرمان فيعني أكثر من هذا يعني أن الراهب أو الشخص قُطع من شركة الكنيسة, وصار مغضوباً عليه, فيتم عزله من الجماعة.

وفي الفكر الأرثوذكسي من وقع تحت حرم سواء بواسطة كاهن أو أسقف أو بابا حُرم بالتبعية من دخول السماء بعد موته, أي أغلق عليه خارج الحياة الأبدية (أن مصيره الجحيم) وهذا الفكر مبني علي تفسير خاطئ للآية " كل ما تربطونه علي الأرض يكون مربوطاً في السماء, وكل ما تحلونه علي الأرض يكون محلولاً في السماء" (مت18:18), فقرينة (سياق) هذه الآية هو فض النزاعات بين الإخوة المتخاصمين الذين يلجئون إلي الكنيسة لتصير حكماً بينهما. فالتأديب أو الحكم الذي توقعه الكنيسة علي الأخ المذنب وهي تتحرك بروح الله يكون الله موافقاً عليه؛ لأن الله هو صاحب القرار.

حتى قول المسيح لبطرس "كل ما تربطه علي الأرض يكون قد ربُطً في السماء, وما تحله علي الأرض يكون قد حل في السماء" (ترجمة كتاب الحياة) (مت 19:16) فهذا ليس سلطاناً لاتخاذ القرارات وإنما لإعلان الذنب أو إعلان البراءة فالقرار قرار الله, وبطرس أو غيره يُعلن هذا القرار, وليس أن الكنيسة أو بطرس أو غيره يتخذ القرار ويكون دور الله (حاشا له) أن يوافق عليه وينصاع له.

حين قال المسيح للتلاميذ "من غفرتم خطاياهم غفرت لهم, ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت" (يو 23:20). فمعلوم أنه لا يغفر الخطايا إلا الله وحده, ومن ناحية أخري كانت الآية السابقة لهذه الآية مباشرة "نفخ فيهم وقال أقبلوا الروح القدس" (يو22:20) إذاً هم لا يغفرون ولا يمسكون بمحض إرادتهم البشرية, بل هم مسوقين بروح الله, فالقرارات قرارات الله ولا يمكن أن يكون غير هذا.

لكن قادة الكنيسة عبر الزمن الطويل كان لهم أغراض خاصة منحرفة تخدم مصالحهم الشخصية, في تضخيم دور البشر (الباباوات والأساقفة والكهنة) فأعطوهم سلطاناً ليس من اختصاصهم إطلاقا, سلطان الله علي الأرض. حتى خاف الناس ولا زالوا يرتعبون من سلطان الرهبان والكهنة والأساقفة والبابا.

إذن الحق كل الحق أن السلطان لروح الله القدوس الذي يقود الكنيسة إن كانت حقا تخضع لقيادته وما أظن ذلك.

لم يكن الكاهن مكاري ألمقاري مذنباً في شيء, كل ما هنالك هو غيرة رئيس الدياكونية والآباء الشيوخ من نجاح هذا الراهب الذي يُعتبر صغير السن بالنسبة لهم, فقد عينه الأب الروحي نظراً لتقواه وخبرته الروحية عينه أب اعتراف بجوار أباء الاعتراف الشيوخ, وإذ تكاثر عدد الراغبين فيه والمعترفين لديه من الرهبان, وحدث تقدم ظاهر في حياتهم الروحية, حرك ذلك حركات الوشايات لدي من لا يتحقق من كل ما يصله ألا وهو الأب الروحي, ولما ازدادت قام بعزله من أخذ الاعترافات.

لاحظ هذا الأب التقي انحطاط المستوي الروحي للرهبان بعد عدة سنوات, كما كان واثقاً من أن كثرة المشاريع والأعمال التي اخترعها الأب الروحي وفضلها عن العمل الروحي كانت السبب في هذا التدني لمستوي الرهبان, فقد تناقص عدد المُسبحين, والمترددين علي الكنيسة, وكثرت المشاجرات بين الرهبان, ولم يكن يحل الأب مشكلات الرهبان, وميز رؤساء القطاعات عن باقي الرهبان وخصهم بوقت يجلس فيه معهم.

كان الأب مكاري المقاري علامة من علامات لا الدير فقط بل والرهبنة كلها, كان الأب متى المسكين يستعين به من حين لآخر لمراجعة بعض ما يكتب, كان يُجيد اللغة اليونانية والعبرية والإنجليزية والفرنسية, كما كان ضليعاً في قواعد اللغة العربية, فحين أرسل الأنبا "أرسانيوس" أسقف المنيا سنة 1978 و1979 في طلب راهب لمعاونته في الخدمة[24] أرسل متى المسكين أبونا "مكاري" وأبونا "سلوانس" فمتي المسكين أكد بهذا منذ سنوات بعيدة بأنه من أفضل الرهبان لديه.

---

[24]) بالطبع تحت علم البابا شنودة الثالث

من ثمَّ عزم أبونا مكاري علي مواجهة متى المسكين, علَّه يستفيق وينقذ ما يمكن إنقاذه فقابله وأبلغه بإهماله الجانب الروحي, بلسان عف لأن هذه شيمة أبونا مكاري, ولكن أشاع رئيس الدياكونية القول "أن أبونا مكاري قال للأب الروحي أنت لم تعد أب روحي أنت لا تصلح سوي أن تكون ريس عمال", مع أن العبارة صادقة في محتواها, إلا أنها مُحرَّفة إما عن طريق الأب الروحي نفسه صاحب المراوغات أو (كوكو) مخترع الأكاذيب.

قام أبونا مكاري من مكانه فور إعلان قرار فرزه, ووقف في مواجهة الرهبان ثم سجد إلي الأرض قائلا:- "أخطأت يا أبائي حالّوني وسامحوني.[25]" بهذا كسب قلوب الرهبان أكثر من ذي قبل, كان الوقت متأخراً ليلاً, صعد إلي قلايته وحزم حقيبته إذ لم يجد فائدة تُرجي. نزل من قلايته ووقف بجوار الباب الخلفي للدير وطلب سيارة تقله إلي دير الأنبا بيشوي.
حدث ما هو أسوأ من قرار الفرز إذ ظهر الشامت "يوح" وهو من جملة الشيوخ وقام بتفتيش أبونا مكاري, أمام الرهبان مما جرح شعورهم وأي جرح, ولم يجد ولو ورقة يدين بها أبونا مكاري, قال له أبونا مكاري "أن الكتب الخاصة بالمكتبة تركتها في القلاية." وهكذا رحل أبونا مكاري مصحوباً بدموع الرهبان.
عندما علمتُ تمزق قلبي فوق كل ما تمزق به فلم أكن أحبه فقط بل كان أب اعترافي أثناء دراستي بالكلية بالمنيا, وعن طريقه التقيت بالله وتغيرت حياتي.

قابلته بعد خروجي بدير الأنبا بيشوي فقال لي" يكفي أني لم أحزن أحداً (في دير أنبا مقار) ولم أسئ إلي أحد ولا جرحت قلب أحد ولو بكلمة", أقام مباني في دير الأنبا بيشوي, ثم رسمه البابا أسقفاً وأنشأ العديد من الكنائس وبعد سنوات قليلة مات في حادث سيارة.

[25]) الحل يُعطي بواسطة الكهنة والسماح يُعطي بواسطة الرهبان العاديين

2

إني أشعر بالألم كلما كتبت شيئاً من هذه الاعترافات. في هذه المرة أسجل حدثاً تمزقت له قلوب الرهبان جميعاً, فقد تسبب في خروج تسعة رهبان من الدير تاركين الرهبنة وحياة البرية, ستة منهم علي الأقل عادوا للحياة العلمانية.

كان المسئول عن المائدة في ذلك الوقت راهباً صيدلانياً, وبطبيعة دراسته وعمله السابق تميز بالنظافة والنظام, كان من صعيد مصر, بعد تخرجه عمل بإحدى الدول الأوربية لمدة عامين, فتمكن بعد عودته لمصر من فتح صيدلية خاصة به, وشراء سيارة, ثم ترك المال والصيدلية وجاء ليترهبن ويعيش بيننا, وقد أشاد به من عرفوه وقت أن كان بالصيدلية.. فهو قنوع رقيق مؤدب يحس بالآخرين بشوش دائما لطيف دائما يتميز بخفة الظل وحلاوة الروح, كان في الدير محباً لنا جميعاً, يفني نفسه في العمل في تنظيف المائدة وغسل الأطباق والأدوات, وتقديم المأكولات في أحسن صورة لإخوته الرهبان.

ثلاثتنا كنا نجتمع من حين لحين, الصيدلي يطلب ما يقدمه لإطعام الرهبان, والعبد لله المسئول عن مخزن الأطعمة الذي سيقوم بصرف هذه المواد بالإضافة إلي أعمالي الكثيرة, كما يصرف التموين الشهري من شاي وسكر أما الثالث فهو المتحكم وصاحب الأمر والنهي فهو رئيس الدياكونية المسئول الأول عن المخازن, كان من الصف الثاني بعد الأب الروحي الذين يحملون مسئولية الدير, دخل الدير قبل أن نولد وتحنك بكل حنكة الرهبنة والرهبان, ذا وجه أبيض باحمرار, وذقن ناصعة البياض يهتم بها ويهتم بمظهره, تبدو عليه إمارات الورع والتقوى, إذا حدثك عن الرهبنة

وعظمتها تذوب حبا لها, يتحدث دائما عن الإتضـــاع وموت الذات والبر والقداســـة والكمال, أمور لا علاقة له بها, فعندما تحتك به, تجد الزيف والرياء والخبث والحقد والدهاء والمداهنة وكل أمر رديء, يُخدع من ينظر إلي منظره فقد كتب في العهد القديم " فقال الرب لصـموئيل لا تنظر إلى منظره و طول قامته لأني قد رفضـته لأنه ليس كما ينظر الإنسان لان الإنســان ينظر إلى العينين و إما الرب فانه ينظر إلى القلب." (1صم 16 : 7)

شــبت نيران الخلافات بين الاثنين في حضــوري فالصــيدلي يريد أكرام الرهبان وهو من أصـــل كريم, أما رئيس الدياكونية فليس بخيلاً مقتراً فقط بل أشـــد بما لا يُستطاع وصفه, وكم شكا من بخله الأب الروحي في شرائط الكاسيت المُسجلة له, فكان يقول "لا أري الفاكهة إلا بعد أن تفســد", ومن هنا جاء الصـــدام العنيف, كان الراهب الكبير عنيف وقاسـي يصيح ويُزبد ويُعربد والمسكين الصيدلي يُصَّبر نفسـه, ويتحمل, ويتم عليه الضغط أكثر فأكثر.

هجع الليل وســكن الدير, لا حركة ولا همســـة, للدرجة التي تحس معها أن قلالي الرهبان ما هي إلا مقابر تضـم أموات بين جدرانها. شـق الصـمت الرهيب صـوت جرس الكنيسة يدعو الرهبان لتسبحة نصف الليل.

الوقت بعد منتصـف الليل, داخل أسـوار الدير وخارجه ظلام يُشـق بالسكين شـقاً, ينســل راهب وراء آخر يدلفون داخل الكنيســة, الرهبان في صــمت مطبق, وضـــوء خافت صادر من لمبتي الجاز, وقليل من الشموع تتمايل ألسنة اللهب الضعيف المتقد برؤوسها, كل هذا يبعث في النفس مهابة عظيمة ثم تبدأ التسبحة:-

"سبحوا الله علي مقدرته

سبحوه ككثرة عظمته

سبحوه يا جميع ملائكته..."

ازدادت المهابة مهابة ورهبة, فجأة صـوت صـرخ كالرعد يأمر الرهبان بغضـب وحدة شــديدة "كفوا كفوا" فتوقف الدم في عروقنا قبل أن تتوقف تسـبيحاتنا, وارتعدنا ارتعادا عظيماً إذ لم يحدث مثل هذا الأمر قط, ولا يمكن أن يحدث, إنســـانا يقطع التسبيح لله بانتهار شديد وغضب, وصوت يهز أسوار الدير. يُغلق أفواه المسبحين لله ليتكلم هو إليهم. توقف الجميع في حزن وألم وغيظ. تري ما هو الشـــيء المهم الذي يريد أن يقوله؟ ما هو الشـــيء الأهم من التسـبيح وتقديم الشـكر لله؟ أخاف أن أقول الأهم من الله.

صار يصيح في الصيدلي "أنت صوتك عالٍ, أنت تصنع نشاز للحن, أنت تنحرف بالتسبحة والمسبحين, التسبيح يجب أن يكون بخوف الله يجب أن يكون بخشوع, أنت تفسد التسبيح..." ثم بدأ مرة أخري بقيادة التسبيح, وأضطر الرهبان أن يكملوا التسبيح ولكن بنفوس مكسورة ووجدان مبتور.

فرائصـي ترتعد, أسندت ظهري إلي الحائط الخلفي للكنيسـة, ما هذه المهزلة؟ هل هذه عبادة؟ ماذا يمثل الله لهؤلاء القادة؟ هل يمثل ممر يمشـــون عليه (حاشـــا لله

المهوب) ليصــلوا إلي أهدافهم في تمجيد الرهبنة, هل يمثل شـــيء يطلبونه إذا رغبوا فيه, ويضعونه جانباً في حالة عدم رغبتهم به؟!! لم أري حماقة مثل هذه في حياتي!!

أما الصــيدلي المســكين فلم ينبث ببنت شـفة, وســالت دموعه علي خديه, ولم يكن صــوته عالياً لدرجة أن يصــنع نشــاز أو ينحرف بالرهبان بعيدا عن اسـتقامة اللحن, ولكن كان الدافع وراء تصرف الراهب "أر" شيء آخر لا علاقة له بالتسبحة إطلاقاً. كل ما هنالك أنه نما إلي علم الدير أن الصــيدلي أرسـل خطاباً خفية إلي العدو اللدود "البابا شــنودة (رحمه الله)", يعتبر الدير هذا التصــرف خيانة عظمي, فربما باح بأسرار الدير.

لا نعرف فحوي الرســالة ربما شـكي كثرة العمل, وربما عبر عن رغبته في ترك الدير والالتحاق بدير الأنبا بيشوي.

لكن كيف علم ديرنا بالرسالة السرية التي أرسلها الصيدلي إلي قداسة البابا شنودة[26]؟ علمت فيما بعد أن هناك مسئول كبير بدير الأنبا بيشـوي يتصـل بالقادة في دير الأنبا مقار من وراء البابا شــنودة, طابور خامس لحســاب متى المســكين وأعوانه, هذه المعلومة من مصدر موثوق والمصدر والمسئول لا يزالان علي قيد الحياة بدير الأنبا بيشوي.

صــار الراهب الكبير "أر" منذ تلك اللحظة يضـطهد الراهب الصـيدلي الصـغير, فكلما رآه ينتهره ويصيح فيه بأعلى صوته.

كان الشيخ "أر" لا يفلح في عمل ما ولا يُكلَّف بعمل ما, سوي أمر واحد التصحيح اللُغوي لكتابات متى المسكين, وكان متى المسـكين يشـتمه فيكتب له "أكتب النص يا حمار" لأنه أغفل كتابة النص مثلاً. كان يقول "أر" عن نفسه "أنا غير نافع في شيء, لا فرق بين وجودي وعدمه, أنك لا تجدني سـوي آكلاً أو شـارباً أو نائماً أنا لا أصـلي ولا أقرأ في الإنجيل أنا راهب كسـلان أنا كالحمار.." ربما كان يقول هذا علي سـبيل التواضع ولكن كل ما كان يقوله حقائق وصفات أصيلة فيه بالفعل.

لم يكن له حديث سوي عن عظمة ومجد الأب الروحي وقدرات الأب الروحي كان يعبد الأب الروحي, ويتحدث عنه أكثر من حديثه عن الله, لكثرة ريائه أطلقت عليه في الكتاب (فرقع لوز).

ضـــاقت نفس الصــيدلي أبونا "أنوف", وكثيراً ما كان يبكي, ربما لا ينفعل المرء ببكاء المرأة, ولكن بكاء الرجل يحســه في أعماقه قهر وظلم واســتبداد. كان الرهبان الصغار يحاولون التخفيف عنه, والصلاة معه ولأجله, ولكن دون جدوى.

كان الأب الروحي يترك الدير من حين إلي آخر, لعدة شـهور تمتد أحيانا إلي سـنة أو يزيد.. لا ليطلب خلوة مع الله ولكن هروباً من الدير ومشاكله, وكان يردد بلا خجل "أن الدير ســفينة تغرق" (أي يجب عليه أن يقفز منها لكي لا يغرق معها), كنتُ أقول للرهبان آنذاك بشجاعة:- "ومن السبب في غرقها؟!! أليس ربانها؟ الممسك

[26]) رغم رفضي للرتب الكنسية إلا أني أجد في قلبي حنين للبابا شنودة (رحمه الله) أقل شيء كان طيباً معي وكان يريد لي الراحة.

بالقيادة فيها, كيف تخونه الشجاعة وينقذ نفسه ويتركها للغرق؟ كيف يعلمنا الأب الروحي أن نُضحي بدمائنا في سبيل الدير, وهو لا يُضحي من أجله؟"

كان لدي الأب الروحي خطأ قاتل إذ كان يحس في نفسه أنه مُلهم من الله مباشرة, وأن كل ما يفكر فيه ويعمله هو من الله رأساً, وأنه لا يخطئ قط, فإذا حدثت مشكلة ما خاصة أو عامة تخص الدير كله, لم يكن يجلس مع نفسه يراجعها ويعرف موضع العطب ويحاول إصلاحه, بل كان دائماً يتهم الآخرين بالتقصير والخطأ, ففي كل مرة الملامة تقع علي الرهبان. فيزداد قسوة عليهم ويكثر من القوانين.

عاد هذه المرة يضرب علي رؤوسنا وأيدينا, فجرد الرهبان من سياراتهم التي يستخدمونها في العمل, وجرد آخرين من القلايات المنفردة التي كانوا يعيشون فيها, وكل يوم يعلق إعلانات وممنوعات وتحذيرات وأوامر ووعيد وتهديدات. فوجد رئيس الدياكونية الفرصة سانحة واللقمة سائغة لفمه إلا وهو الراهب الصيدلي, فقام بالوشاية به عند الأب الروحي واتهمه بأكبر تهمة في الرهبنة وهي "عدم الطاعة[27]" ولم تسمح أعصاب الأب الثائر علي الرهبان وعلي هذه الخطية لم تسمح له باتخاذ قرار فورياً..

فدخل ليصلي ويستلهم الحل من الله, فقال له الروح القدس "أن يُطرد الراهب في الحال" وعاد وصلي مرة ثانية فقال له الروح القدس[28]" إذا بكي الراهب أعطوه فرصة ثانية أما إن لم يبكَ فاطردوه". نتوقف قليلا:-

لماذا صلي ثانية؟!! هل شك في أنه أوحي إليه أم لم يُوحي إليه؟ أم شك في كلام الوحي نفسه؟ أم صلي ثانية لعل الله يكون قد راجع نفسه فربما اتخذ الله قراراً متسرعاً, فيعطيه فرصة لإعادة النظر, (فليسامحني الله أني أتكلم عنه بهذه الطريقة). ألم يكن أولى بالروح القدس المكتوب عنه روح النصح أن يوحي لمتى المسكين بأن ينصح الشاب؟ ومكتوب عنه أيضا يعلمكم كل شيء, فهو روح التعليم فلماذا لم يوحي للمسكين بتعليم الصيدلي والترفق به, لكي يُصلح من حاله, خاصة أن هذه أول شكوى أو أول شكاية عليه.

دلف الشيوخ إلي قلاية الراهب المسكين ما أرهب مناظرهم, وأطلعوه علي قرار الأب الروحي بالطرد, وأمروه بالنزول من القلاية ففي الأسفل سيارة تنتظره لتحمله إلي المكان الذي يرغب في الذهاب إليه. ربي ما أقسي الدير!!

في ذلك اليوم كنت عائدا من العمل في وقت الغروب فوجدت راهبا يبكي خارج أسوار الدير, سألته فأجاب "طردوا أبونا (أنو)" وأن رئيس الدياكونية أراد أن يودع الصيدلي بقبلة فرفض الصيدلي وقال له "أبتعد عني هذه قبلة يهوذا"[29], لم يكن هذا الراهب فقط الذي بكي فقد بكي كثيرين وذهبوا إلي آباء اعترافاتهم ليجدوا شيء من السكينة والاطمئنان, فقد صار أمنهم ووجودهم في الدير في مهب الريح لأن الراهب

---

27) يغفر الدير حتى خطية الزنا تشبهاً بأبي مقار الذي ستر علي راهب وقع في خطية الزنا, وجلس علي (الماجور) الذي اختبأت المرأة أسفله ولكن ما لا يمكن أن يغفره هو عدم الطاعة.

28) الروح القدس هو شخص الله, تؤمن المسيحية بإله واحد مثلث الأقانيم, لا أسبقية لأحدهم عن الآخر ولا يوجد تناسل, الثلاث أقانيم إله أزلي أبدي, فوحدة الله وحدة جامعة مانعة

29) قبلة يهوذا رمز للخيانة إذ أعطي علامة لطالبي المسيح قائلاً الذي أقبله هو هو أمسكوه, فقال له السيد المسيح لماذا جئت يا صاحب, أبقبلة تسلم أبن الإنسان (الله المتجسد)

الصـــيدلي كان دمث الخلق محبوب وكانت أفضـــل فترة للمائدة هي الفترة التي كانت تحت مسـؤوليته. وكلٍ يسـأل نفسـه ما الذي يمنعهم من طردي؟ أنقسـم الدير فالغالبية العظمي من الرهبان الصـغار ثارت ضـد ظلم قيادة الدير. ولكن لا حول ولا قوة لهم والأقلية الحاكمة وقفت في صف الأب الروحي لارتباط مصالحها به.

وضعني الدير بهذا الحادث في تمزق نفسي عنيف, إما أن أركع وأخضع وأعيش في ذلة الحياة وأصمت. وإما أن أثور وأعلن ما أعرفه, فليس في الدير من هو أقرب مني لهذا الحدث. أن أصمت هذا مستحيل, فلا أستطيع أن أنسي ليالي الشقاء التي عشـــتها لصـــمتي حين بِيعَ العجل وقتل الطبيب البيطري, وأن تكلمت فالطرد مصيري,علمت أن أيامي بالدير قد أوشكت علي نهايتها. ها أنا أقرر مصيري بالدير, أن أســكت وأعيش أو أتكلم وأرحل. فقررت أن أتكلم وليحدث ما يحدث. ولأموت رجلاً خير من أن أعيش جباناً.

كيف أصـــل إلي الأب الروحي المخدوع, والذي ضــــلله رئيس الدياكونية أبونا "كوكو", وقد ضرب الأب حول نفسه هذه المرة سياجاً من فولاذ فقد كتب إعلانا يمنع فيه الاتصـال به عن طريق التليفون, وعدم إرسـال التقارير اليومية, عن العمل أو عن الحالة الروحية, وعدم طلب مقابلته الشـخصـية, وإن صـادفناه في الطريق نتركه دون السلام عليه.

كان يجمعنا كل يوم جمعة بعد العمل, ليلقي علينا عظة, كانت العظة تمتد من سـاعتين لأربع سـاعات, ومرتين إلي سـت سـاعات, إذا ففرصـتي الوحيدة هي عظة الجمعة, في الجمعة التالية لطرد الراهب أعددت له خطاباً, في مقدمته تبجيل وتكريم له, وتفخيم في ذاته القدسـية.. وذكرت له أن كتبهُ أعظم ما كتب وسـوف تظل الأجيال تتعلم منها, ثم دخلت في لب الموضوع:-

أولاً:- ذكرت له أن الحكم بطرد الراهب كان مبنياً علي وشــــاية كاذبة لرئيس الدياكونية وأنه لم يســتمع للأب المطرود, ليفحص الأمر بدقة (اعتقد أن العبارة الأخيرة جرحت كبريائه.)

ثانياً:- بينت له أن الراهب الصيدلي تعرض لظلم جائر علي يد رئيس الدياكونية.

ثالثا:- أوضـحت له أنه لاتخاذ قرار خطير مثل الطرد من الدير لابد أن يأخذ فيه رأي الرهبان, فإن وافقت الأقلية 40% علي الطرد فليطرد.

رابعاً:- تحدثت عن الراهب المطرود وبينت حسن أخلاقه.

خامساً:- يجب إعادة الراهب المطرود وكل الدير يعتذر له.

أثناء العظة أعطيت الخطاب للراهب الجالس بجواري وقام بدوره بنقله للراهب الذي يليه وهكذا حتى وصل إلي راهب كان مسئولا عن تفريغ السيارات فتوقع أن الخطاب له فأخذ بفتحه وهم بقراءته, فقمت مسـرعاً ومشـيت بسـرعة تجاه هذا الأب وخطفت منه الخطاب واتجهت صوب الأب الروحي مباشرة, فأضطرب وصاح بأعلى صوته "فيه إيه؟"[30] كانت عيناه الواسعتين تقذفان شـراراً فتقدمت إلية وسلمته الخطاب قائلاً

[30]) يُمنع علي الرهبان الدخول بعده, كما يمنع الحركة, والكلام الجانبي أو حتى توجيه أسئلة له بصفة مطلقة, والتثاؤب.

"الورقة دي مهمة جداً لابد أن تقرأها" فصـــرخ بصـــوت هائج "أنت هتعطلنا ..كل الناس دي عندها شـــغل" ولما قال هذا التقطت الخطاب لعله لايريده الآن فخطف من يدي الخطاب, وأثناء عودتي إلي مكاني كان قد عرف محتوي الخطاب, وجلســـت مكاني وترك عنه العظة وثبت نظره عليَّ تخرج ناراً من عينيه وأرد عليه نيراناً أشـد إلي عينيه نيران ظلم السنين, نيران كسر السجن اللعين, نيران المذلة والأنين, نيران لســان العاجزين, نيران دموع الباكين, نعم تحديت طغيانه وانتصــرت عليه إذ أنحني وعاد إلي عظته والتوقيت كان محبوكا إذ قال وقتها "اقبل أخيك بعيوبه أقبل أخيك رغم ضعفه حب أخيك فالحب, ثم الحب, ثم الحب.." كان هذا أمام المجمع كله (جميع الرهبان) فلا يُسمح بتخلف أحد, كان بين الحاضرين رهباناً كما ذكرت ترهبوا قبل أن أولـد ولكن لا أحـد يتكلم لا أحـد يجرؤ أن يفتح فمـه,لا أحـد يقـدر أن يعترض,أنـه الاستبداد.

انتهت العظـة عدت لقلايتى ومـا هي إلا دقـائق وتســلل راهب وراء الآخر في الصعود إليَّ, بعضهم ألح لمعرفة محتوي الخطاب والبعض الآخر فهم من تلقاء نفسه والبعض شد علي يدي قائلا "أنت راجل" وتلقيت تشجيعا كبيراً. كان التشجيع يسري من يد الراهب إلي يدي إلي قلبي فهناك قلوب تصــرخ من الظلم ولكن بأصـــوات مكتومة.

انتظرت ردة فعل الأب الروحي برعب إلي اليوم التـالي ولم يرد ثم اليوم الثـالث والرابع, فقد كان هو نفسه ينتظر إلي أن تهدأ الأمور, وبعد أسبوع أرسل لي شيخاً قال لي سوف أبلغك برد"قدس أبينا الروحي علي خطابك ولكن سراً في الخامسة غدا عند القلاية رقم 5" كانت هذه تعليمات الأب الروحي, وكان الرد شفهيا[31] ثم التقيت بالشيخ فقال لي:-

"إن أبانا يُبلغك أنك صــنعت ضــجة أثناء العظة ولولا طاعتك طوال الســنوات الماضية لقام بطردك من الدير علي الفور.
ثانياً:- ممنوع منعاً باتاً إبداء الرأي, وإذا أردت التعبير عن رأيك فاترك الدير.
ثالثاً:- لسنا في مجلس الشعب حتى تتم مشاورة الرهبان في قرارات الأب الروحي, فلو أن جميع الرهبان لهم رأي والأب له رأي مخالف فسوف ينفذ الرهبان رأي الأب المخالف.
رابعاً:- إذا كنت ما زلت مُصراً علي رأيك فأترك الدير.
أخيراً:- كيف تقول أن يُحضر الراهب ويتم الاعتذار له.

هذا كان رد الأب علي خطابي قاسـياً رادعاً يعكس صــورة التسـلط التي تجعل كلمة الأب أعلي من كلمة جميع الرهبان مجتمعين.

لم يكن تمهل الأب في قرار طردي خوفه من الرهبان, فطرد راهب وبعد أسـبوع يقوم بطرد آخر لا يمثل عنده أهمية وهو لا يخاف بأس أحد مهما كان. **لكن الله هو الذي جعله يتمهل, فالفرق بين خروجي بإرادتي أو هروبي وبين طردي كبير جداً. والله العظيم لم يشأ لمتى المسكين أن يطردني. لك كل الشكر يا ربي.**

[31]) في الأمور التي يمكن أن تُمسك عليه وتُقيد ضده كان الأب يرسل الرد شفوياً وبعيداً عن مساكن الرهبان.

بســبب طرد الراهب المظلوم ترك الدير ثلاثة من أفضــل الرهبان دفعة واحدة في وقت واحد مع بعض, وكان هذا غريباً لم يحدث في تاريخ الدير, فالهروب من الدير يتم بطريقة فردية وسرية. ولم يذهب الثلاثة إلي دير آخر بل نزلوا إلي العالم[32]وتبعهم رابع وخامس وكاتب هذه السطور التاسع بعد طرد الراهب.

قلت للشـيخ بلِغ أبونا أني سـمعت, وكنت أعي وأقصـد أني سـمعت بأذني فقط لكن قلبي لم يســمع ولن يطيع مســتبد. قلت هذا ليكون لي حرية التفكير واتخاذ القرار في ترك الدير.

كنت مصــــدر ثقة في الدير فلماذا لم يســـتدعيني الأب ويتفحص ويعرف مني ما حدث بأكثر دقة, لماذا حسـبني عدواً له. مع أني وضـعت حياتي فداه, فقد سـقط حجر كبير من ســيارة القلاب فتقدمت أمامه لأحميه ولأتلقى أنا الحجر وأذهب حيثما أذهب ولكن فليعيش الأب الروحي فحياتنا متعلقة به.

لم يحتمل الأب الروحي كثرة ترك الرهبـان للـدير, ولم يقـدر أن يتحمـل أكثر من شـــهرين في الدير هذه المرة فعاد إلي خلوته.. بل نزهته علي شــاطئ البحر في الكيلو 70بعد الإســـكندرية, بعد عدة شـــهور عاد الأب المرافق له من هناك وكان في أشـــد حالات الاكتئاب النفسـي ولم يبح بشـيء, فأرسـل الأب الروحي في طلب راهب بعينه, كان صـيدلياً نشـيطاً وذكياً, وبالرغم من صـغر سـنه إلا أنه كون صـداقة قوية مع الأب الروحي.

عاد الصـــــيدلي من عند الأب الروحي وقابلني عدد من الرهبان قائلين أن الراهب "ســر" يبحث عنك, وجدني فقال لي **"ســألني الأب الروحي لماذا حدث انقســام في الدير, فقلت له لأن الراهب "أنو" الذي طُرد كان مظلوماً. فأمســك الأب الروحي شــعر لحيته وقال ضــحكوا علي ذقني البيضــاء" أي أنه خُدع وأتخذ قراراً خاطئاً, وتداول الآباء قول الأب الروحي أيضاً طُعنت في ظهري من الخلف.**

ثلاثة أسئلة الأول أين قوله لقد قال لي الروح القدس أطرده في الحال؟!! أكان ذاك وحياً أم كان وحلاًّ؟!! والثاني قد عرف الأب أنه أخطأ فلماذا لم يرسـل لي ولو كتاب هدية علي ســبيل الاعتذار, لا أقول خطاب بل كتاب!! الثالث كيف نلغي عقولنا نحن المتعلمين ونســير وراء إنســان يدعي أن الله يكلمه والروح القدس يوحي له والملاك يظهر له.. ثم يحدث عكس ما يدعيه؟!!

أما الأب "أر" الذي كان يعبد متى المســكين عبادة, ترك الدير بعد رحيل متي المسـكين في سـنة 2006 وقالوا "أنه لم يسـتطع العيش بالدير دون متى المسـكين" ولكني أري أن من تسـبب في طرد الصــيدلي طرده الله كذلك من الدير, فحصــد ما زرع, ولم يسمح له الله بإتمام بقية حياته في الدير, بل يكون غريباً.

---

[32]) يطلق الرهبان علي المجتمع المدني كلمة العالم ومن فيه بالعلمانيين

3

لم يكن ضـــمير الدير نظيفاً في البيع والشـــراء, فحين كنت شـــاباً أتردد علي الدير, ألحقوني بقســـم التوشـــيش, والذي نقوم فيه بوضـــع أجود حبات الطماطم علي وجه القفص, وأســـفله طماطم اقل جودة, واســـتنكرت ذلك علي الدير, وســـألت الأخ تحت الاختبار لماذا نقوم بهذا وهو مخالف للضمير, وكان مستاء من الدير ومن فيه فأجابني لا أعلم سوف يأتِ الراهب المشرف يمكنك أن تسأله كما تشاء, فسألت الراهب وكان متكلما ودبلوماســـياً فقال لقد نزلنا إلي مجال الزراعة وكان علينا أن نأخذ بأســـاليبها, وكذلك نزلنا إلي مجال التجارة وأخذنا بأســـاليبها, والتوشـــيش واحدة من أســـاليب التغليف. لم أقتنع بهذه الإجابة ولكني كنت سعيد أني استطعت أن أعبر عن رأيي.

بعد خروجي من الدير ذهبت إلي ليبيا, وهناك كان العقيد القذافي رحمه الله يستورد تفاح من لبنان ويطرحه للشـــعب بأرخص الأثمان وكانت آخر طبقة فيه بنفس جودة الطبقة الأولي, ولا يوجد به ولا واحدة تالفة, وتذكرت وقتها قســـم التوشـــيش بالدير, وكذلك كان الموز الذي يستورده لنا من "الإكوادور" بجودة عالية, وما يصنعه الدير في الطماطم يصنعه في البطيخ أيضـاً, وقد كنت أنزل مع سيارات البطيخ إلي سوق روض الفرج, يوضع الصغير الحجم أسفل الكبير الحجم الذي يُغطيه, وللأسف الشديد كان البطيخ الصغير يُهرس أحياناً, ويتساقط عصير البطيخ كالحنفية أثناء البيع وكنت أحس بغاية الإحراج.

ما ذكرته غيض من فيض, وهم يجيدون التمثيل, فالممثلون الحقيقيون ليسوا أولئك الفنانين الذين يجســـدون الأدوار, الذين قدموا حياتهم ومواهبهم للعمل الفني ويمتعون الإنســـان طيلة حياتهم وبعد رحيلهم, وأعمالهم لها أهداف في المجتمع, نعم الممثلون الحقيقيون هم الذين قال عنهم بولس الرســـول "لهم صـــورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها". هم الذين أقاموا أنفســـهم "حراســـاً علي أســـوار المدينة" ولكنهم جعلوا علي أســـوارها أثم ومشـــقة, أُقيموا رعاة للنفوس وهم لصـــوص النفوس, كما قال الســـيد المسيح"السارق لا يأتِ إلا ليسرق ويذبح ويُهلك.. أما الراعي الحقيقي فهو الذي يبذل نفسه عن الخراف" وكم من النفوس التي سُرقت وذبحت وهلكت في ديرنا.

نعم هم أولئك الرهبان الذين يقدســـهم الشــعب حق التقديس, إلي الدرجة التي يأخذون تراب الدير مصـــــوراً في مناديلهم كبركة لهم ولذويهم, ويقولون هذا تراب مقدس إذ سار عليه القديسون.

18

اعترافات راهب مصري

الخروج من جحيم الدير

لم أشـعر بالارتياح في الخدمة بالرغم من نجاحي فيها, ولم أرتاح في الدير الآخر, وقررت النزول إلي العـالم, وجـاء الأخ مجـدي ليزورني في الـدير الآخر قـال:"إن الراهبة (هاء) علمت بقرارك وســوف تأتي لزيارتك في الأســبوع القادم". وكم كنت في حاجة ماسـة للحديث معها ورؤيتها, فقد كنت أتخبط في الظلام وأحتاج لسـماع أي حبيب أو صديق.

وفي الموعد المحدد جاءت لتقابلني في الســيارة خارج الدير فأخذت يدها وقبلتها بشــغف ووضــعتها علي قلبي, فقد مر عام دون أن أراها, وكنت أريد أن أرتمي علي صـدرها وأبكي, ولولا ملامحها الجادة لأخبرتها بذلك, وأحضـرت لي (سـاندويتشـات) ومشـــروباً وبعض الحلوى, وبدأت تحدثني كأنها تنصـــح ابنها :"لا تترك الدير فهو بركة عظيمة, يكفي أنك داخل أسوار ولك غرفة تنام فيها, أنني حزنت لقرارك وجئت أنصحك بالعدول عنه".

فرددت عليها قائلاً:" لا أســـتطيع يا أمي فنعمة الدير بالنســـبة إليَّ نقمة وأعاني داخلي من التمزق النفســـي, وغرفتي لا أســـتطيع النوم فيها مطلقاً بســـبب التوتر والصراع النفسي والروحي الذي أعاني منه".

وبذلت كل جهودها لإقناعي بالبقاء في الدير, ولم أشـأ أن أخذلها فقلت لها:"سـأفكر في الأمر", علي أن قراري كان لا رجعة فيه, وافترقنا ومن يومها لم أسـتطع رؤيتها, ولم يكن يربطني بها عاطفة فليس لديها وقت أو اتجاه للتفكير في هذه الأمور الدنيوية,

كل ما كان يربطني بها الظلم المشترك والمأساة الواحدة..والألم الذي نعانيه سوياً, وهي أحاسيس جمعت بين قلبينا, وقد وصلتني أخبار عنها بعد ذلك تقول أنه تم تأجير غرفة لها وهي تقوم بعمل أغطية الرأس للرهبان والكهنة وتبيعها إليهم لتأكل بثمنها.. وأخيراً تركتُ الرهبنة ونزلت إلي العالم.

***

الوداع من الأشياء المؤلمة لنفس الإنسان, ولقد شعرت بهذا الإحساس عندما قررت مغادرة الدير الأول, ففي اليوم السابق لمغادرتي الدير قمت بجولة أخيرة في الحقول والمزارع وبين المباني .. أتذكر كل شيء, يتصارع بداخلي الفرح مع الحزن..عشر سنوات كاملة أمضيتها في الدير, فبجوار المعاناة النابعة من التسلط والتحكم والاستبداد كانت هناك السعادة الطاغية والتي تولد بالنفس من جراء غرس شجرة أو توليد بقرة, ويختلط إحساس السعادة بالفرار من الحرمان مع شعور الأسى بفقدان أماكن وأشياء أصبحت جزء لا يتجزأ من تاريخي, ولكنني وأدت بداخلي كل المشاعر التي تشدني مرة أخري إلي الدير, وأثناء الليل وبشعور وتصرفات الهارب قمت بوضع كتبي وملابسي في مبني جديد بجوار الطريق الممهد, وفي الصباح الباكر استوقفت سيارة من سيارات الدير قائدها شاب علي علاقة طيبة بي ووضعت الكتب والملابس في السيارة وقمت بتغطيتها بملاءة, وقلت له:"أريد الطريق العام (مصر إسكندرية الصحراوي)", وعند خروجي من بوابة الدير لم يعترضني العامل فهو يعلم أنني أخرج كثيراً لإحضار ما يحتاجه الدير من الخارج, ولم أُخبر أحداً بمغادرتي للدير سوي الأب البواب ليعطيني نقوداً لأسافر إلي القاهرة, فعشرة أعوام من العمل "كالحمار" في الدير ولا أملك أجرة الطريق للعودة إلي القاهرة, وكان أبونا البواب من بلدتي وقد ذهل كل الذهول لقراري, "أليس أنت من كان يشجعنا علي البقاء في الدير؟ ألم تشجعني من قبل وأقنعتني بعدم مغادرة الدير عندما حاولت الفرار؟". أثارت كلماته تلك في نفسي شعوراً طاغياً بالحزن.. فقد كنت أحب الأب البواب, فقد كنا في الثانوية العامة معاً, وكم من الأوقات الجميلة قضيناها سوياً, وكم صلينا معاً وكم مشينا معاً وكم رنمنا معاً, وكم تمنيت أن يلحقني ويترهبن في نفس

الدير الذي ترهبت فيه, وعندما جاء للترهب لم أنم ليلة ذلك اليوم من الفرح، وسجدت مئات المطانيات شكراً وحمداً لله, فقد كانت الرهبنة هي الهدف والحلم اللذيذ لكلينا, و قد تحقق الحلم والآن حانت لحظة الفراق الفُراق إلي الأبد.

ولكنني كنت قد عقدت العزم, وبالفعل ضغطت علي نفسي, وواصلت طريقي. ولم يكن سائق السيارة الشاب علي علم بنيتي, وعندما وصلنا إلي الطريق العام ولم يجد سيارة في انتظاري سألني قائلاً:" إلي أين؟" فقلت له إلي القاهرة. فداخله شعور خفي بأني سأترك الدير, فأردف:"هل ستترك الدير؟".. فأجبته بنعم, فسالت دموعه سيالة وأختنق صوته وهو يرجوني بالعودة :"أرجع يا أبونا أرجع.. أنا لا أستطيع العودة إلي الدير بدونك" كانت نفسي تذوب وأحبس دموعي, وقلبي يكاد يتوقف, ودموعي الآن تتساقط وأنا أكتب ما جري, فصورته الحزينة المتوسلة الباكية باقية في مخيلتي وتمالكت أعصابي وخفت من تأخره علي العودة لئلا يُطرد من الدير, فقلت له:"أرجع إلي عملك لئلا تتأخر. وعاد إلي الدير وكنت اعلم أنه سيخبر الرهبان فور وصوله إن لم يكن بكلامه فبدموعه السيالة.. وسرعان ما ستأتي سيارات الدير لإعادتي إليه, فنظرت إلي السماء الزرقاء ولم أقل شيء, فكثيرا ما فهمني الله دون أن أشرح وكثيراً ما استجاب دون أن أطلب, فأرسل بعنايته الإلهية (تاكسي) كان خارجاً من مدينة السادات وأقترب مني بهدوء وكان عازماً علي التوقف قبل أن أشير إليه, فأسرعت بالركوب والفرار إلي القاهرة, وعلمت بعد ذلك أن الدير أرسل خلفي أربعة سيارات ولكن بعدما نفذ الأمر واستطعت الفرار.

وفي طريقي للقاهرة لم أكن سعيداً بحريتي ولا حزيناً بشدة علي مغادرة الدير, ولم أكن خائف واجل بما سيلاقينني في المستقبل, فكم من المرات في السنة الأخيرة هربت فيها بروحي وخيالي من الدير, وما تحقق الآن هو مغادرته فعلاً بالجسد, ولكنني كنت أشعر بضيق لا حد له لا أعرف مصدره, ولم أستطع التخلص من هذا الشعور, وفكرت أن الضيق سوف يتلاشي إذا عدت للخدمة بالكنيسة أي لوعظ الناس, ومن خلال الأخ إيهاب كنت أتصل في الشهور الأخيرة بالأنبا (غ) صديقه, وعرضت عليه مشكلتي والتي هي نفس مشكلته, فقد كان بنفس الدير الذي غادرته, وعاش نفس

الضغوط التي عانيتها, فترك الدير والرهبنة وعاد إلي بيته, ولكن قداسة البابا (شنودة) أعاد إليه ثقته بنفسه ورسمه أسقفاً, واتفقت معه أن أخدم عنده فرحب بذلك, ووعدني أن يأخذني إلي البابا لطرح الأمر عليه ثم نعود ســوياً إلي محافظته فأقيم عنده, ولكن ماذا يحدث لو فشلت في الخدمة؟!

أما الأخ إيهاب .. فقد كان شاباً أسمر اللون سواداً خفيفاً محبباً, خفيف الظل, عذب الحديث, من الشخصيات التي تنفذ إلي الأعماق من أول وهلة, وله حس عال للشعور بالآخرين, متفوق في دراسته فقد حصل علي المركز الأول في إعدادية السويس وأتم دراســته الثانوية بمدرســة المتفوقين بالقاهرة, وأصــبح طبيباً بارعاً, وقد كان يقوم بأجراء العمليات الجراحية الكثيرة رغم حداثته في عالم الطب, وترك كل شــيء ليلتحق بالدير.. وعمل بالدير طبيباً وفي خلال ثمانية شهور أثبت كفاءة عالية شهد بها الأطباء القدامى في الدير, ومن خلال ذكاؤه اللَّماح أكتشف حقيقة الدير.. فما سمع عنه طول عمره عن روحانية الرهبنة وملائكية الرهبان, تكســر وتلاشــي بالممارســة العملية, ولكنه أخذ الأمور ببساطة, ولكن بساطته وفكاهته لم تصمد لأكثر من ثمانية شــهور, فدخل في حالات من التوتر والاكتئاب حتى قرر الهروب من الدير, وصارحني بذلك, فقد كنت قريباً من الرهبان الصغار والأخوة المبتدئين والضعفاء, فقمت بمساعدته واقترضت له نقوداً من أحد السائقين من بلدتي.. واصطحبته سراً في الساعة الواحدة ظهراً (وقت راحة الرهبان والعمال) إلي سور الدير الخارجي, وظللنا نبحث بجوار السور عن شجرة أو خشبة أو أحجار نضعها فوق بعضها ليتمكن من تسلق السور ولما أعيانا البحث وكاد أن يأخذنا اليأس إذ بسلم مركون بجوار السور ســلم خشــبي يالعمق رأفتك يارب, وكأن العناية الإلهية تريد لنا الفرار من ســجن "الباستيل" هذا, وصعد هو علي السلم بعد عدد من القبلات والأحضان التي أهاجت مهجتي ودموعي, ووصــل إلي حافة الســور العليا ثم قفز إلي أســفل خارج الدير, وطوحت له فردتي الشبشب, مع السلامة مع السلامة, بعدها تلقيت خبر هروب الأخ إيهاب بدهشة وكأنني لا أعرف شيئاً..

لو علموا بعلاقتي بما حدث لقاموا بطردي من الدير دون نقاش

أفقت من ذكريات الدير والسائق يدخل بالتاكسي إلي القاهرة فقلت له:"أريد محطة السويس", ومن هناك أخذت سيارة أجرة إلي السويس, ولم أكن دخلتها من قبل, وعند وصولي اتصلت بالأخ إيهاب فلم أجده, وما هي إلا بضعة دقائق حني حضرت إليَّ الدكتورة (م) أخت إيهاب وزوجها الدكتور (ي) وقاما باصطحابي إلي شقتهما وأنا في غاية السعادة بلقائهما, وحضر الأخ إيهاب ومكثت في منزله أسبوعاً تخللته زيارة إلي دير الأنبا "بولا" بالبحر الأحمر, وما أن وقعت عيني علي الرهبان حتى أقشعر جسدي كله وإذ بدقات قلبي تعلو..وتتقطع أنفاسي.. حتى كاد أن يُغشي عليَّ ..

علقت أمالي علي الأنبا (غ) وكنت كل يوم أسأل هل جاء الوقت للذهاب لمقابلته, وفوجئت برسالته لي إذ بعث يقول:"ما دمت نزلت لدي الأخ إيهاب ولم تنزل عندي مباشرة, فأنا لن أذهب معك إلي البابا" وتعجبت لموقفه هذا غاية التعجب, وتساءلت هل هو خائف من الموقف كله؟ أو خاف مني أنا شخصياً؟ لماذا هذا التخاذل؟ ومن هو الأخ إيهاب؟ أليس هو صديقه وقد عرفته من خلاله؟

زارني الأخ (مجدي) شقيق (إيهاب) الصغير ليتعرف بي, وقام بتشجيعي وقال لي:"سوف أذهب معك إلي الأنبا "بيسنتي أسقف حلوان" وهو سيصطحبك إلي قداسة البابا" وكان هذا الأسقف نشيطاً جريئاً, وهو من نفس ديرنا أيضاً وعلي صلة دائمة بقداسة البابا.

أخذني الأسقف إلي قداسة البابا, وقال لقداسة البابا قبِّل أبونا "جاوري" يا سيدنا فقد خرج من دير الأنبا مقار, فما كان من قداسة البابا إلا أن احتضنني وقبلني, فقبلت يديه فقال لي:" **كويس دا أنا النهاردة هتكلم عن ديركم واللي بيحصل فيه وكانت محاضرة لطلبة الكلية الإكليريكية بتاريخ 30-4-1991 بعنوان (مناقشة كتب أبونا متى المسكين) تناول فيها البابا بعض الأخطاء- من وجهة نظره- والتي جاءت في كتب الأب متى المسكين, وهو الأب الروحي للدير الذي عشت فيه طيلة العشر سنوات الماضية, وهو صاحب كل المهازل التي كتبت عنها, والواقع أن الأخطاء التي تحدث عنها البابا لم تكن جوهرية ولم تمس العقيدة, وإلا عُزل أبونا متى وأحرقت كتبه, والتي لازالت تملأ المكتبات, وفي نظري فأبونا متى المسكين سليم فكرياً وعقائدياً, ويعتبر من أكبر اللاهوتيين في عصور عديدة, فأسلوبه قوي ومنطقي وفلسفي يمزج العقيدة بالفكر في أسلوب رائع خلاب, ويُعتبر بمفرده مدرسة جديدة تتلمذ فيها كل رهبان ديرنا بما فيهم أنا, كما تتميز كتاباته بخبرة**

روحية عميقة, قلَّ أن تجد لها مثيلاً عند أي زاهد أو راهب أو أي مُفكر آخر[33], ولكن مشــكلته تكمن في التمزق الفكري والنفســـي, فســـلوكه يختلف تماماً عن أفكاره, وينطبق عليه قول الســـيد المســـيح:"كل ما قالوه لكم أن تفعلوه فافعلوه, وأما إلي أعمالهم فلا تنظروا" فمتى المسكين يوصي بالمحبة وتمتلئ أفعاله بالحقد والقسوة والكراهية والكبرياء, ويتملكه حب الشـــهرة وجنون العظمة، أنني مهما كتبت فلن أستطيع أن أعبر عن خبث وحقد ودهاء أبونا متى, وهناك عشرات القصص التي تؤكد كلامي هذا, ويكفي قصة أبونا (سيوس) فقد كان رفيقه وأبن سره لمدة ثلاثة عشر سنة, وكان صادقاً وأميناً مما جعل الأب متى المسكين يكتب عنه أنه مصدر ثقة, وقال عنه ذات مرة أنه مســـتحق مســـتحق مســـتحق, ويكفي أن تعلم أن أبونا (ســـيوس) هذا ترك الدير لســـوء أخلاق الأب متى المســـكين, وقد وعد قبل رحيله بالكتمان وأنه سوف لايتكلم, وقال أنني دخلت الدير من أجل المسيح وتركته أيضاً من أجل المســـيح, وبعد ذلك ســـمعنا أنه ســـافر إلي بريطانيا وتزوج هناك وأنجب وحضر إلي مصر للزيارة ثم عاد.

كان البابا يعرف كل هذه العيوب وربما اكتشــفها أثناء تلمذته علي يدي الأب متى المسـكين في الخمسـينيات, وقد تحدث عن كل هذه العيوب في تلك المحاضــرة, غير أنها حذفت ولم تُسجل علي أشرطة الكاسيت فقد زاد البابا وفاض وكشف عن عيوب وأســرار صــعبة للغاية. وبقي من كلامه حديثه عن الدير وأوضــاعه بصــفة عامة و وكيف أنه تحول إلي مؤســـســـة إنتاجية ولم يعد مكان للعبادة, كما تحدث عن ترك الرهبان للدير , وأن لديه شخصياً ما يزيد عن سبعين راهباً, منهم من رسمهم أساقفة ومنهم من رســمهم كهنة..ومن كلفهم بخدمات داخل مصــر وخارجها, ثم تطرق البابا للحديث عن الأوضاع السيئة للرهبان, وقال صراحةً:

"إن الدير له فرع خاص بمستشفي الأمراض النفسية بحلوان".. وهذا أثار حفيظة الشـبان, فوقف أحدهم وسـأله بجرأة :"ما دمت تعلم كل هذا وأنت المسـئول عنه فلماذا تســـكت؟ ولم تتخذ قرراً بعزل أبينا متى؟" فأجاب البابا بأنه يميل في تقويمه إلي التعليم والإقناع وليس إلي العنف والترهيب, كما أنه عاهد الله يوم رسـم كاهناً أنه سيستخدم سلطان الكهنوت للخير والبركة, وليس للانتقام أو الشر.

[33]) كان هذا الرأي سنة 1991 وكنا لازلنا متأثرين به وبكتاباته, ولكن الآن وبعد العودة للكتاب المقدس, فقد أختلف الرأي إذ يري المؤلف أن الأب متى المسكين انحاز إلي الرهبنة والكنيسة والقديسين أكثر من انحيازه لصدق كلمة الله, فقد دعا للرهبنة وعظم شأنها علي حساب الحق الإلهي, وهي بجملتها غير موجودة بالكتاب المقدس.

وانتهت المحاضرة وصعد البابا إلي الدور العلوي, وبعد قليل أرسل في طلبي في غرفته الخاصة, وصعدت إليه فوجدته بشوشاً ونبرات صوته تحمل إليك طيبة قلب منقطعة النظير .. كما انه يستمع إليك باهتمام ويحدثك بأدب شديد, وألفاظه منتقاة, وحدثني عن ديرنا بأكثر صراحة, وذهب يذكر أسماء بعينها وما يفعلونه, وعن بعض الحوادث والتصرفات الغير لائقة, والأمور الملتوية. فهو علي علم بما يحدث لدينا, ففكرت في نفسي هل لديه عين أو أعين في ديرنا؟ أم أن كل من يخرج من ديرنا يقص عليه ما يقص, وهو بدوره مخزن كبير إذ يحافظ علي ما يصله من معلومات؟ ثم حدثني عن إرسال أبونا متى إليه ليأتِ قداسته ويتسلم الدير فقد تعب أبونا متى من قيادة الدير ومن صعوبة التعامل مع رهبان هذا الدير خاصة, (كان يُعنفنا ويقول أنكم أصعب رهبان علي الإطلاق وذات مرة قال لنا ليس لكم خلاص, وأنكم لا تتوبون), ويستكمل البابا حديثه ويقول:"ولكني فوجئت باثنين من رهبان ديركم يحضران إليَّ ومعهما قائمة بأسماء الرهبان وتوقيعاتهم.. والتي يؤيدون فيها أبونا متى المسكين, ويرفضون قيادتي لهم, فقلت في نفسي لا يمكن أن أفرض نفسي عليهم. وقتها خفت في نفسي لئلا يأتِ البابا بالقائمة فيجد اسمي فيها, علماً بان التوقيع آنذاك كان شبه إجباريا فالويل كل الويل لمن لا يوقِّع. وهذا ما حدث.

***

للمشاكس[34] الذي سمي خطأ بالمسكين تاريخ طويل في الصدام والخلافات مع الكنيسة وقادتها بدءاً من البابا (يوساب) حتى البابا شنودة الثالث, وقد تجمَّع له كثير من المداهنين, سواء داخل الدير- رهبان منافقين- أو خارج الدير من القراء المبهورين.

صنع له هؤلاء وأولئك هالة من النور والقداسة, وخلعوا عليه الشفافية ومعرفة الغيب, وأظن أنه هو الذي بدأ بالنسيج فكثيرا ما كان يحدثنا عن عظمة شخصيته فضلاً عن المعجزات التي تجري علي يديه وبواسطته, وكان يحدثنا عن نسكه وكيف كان يصوم ويأكل مرة واحدة كل أسبوع, وكيف أن لا أحد يقدر أن يصوم مثله, كما أن الأكل بعد أسبوع له نظام خاص لا يعرفه إلا النساك العظام.

---

[34]) المؤلف يعتذر عن الكلمات النابية أو القاسية التي كتبها في الكتاب في ذلك الوقت, ولكنه نقل الأحداث بأمانة منقطعة النظير.

وقص علينا أيضـــا أن العذراء مريم ظهرت له وأعطته نقوداً, وقص أيضـــا أن الشـــيطان ظهر له محاولاً قتله, وســـرعان ما جاء رئيس الملائكة ميخائيل فهرب الشيطان من أمامه, وظل رئيس الملائكة في غرفة متى المسكين لمدة ساعة وهو ســاجد أمامه, لا يجرؤ أن يرفع عينيه وينظر لرئيس الملائكة, وأظن أن كل ما حدث إما وحي خيال مريض بالعظمة, إما من ألاعيب الشـــيطان, الذي يريد أن الناس تتحول من مسيح الخلاص والدم السائل علي الصليب إلي مسيح المعجزات والآيات والتي لا قيمة لها بدون التبرير بدم المســـيح. فقد قال للذين صـــنعوا قوات عظيمة باسمه أذهبوا عني يا ملاعين أنا لا أعرفكم. زد علي ما سبق أن الله يكلمه ويوحي إليه, وأكمل الرهبان باقي ثوب المجد والعظمة فراحوا يروجون له ولمعجزاته, فحكي لنا أحدهم أن نيراناً شـــبت في مخزن الأخشـــاب وهب الرهبان مع العمال يحملون الماء الكثير لإخماد النيران ولكن دون جدوى, وحضر الأب متى المسكين وتمتم علي قليل من الماء في كوب, ورشـــها ففي الحال خمدت وانطفأت النيران يا للعجب علي كوب ومصباح علاء الدين!! أما الأعجب أنه طوال مدة تواجدي بالدير لم تحدث ولا معجزة واحدة من معجزاته, بل كانت تحدث كوارث مثل التي كتبتها سابقاً, تري أكان وجهي يحمل له النحس ولمعجزاته؟! فانقطعت مرة واحدة!!

كان الأب متى المســـكين في بداية حياته الرهبانية يحلق في الســـماء, ويحلم بأنه ســـيعيد للرهبنة قوتها, بعد ضـــعفها الشـــديد في العشـــرينيات والثلاثينيات من القرن العشـــرين, وبأنه هو المخلص المنتظر (كما رأي ذلك في رؤية) الذي ســـيعيد مجد الآباء ويملأ البراري بالرهبان العابدين والمتوحدين من جميع أنحاء العالم الذين ســـوف يترهبوا في مصـــر.. وتمر الســـنوات ويصـــطدم الحلم بصـــخرة الواقع وتبوء جهوده بالفشل, والأكثر من هذا قد شق عليه العديد من الرهبان عصا الطاعة, وتركه نصـــف عدد رهبانه, وقد حصـــد ما زرع, فقد زرع التنافس والتناحر بين الرهبان فأضـــرمت نار الغيرة والكراهية بينهم, فكثيراً ما ميز الرئيس عن المرؤوس, وســـاند القوي ضـــد الضـــعيف, ولم يجمع أولاده في روح المحبة, ويقول لهم كما علق راهب عاقل علي تصرفاته وقال:"كان ممكن أن يصالح المتخاصمين, ويقول لهم العمل ليس هو المهم ولا الإنتاج ولكن محبتكم لبعض هي الميراث وهي الأســـــاس",فقد تحول الرهبان من العبادة إلي الإنتاج والربح, وكان يشـــجع بعض الرهبان بأن يرســـل لهم أنهم أكســـبوا الدير في هذا الأســـبوع مبالغ كذا وكذا, وســـلوكه هذا فجَّر الخلافات بين الرهبان.. فلجأ الكثير منهم إلي الهرب.. وقد علمت أنه يحزن كلما ترك راهب الدير

حزناً عظيماً وأحياناً يعتكف عدة أيام, ولم يستطع تحمل كل هذا, مع كل المسئوليات الملقاة علي عاتقه, فكان يهرب كثيراً إلي أرض الدير في برج العرب, ومرة سافر إلي أمريكا عند شقيقه الأكبر, في كل مرة يقضي عاماً أو أقل يستجمع فيها قواه, ويلملم شتات نفسه, ويحلم مرة أخري برهبنة القرن الرابع فيعود إلي الدير بقسوة اشد, وأوامر ونواهي أشد تعنتاً وأكثر تضييقاً فيؤدب هذا ويسحق ذاك, ويطرد ثالث, وتتأزم نفسه لتمزق حلمه وما هو إلا شهر أو شهرين, ويهرب ثانية ليعاود الكرة تلو الكرة من جديد. ولم يغير طريقته ولم يراجع نفسه هو ليعرف أن المشكلة ليست في الرهبان بقدر ما تكمن في نفسه هو وفي الرهبنة عموماً.

في السبعينيات أراد متى المسكين أن يكون أبا لجميع الرهبان في مصر, ويصالح الكنيسة في نفس الوقت, فاقترح علي البابا أن يتم تقسيم الرهبنة إلي رهبانيتين الأولي للخدمة والثانية للعبادة الأولي تخدم البابا بإعداد كوادر رهبان مؤهلين للخدمات والوعظ والقدرة علي حل المشكلات, يرسم منهم البابا أساقفة أو كهنة, والثانية تخدم متى المسكين بأن يكون أباً لجميع الرهبان, أما الهدف الثالث فهو لصالح الرهبنة, فكثيرين من قاصدي الكراسي يدخلون في دير تكون السمة الغالبة فيه العبادة, فيخطئ القصد, والعكس رهبان يلتحقوا بالدير بغرض العبادة فيُختاروا للخدمة. وما كان من البابا سوي رفض الاقتراح بل ورفض التعاون مع المسكين من الأساس.

وكان لما أشتد ضغط الدير ورهبانه علي أعصاب متى المسكين عام 1987وعام 1988 قرر التخلص من الدير نهائياً فكتب رسالة مطولة إلي قداسة البابا شنودة ليأتِ ويتسلم الدير وقرأ علينا الرسالة أبونا (فرقع لوز) وهو من الشلة إياها, ثم أرسلها المسكين إلي البابا مع الأب (ا) والأب (ي), ومر وقت لا نعلم ما حدث خلاله, وإذ بالأب (كوكو) وهو من أكبر المداهنين المروجِّين, يجتمع بالرهبان رسمياً لأول مرة, وأخذ يحدثنا عن فضل المسكين علينا جميعاً, وكيف أثقلت المشكلات كاهله مما اضطره إلي إرسال تلك الرسالة, ولابد أن نتمسك به وألا نرضي بغيره بديلاً، وأن نكافئه بأن نحسن طرقنا ونطيعه...الخ

ثم طلب منا التوقيع علي رسالة نرسلها إلي البابا نتمسك فيها بأبينا الروحي, إلا أن كثيراً من الرهبان- وأنا واحد منهم- تركوا الاجتماع دون توقيع فقد كنا في حالة استياء شديدة من أبونا متى, ولكن الأب (كوكو) المحترم كان يلاحقنا في أعمالنا ويضغط علينا لنوقع علي الرسالة, وإلا سوف نتهم بالخيانة العظمي. وتحت ضغط (فرقع لوز) وكوكو قمنا بالتوقيع علي الرسالة, وأرجِّح كثيراً أنهما علما بعزم البابا علي استلام الدير ولذا قاما بهذه المسرحية الهزلية, وخاصة أبونا فرقع لوز فقد كان كذاب الزفة وكبيرها, وكان يحقد علي البابا شنودة, ويتكلم عنه بالسوء, وكان يتكلم بالسوء علي البابا كيرلس بل قال أن البابا كيرلس كان له علاقات نسائية, شاهدها بنفسه فقد عمل وكيلا للبطريركية لمدة عام وشاهد أشياء مخزية.

وحين حمل الراهبين الرسالة الأولي للبابا أرسل مع معهما رسالة شفوية للمسكين قال فيها:" **هل لازلت مقتنعاً بفكرة إعادة الرهبنة إلي قوتها في القرن الرابع الميلادي؟**" وهي رسالة لا تخلو من التهكم والسخرية, فالإجابة هي الرسالة التي بين يدي البابا "تعال استلم الدير".

أعتقد أن أزمة الرهبنة الحالية ليست في نوعية الرهبان أو المتقدمين للرهبنة, فمعظمهم من أجود خامات البشرية, ولكن أزمتها الحقيقية تكمن في عدم وجود أب قائد معلم يضحي بنفسه من أجل الضعفاء.[35]

في نهاية مقابلتي للبابا طلب أن أمكث معه في الكاتدرائية وقال إذا ذهبت للدير تذهب معي وإذا عدت تعود معي.

***

اتصلت بوالدتي قبل مغادرتي لدير الأنبا "بيشوي" وحين سمعت صوتها بكيت كطفل أبعدوه عن أمه, فقالت:" هل هكذا يبكي الرجال؟ هل يبكي الجبار ؟ " قبل الرهبنة كنت معروفاً بالمرح والطموح والشجاعة والصلابة ولم أعرف إلا دموع التوبة, والآن أبكي لسماع صوت أمي ماذا حدث لي؟ أتمني أن أرتمي بين ذراعيها وأضع

---

[35]) وقتها كان ذلك اعتقادي ولكن الآن أقول أن أزمتها الحقيقية أن الكتاب المقدس لم ينص عليها, وأنها بدعة لا وجود لها في كلمة الله, وأن جذورها وثنية ولا علاقة للمسيحية بها.

رأسي فوق صدرها لأنسي همومي كلها, كنتُ أحتاج إلي الثقة والأمان في ذراعيها.. لكم احتجت إلي العطف والحنان بعد قسوة معيشة الرهبنة وإجحافها, بعد أن فقدت الثقة في نفسي وفي الله وفي الناس جميعاً, اشتقتُ إلي جيراني بالعزبة من أحببتهم ومن كرهتم, إلي اللطيف منهم والعنيف فيهم, وداعبت خيالي ومهجتي صور تلكم البنات اللاتي لعبت معهم في طفولتي ولكم أشتاق إلي قبلات سرقتها في مراهقتي مع فتاة أو أخري, ماذا حدث لي؟ لا أعرف؟ لقد قتلت روحي وأزهقت نفسي بتطرفي في التدين والتحاقي بالرهبنة.

وفي نهاية المطاف أرسلت إلي أختي وأمي ليحضروا إلي دير الأنبا بيشوي وأعلمتهم عن عزمي بترك الرهبنة, فصرخوا في ساحة الدير صراخاً وصل إلي عنان السماء, وتجمع الرهبان علي إثر صراخهم من كل جانب في الدير ليعرفوا ما سبب هذا الصراخ. وأرسلت إلي أخي الأكبر وكان يعمل في أحدي الدول العربية أعلمه أيضاً فنزل مباشرة إلي الدير وحاول ببكاء ودموع غزيرة أن يقنعني بالعدول عن قراري .. ولكن فات الأوان.

كان الجميع يرفضون خروجي معتقدين أن بخروجي هذا أكون قررت مصيري الأبدي في النار وبئس المصير. فقد أقنعت الكنيسة الشعب بأن الرهبنة طريق الملكوت, وربما أقنعتهم أنها الطريق الوحيد والأضمن للسماء.

كانت أمي من أشد المعترضين علي خروجي, حتى أنها قالت لي في آخر زيارة:"كنت أتمني أن أسمع خبر موتك ولا أسمع خبر خروجك من الدير" إلي هذا الحد تمكنت منها تربيتها الكنسية, وقد نحتت في ذهنها أفكاراً وصوراً لا يمكن زحزحتها, حتى أنها تضحي بحياة أبنها ولا تسمع بأنه ترك الرهبنة, ولكني لا ألومك يا أمي فقد كنتُ متعصباً للرهبنة أكثر منكِ.

وإذا كانت أسرتي تفضل موتي علي أن أترك الرهبنة, فكم سألقي من باقي المجتمع المدني, وبالأكثر المجتمع الكنسي, لابد أني سأقاسى أهوالاً.. يا رب أسندني, قابلت شاب كان يعرفني في ملابسي السوداء فلما رآني في ملابس العلمانيين لم يتمالك نفسه وكاد أن يغشي عليه في الشارع, نعم أنها صدمة قوية.

وصلت إلي الأيام الأخيرة لي بدير الأنبا بيشوي وطلبت من أسقف الدير الرجل الطيب القلب أن يصلي من أجلي فسوف أرحل من الدير تاركاً الرهبنة بجملتها فصلي من أجلي صلاة طويلة وطلب من الله معونة لي كما طلب من الله أن يرافقني, وعدت وطلبت منه أن يصلي لي الحل لكي أتزوج, لم أكن أفكر في الزواج وقتها فلديً كآبة سوداء علي قلبي, ولكني قلت ربما في يوم من الأيام أرغب في الزواج, فالأسبق وأحل نفسي من الآن, فصلي لي ولم يعترضني بل اظهر موافقته لي بأن أتزوج, بالطبع ليس هذا تصريح للزواج لأن الذي يملك التصريح الكنيسة, ولكن هذا بمثابة تصريح روحي بالزواج. وارتياح ضمير.

تركت الدير وبالتالي قطعت كل صلتي بالرهبنة, ونزلت في شقة أستأجرها أربعة رهبان, كانوا قد خرجوا حديثاً من دير الأنبا مقار, وكانت معي ملابس علمانية- مدنية- أشتراها لي راهب صديق كان مقاري وما لبث أن لحق بنا وترك الرهبنة, وتزوج وأنجب.

كان الرهبان الأربعة يخففون عني الأمور, وحين بدأت في إزالة لحيتي تملكني الخوف قليلاً ولكن إصراري علي خلع هذه الحياة قوي عزيمتي.. قمت بارتداء قميص وبنطلون لأول مرة بعد حوالي أحدي عشر عاماً ونصف. وكنتُ قد تجاوزت الستة والثلاثين عاماً بقليل, وأعطوني نقوداً كما أشتري لي المهندس مجدي (أبونا بافلوس سابقاً) ملابس للنوم والخروج.

اتصلت بأهلي قبل أن أذهب للبيت لكي لا تحدث لهم صدمة إذا رأوني في الملابس العلمانية, ولم يقف معي منهم إلا زوجة أخي الأصغر, والتي كانت تقول لي دائماً تعليقاً علي تركي الدير:"أفعل ما يحلو لك , لماذا تدفن نفسك بالحياة في معيشة غير راض عنها" وقد قابلتني بحفاوة شديدة وكذلك أولادها الصغار وأحسست أن لاشيء تغير فيَّ بالنسبة لهم, فقد كانوا يحبونني ويحتفوا بى في ملابسي السوداء وهكذا احتفوا بى في ملابس العلمانيين. مكثت في المنزل مدة شهرين, قمت خلالهما باستخراج بطاقة شخصية جديدة, وكذلك جواز سفر, واستخراج شهادة البكالوريوس

من الكلية وتوثيقها. فمن الطبيعي أن أترك مصـــر لأعيش في بلد لا يعرفني فيه أحد ولا أعرف فيه أحد مجتمع جديد, يكون ماضيَّ غير معلوم لديه.

طلبني أخي الأكبر فسـافرت إليه لإحدى الدول العربية الشـقيقة, ومكثت في منزله بالعاصـمة, وجاءت فرصـة عمل بعقد حكومي حيث المرتب الكبير والإقامة والسكن فرصـــة لن تتكرر كما قال أخي الأكبر, بالإضـــافة إلي إمكانية السـفر من خلال هذا العمل إلي الدول الأوربية, وهذا بحد ذاته حلم كبير لكثيرين ولكني رفضت هذا العمل, وفضلت أن أعمل مع أصغر إخوتي في السوق إذ كان هو أيضا في تلك الدولة, وكان ذلك هروباً من وظيفة يتحكم فيَّ من خلالها موظفون حسـبت أنهم سـيكونون الرهبان الجدد, يفرضون عليّ أوامر ونواهي.

حينها ســألني أخي الأكبر وكان يرجوني أن أقبل الوظيفة ألا تريد أن تتزوج؟ ألا تريد أن تسـافر للخارج؟ أجبته أنني أريد شـيئاً واحداً أن أرتاح نفسـياً وحين أحصـل علي الراحة فسوف أعرف ماذا أريد.

وعملت مع أخي الأصـغر بالألوميتال (الألومونيوم), وبعد شـهرين سافر وتركني أعمل بورشة (أبو خرواطة), وكنت أقوم بكل العمل بهذه الورشة, وقد أظهرت براعة في هذا العمل منذ الأسبوع الأول, علي الرغم من ضغط العمل الواقع عليَّ حيث كنت أواصل الليل بالنهار, وكنت أنام بالورشـة, وكانت مشكلتي الوحيدة صـاحب الورشـة الشـاب, الذي تعلم الهندسـة في فرنسـا, وتعلم الانحراف فيها أيضـاً, وما أظن أن سبب الانحراف فرنسا, فقد كان يتردد علي الدير شاب يتعلم ويعمل في ألمانيا, وبالرغم من ضـــغط الكاهن عليه هناك بأن يقيم علاقات مع الفتيات إلا أنه رفض, فاتهمه الكاهن بالشـــذوذ النفســـي, وقد أخبرني ابن أخي العائد من إيطاليا عن انحلال الكهنة هناك, وبالطبع صدقته علي الفور فقد رأيت عينة منهم.

كان الشـاب صـاحب الورشـة سكيراً .. ويتعاط المخدرات ومحتالاً وسـيء السمعة والسـلوك, ولم أكن علي علم باحتياله وكلما طالبته بنقودي يقول سـوف أعطيك ولكن الورشـة في بدايتها, وأحتاج لكل قرش لأشـتري مواد خام, وكنت أصـدقه, ولكن مرت عدة شهور فيئست منه, وخاصة أنه كان يأتي إلي الورشة بالليل المتأخر مع صديقته

ويجامعها في فراشي علي الرغم أنه متزوج ولديه طفل, فأضطر لترك الورشة أهيم في الشوارع أو أذهب إلي الكنيسة, وكم لقيت أهوالا في الطريق إليها من الشواذ جنسياً بمحاولة قهري أن أرتكب المعصية فيهم, وكنت أفلت بمعونة الله, وأقول في نفسي يا رب أين كنت؟ وكيف أصبح حالي من السوء؟

وعلي الرغم من مفاسد أبو خرواطة, فقد كان طيباً كريماً, وكان يستضيفني في منزله وكان هذا غير معتاد مع أحد وقابلت زوجته الفاتنة.. بشعرها الطويل المسترسل الأشقر, وعينيها الخضروان.. وقوامها الممشوق.. وذراعيها البضة.. نعم كانت جميلة حقاً بل رائعة الجمال, كانت تشكوه أمامي بأنه يبيع أساس البيت, دفعني ذلك لأن أسأله علي انفراد:"لماذا تخطئ وزوجتك بهذا الجمال" ولم يجب بشيء, أيكون حب المغامرة؟ أم سطوة الشهوة تدفعه لتغيير النساء؟ أيكون هناك متعة في ارتكاب المعصية؟ أهناك لذة في التخفي بأجنحة الظلام؟ إنها مشاعر غريبة متضاربة تمتزج فيها المعصية بالخوف.. والإثم بالرعب.. واللذة بألم الضمير ومرة ثم مرة يصير الإثم سهلاً والظلام لذيذاً والخطية صديقة.

بقيت في العمل معه ثمانية شهور.. كانت لمزاجه وشهواته.. أكدُ وأعرق أنا وهو يأخذ عرقي ليسكر به ويتعاطي الحشيش ويضاجع النساء, فاتخذت قراري بترك العمل لديه, وتركت ورشته إلي الشارع بلا نقود بلا عمل بلا سكن.

عدت إلي الشارع من جديد أبحث عن عمل أبحث عن سكن أبحث عن نقود, أبحث عن أمان أبحث عن صديق أبحث عن الحياة.

أن كل أملي الآن وما أتمناه ويكون يوم فرحي يوم أن تخرج مذكراتي إلي النور وتنشر, وتصل إلي القراء.

كل هذه المأساة وأكثر كان سببه قراري بأن ألتحق بالرهبنة, لذا عزيزي القارئ أتوسل إليك وأحذرك كل التحذير من هذا القرار, الله يشهد أن كل كلمة كتبتها صادقة وليس فيها أي تأليف أو كذب أو مبالغة.

عزيزي الشـــاب ترو وابحث في الكتاب المقدس وأفهم أنه لا توجد به رهبنة علي الإطلاق, أستيقظ قبل أن تلقي بنفسك في الهاوية, لا يخدعك أحد, ولا يخاتلك السـنكسـار ولا تسـير وراء كتاب بسـتان الرهبان, فكل ما جاء بهما ترهات وأكاذيب لا وجود لها علي أرض الواقع.

الصدام العنيف بين الإنجيل والرهبنة

1

قرأت رســالة غلاطية عشــرات المرات, وســمعت عظات وتفاســير عنها, ولم تســتوقفني آياتها قط, ولا وجدت بها شــيْ أنفعل به أو يحفزني لكي أنفعل, لكن هذه المرة صدمتني بل لطمتنى علي وجهي, بل سحقت عظامي ورضضتني.

ما هذا؟ كل الصرح الذي بنيته بألم وعرق ودم ودموع, وسنوات احتمال وصبر, كان مبنياً علي كومة من القش, فأحترق القش وتهاوي الصـرح, كل هذا الطريق الذي سرته وعشته وأحببته أنتهي إلي الضياع.

"قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس سقطتم من النعمة" (غل4:5) ترجمة فانديك, "والذين منكم يطلبون أن يتبرروا بالشــريعة, يقطعون كل صـــلة لهم بالمســيح, ويســقطون من النعمة" الترجمة العربية المبســطة المشــتركة. هذه الآية تشـرحها الآية الأولي من الإصـحاح,"أن المسيح قد حررنا وأطلقنا في سبيل الحرية, فأثبتوا إذن, ولا تعودوا إلي الارتباك بنير العبودية" ترجمة كتاب الحياة. فنير العبودية هو ثقل المطالب القاسية التي تفرضها الشريعة كوسيلة لنوال رضا الله, ثقل لا يمكن للبشـر أن يحتملوه, وسـقطتم من النعمة أي أخرجتم أنفسـكم من دائرة الرضـا الإلهي, لأن محاولة كسب رضا الله بأعمال برنا, أمر مرفوض, فقد قال أشعياء "كلنا أصبحنا

كنجس (كنجاســة), وأضــحت جميع أعمال برنا (الأعمال الصــالحة) كثوب قذر..." (أش6:64) الترجمة التفسيرية.

هذه كانت مشكلة أهل غلاطية كما قال لهم الرسول بولس "أهكذا أنتم أغبياء أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون بالجسد" (غل3:3) وهي نفس مشكلتي بل مشكلة الكنيسة كلها ومشــكلة الرهبنة بالذات. فقد نلنا الخلاص عن طريق الإيمان نلنا الروح القدس علي أســاس الإيمان بالبشــارة, ولكننا نحاول الحصــول علي التبرير بالمجهودات البشــرية (تكملون بالجســد), ولم ننال موعد الروح القدس بنســك وفقر وتعب وتجرد وما إلي ذلك, نعم لم ننال النعمة كمكافأة لزهدنا وصومنا. بل عطية من الله.

حين قال بولس الرســول يأهل غلاطية الأغبياء كان يخاطبني ويخاطب الكنيســة الحالية ويخص بخطابه الرهبنة بالذات.

ثارت عليَّ نفســي ثورة عارمة حين قرأت هذه الآيات, أحســســتُ بالاختناق حتى الموت, وعادت نفسي إلي داخل أسوار الدير, ورأيت كل أعمالي وجهادي ضد نفسي وتمســكي المفرط بأدق الأمور قتلني, قد زج بي الدير من ناحيته, ومن ناحيتي دفعت نفســي لأعمال لا طاقة للبشــر بها؛ وكانت نتيجة كل ذلك في النهاية عكســية, بُعدٌ عن الله (تبطلتم عن المسيح) وخراب في النفس (سقطتم من النعمة).

لا يحتاج القارئ أن أدلل له علي كثرة التحريض للنسك في كتب الكنيسة والرهبنة, فالقراءات في السنكسار اليومية وبستان الرهبان, وسير القديسين والسواح, والعظات اليومية و...الخ, كلها تحرض وتدفع لاتجاه الأعمال النسكية وقهر الذات. وفي المقابل لا يتم التركيز علي دور الإيمــان, والكتــاب المقدس يقول أن بــدون إيمــان لا يمكن إرضــاء الله (عب6:11), سوف نأخذ قولاً واحداً من بستان الرهبان للأنبا باخوميوس أب الشــركة "جميع آبائنا القديســين, بجوع وعطش وحزن كثير أكملوا ســعيهم ونالوا المواعيد[36]" فقد أكملوا ســـعيهم نحو الحياة الأبدية, ونالوا المواعيد (ســـواء موعد انســـكاب الروح القدس في هذه الحياة أو الوعد بدخول الحياة الأبدية بعد هذه الحياة)

---

[36]) بستان الرهبان ص47

بسبب الجوع والعطش والحزن الكثير, وليس بسبب الإيمان الذي وهبه الله لنا كعطية صالحة وهبة مجانية ونعمة لمن لا يستحق.

فوجئت بسؤال مُعلم الألحان والخادم بالكنيسة بعد تركي الدير, والذي كان بطريقة استنكارية وباستهجان "ألم يُصلوا عليك صلاة الموتى؟" وعلمت وقتها أن معلومات العامة وحتى المتعلمين منهم عن الدير وما يحدث داخله ضحلة, فهم يتخيلون أن بعد صلاة الموتى نقوم بطبيعة أخري غير طبيعتنا أو أننا متنا بالفعل, وأن حياتنا بعد ذلك خالية من الطبيعة البشرية وغرائزها. أن هذه الصلاة في الدير لا تزيد عن كونها إعلان أن "فائق زكه بولس" كرس حياته للدير, وتخصص للمعيشة فيه, وأن أسمه يدعي فيما بعد "جاوري ألمقاري" وليس فائق زكه بولس.

كان الأب الروحي يُخبرنا أنه من بين المعدودين في العالم علي المستوي النسكي, فقد كان يصوم أسبوعا كاملاً, أي لا يأكل لمدة سبعة أيام.. بصفة عامة كل اتجاه الرهبنة للنسك والزهد, فسلكت نفس الطريق, وللأسف كان ذلك بعد أن تمتعت بالنعمة الغنية المجانية, فاتجهت للأعمال النسكية فكم صمت صياماً قاسياً مع وجود هذا الكم من العمل الشاق, فأحياناً كنت أصوم لحين ظهور النجوم علي الخبز والماء فقط, وحتى أثناء أيام إفطار الرهبان أخذت أذن بالصوم بالقراقيش والملح (الخبز المُحمص والملح), ورفض الدير التصريح لي بطي الأيام صوماً, وبرزت عظامي من جسدي, وإذا اشتهيت صنفاً من الطعام أقوم بحرمان نفسي منه لمدة عام كامل, فإذا كان بالأعمال النسكية نكمل السعي وننال المواعيد - كما علمونا- فلماذا لا أشعلها نيراناً؟

لم أتغيب عن قداس واحد ولا أهملت التناول ولا مرة واحة, لم أتغيب عن حضور التسبحة أيضا ولا مرة واحدة, وأمارس سر الاعتراف يومياً, ولم أدع في عقلي فكرة لم اعترف بها.

أما الأمانة في العمل فقد بلغت مبلغها حتى أنه بعد أن طردني رئيس الحظيرة من الحظيرة قلت للرهبان عبارة وكنت أعنيها بشدة "لو جاء المسيح وعمل مكاني لما أضاف علي سلوكي (الفاضل) شيء" نعم إلي هذه الدرجة لأني كنت أعمل بروح

المســـيح, بروح الحـب للرئيس وللآبـاء المعـاونين والعمـال وحتى لكـل بهيمـة في الحظيرة.

كـان عدد مطـانيـاتي (الســـجود للأرض ثم الوقوف) أربعمـائـة مطـانيـة في اليوم بالإضــافة إلي صـلوات الإجبية وصــلاة نصـف الليل, وإيقاظ الرهبان وعمل القربان ودق جرس الكنيســة, لم تزد ســاعات نومي عن أربعة ســاعات ونادراً ما إذا أكملت خمس ساعات, أما في موسم البطيخ فكان نومي خمس ساعات في الأسبوع كله.

كنت أقوم بمسـح شـباشـب الرهبان وغسـل دورات المياه, لم أصـاحب راهباً كدالة خاصة كما تنص قوانين الرهبنة, ولكني أحببت الجميع بأشد ما يكون الحب حتى كنت أدعو نفسي عبداً لهم وأدعوهم بقديسين الله, لم أشرب الشاي في قلايتي ولا شربته في قلاية آخر. لم أحزن أي راهب فقد كنت أعتذر لكل راهب عن أقل كلمة أحس أنها سببت له شبه جرح أو لوم, دققت في كل كلمة في كل ضحكة في كل تصرف في كل همســة في كل لمســة في كل شــيء, حتى احترقت من كثرة التدقيق وشـدته, عيَّشـت نفســي في جحيم أسـمه "**الإحســاس بالذنب الدائم**", داومت علي سـماع عظات الأب الروحي, وأشـــغلت حنجرتي عن الإحســـاس بلذة الطعام بالتركيز في قراءة بســـتان الرهبان أثناء الأكل, فقرأته مرات لا تحصي.

علمونا أن النسك والزهد يضعف الرغبة الجنسية, ولكن بالخبرة العملية وجدت أنه كلما أزداد نسكي وجفافي كلما اشتدت الحرب عليَّ وزادت رغبتي في الجنس, وكلما تعرضت لوهج هذه النيران, فذهبت لأب اعترافي شاكياً قسوة الحرب, فقال لي: " قم بالأعمال الحقيرة فتكتســـب الإتضـــاع, والله يري مذلتك فيرفع عنك الحرب قم بجمع الزبالة في الدير", وقد كنت أقوم بذلك ولكني ألزمت نفســـي أكثر, وكانت تلال في مدخل كل مبني, ربما كثرة أعمال الرهبان أعاقتهم عن رفعها, ولكن الأب الروحي كان يقول "الوساخة من الرهبان".

وبعد أن قمت بالأعمال الوضـــيعة لم تهدأ الحرب, فكانت رفيقات مراهقتي تطل عليَّ من حين لحين, وبينما تختفي صــــورة إحداهن من مخيلتي إذ بالثانية تظهر بقوة تناديني وتمد يدها إليَّ, وأسمع همسهن الذي كان خفية وسراً, الذي تهامسناه في ظلام

الليل, وأقوم وأنفض عني هذه الأشـــباح والصـــور والأفكار, وإذ بها تباغتني ثانية, فأرفضها بكل ما عندي من عزم, فتثور علي ثالثة وتباغتني بأشد ضراوة.

أوصونا بإماتة الذات وقتل الشهوات, وقصوا علينا قصص وحكايات عن قديسين قتلوا الشـــهوات وانتصـــروا علي الذات بمغالاتهم في تعذيب أنفســـهم وأجســـادهم, بل ذهبوا في مبالغاتهم إلي القول أن بعض القديسـين قيدوا الشـياطين وربطوهم, أنني أقر وأعترف أن كل هذه الأقاويل كاذبة ولا صـدق فيها مُطلقاً, فالغرائز لا تموت أبداً, ولا أظن أن إنســاناً علي الأرض يتجاسـر ويقول أني اسـتطعت أن أقتل غرائزي بالنسـك والقهر, فكم طوحت الغريزة بنســاك عظام وأســقطتهم للدرك الأســفل كما تحكي لنا قصـص بسـتان الرهبان, وفي ظني أيضـاً أن الغريزة لا تموت إلا بعد موت الإنسـان, الغريزة طبيعة خلقها الله, طبيعة قوية وقد خلقها بهذه القوة لأنه أراد لها البقاء كما أراد بقاء الجنس البشري.

لا تموت الغرائز بقتلنا إياها كما يدعي المدعي, ولكن نعمة الله عن طريق الإيمان بعمل المسيح علي الصليب هي التي تنظمها وتضبطها وتعطينا قوة الغلبة والانتصار, وليس بالنسك كما سبق الذكر.

إمعاناً في تذلل النفس كنت أضـع روث البهائم علي راسـي ووجهي, لكي أتذلل كل الذل, وكنت أعفرهما بقاذورات الحظيرة.. ولم تنتهي الحرب فبالغت أكثر وحملت قاذورات الإنسان علي رأسي وعلي وجهي, وكلما اشتدت الحرب عليَّ قمت بالدخول إلي الحمام وتكرار هذا العمل الذي لم يجرح نفســـي فقط, بل ألمها ألماً شـــديداً وأذاها بعنف.. ألم تحســـســـته اليوم, وشـــعرت به حين قرأت رســـالة غلاطية التي تتكلم عن الحرية التي حررنا بها المسـيح (غل5:1) كيف انقطعنا عن هذه الحرية بهذه الأعمال القذرة التي لم تســـتطع أن ترفع عنا شـــيء من الحرب, حقاً كما قال بولس الرســـول "ابتدأتم بالروح وتكملون بالجهود البشرية."

ذهب الفرح بالعبادة ولم يرجع .. ذهب الفرح بالخلاص المجاني الذي دفع المسـيح ثمنه علي الصـليب, وحل محله اكتئاب وإحسـاس دائم بالذنب "فعلت كذا ولم تفعل كذا أتممت كذا ولم تتمم كذا.. وهكذا."

أنني أكتب شهادة حية للأجيال والتاريخ, أكتب ما اختبرته وما عشته وما مررتُ به, بصدق وأمانة, والقارئ قادر بنعمة العقل التي أعطاه الله إياها أن يحكم أني صادق, وليس في قلبي دافع حقد أو هجوم, ولا تبرير موقف, ولا إظهار الذات ولا طمع في شهرة أو مكسب شخصي من أي نوع, الله يعلم أني أكتب لتوعية الأجيال وهذا عندي كل المكسب, لا أريد سوي عودة القرَّاء للكتاب المقدس ومعرفة الحق, لا أريد إلا تمجيد أسم الله فوق كل أسم فوق كل شخص فوق كل عقيدة فوق كل رتبة كنسيَّة فوق كل كنيسة فوق الطقوس والأسرار فوق الممارسات. ".. وليس بأحد غيره (الرب القدوس يسوع المسيح) الخلاص, لان ليس أسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع 12:4)

2

حين كان الكتاب المقدس هو مرشد الكنيسة, كان هو سراجها المنير تسير في ضوء تعاليمه, وكانت حقاً مستقيمة, وكانت حقاً هي الأم الأرثوذكسية, ولكنها في وقتنا الحالي تركت عنها تعاليم الكتاب المقدس, فتعثرت خطواتها, وانحرفت معتقداتها, ولم تعد تلك الأم الأرثوذكسية, التي كانت صخرة الإيمان والقائمة علي حمايته, فقد وضعت الإنجيل جانباً, وأكثرت من تعاليم وإرشادات البشر, فضعفت وتأخرت عن دورها كرائدة وقائدة, وصارت كأحدي المؤسسات, فهي لا تقود المجتمع وتتقدم به روحياً وتأخذ الدور الفعال في العبادة ونشر الكرازة, ولكنها استكانت, وقنعت بدورها غير المتجدد والراكد.

كيف تكون مستقيمة الرأي ويقودها الرهبان, والرهبنة ليست من الإنجيل إنما من الوثنية فقوانينها ومنهجها وفكرها وعبادتها مستوحاة من الهندوسية والعبادات الشرقية, كيف تكون مستقيمة وقد رفضت الخضوع للكتاب المقدس, فأيهما أحق بالتبعية الإنجيل (كلام الله) أم قوانين النساك والرهبان والتي جميعها من وضع البشر, لم يعد الإنجيل يعطي أسراره للكنيسة, لم يعد يملؤها من معرفة ربنا يسوع المسيح.

الكلمة غذاء ولم تعد الكنيسة تتغذي علي الكلمة, ففقدت نموها رأسياً وأفقياً, فقدت قوتها, الكلمة النارية التي تحرق وتنقي, صارت فاترة, الكلمة التي تحطم الصخر صارت بلا فاعلية, "أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب وكمطرقة تحطم الصخر" (أر29:23), كيف تنقينا وتحرق شوائبنا وتحطم كبريائنا ونحن لا نعطيها المجال لتفعل ذلك.

أننا نستغل الإنجيل فنقوم بتحضير العظات منه, ونتخذ منه مادة للتأليف والكتابة, ولكن لا نسلم أنفسنا إليه ليشكل فينا ما يراه الروح القدس مناسباً, أننا نقرأ الإنجيل المُعزي, ولا نستسلم للإنجيل المُغير "لأني لا أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل م يؤمن" (رو16:1).

لم يؤمن اليهود بالمسيح لنفس السبب, لأنهم تمسكوا بتقاليد الشيوخ ومعتقداتهم أكثر من تمسكهم بما هو مكتوب في الشريعة, فلما جاء المسيح مخالفاً للصورة التي رسموها له رفضوه, رفضوا المسيح المُرسل إليهم رفضوا خطة الله لخلاصهم, وتمسكوا بعوائد كثيرة **"لأنكم تركتم وصية الله و تتمسكون بتقليد الناس غسل الأباريق و الكؤوس و أمورا أخر كثيرة مثل هذه تفعلون (مر 7 : 8)**

أننا نضرب علي يد الإنجيل بقسوة لكي ينطق ما نريد أن نقوله نحن, نستنطقه أفكارنا وإرادتنا, ولا نُذعن له ونخضع لنوره, سرنا وراء طقوس الكنيسة, وقوانينها ومعتقداتها وتشبثنا بها أكثر من كلام الله, فحق للمسيح أن يوبخنا قائلاً: "**تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (مت22:19).**

كيف نري الطريق ونحن نسير في الظلام, ولم نرجع للكتاب المقدس ليكون لنا نور, " **إلى الشريعة و إلى الشهادة إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر (أش 8 : 20)**,نعم لن نري ولا خيط من النور. أما المرار كل المرار أن كثيرين استخدموا الكتاب المقدس ليضلوا به الآخرين " **ما انتم فحدتم عن الطريق و أعثرتم كثيرين بالشريعة أفسدتم عهد لاوي قال رب الجنود" (ملا 2 : 8)** " **شريعة الحق كانت في فيه (فم لاوي) و إثم لم يوجد في شفتيه سلك معي في السلام و الاستقامة و ارجع كثيرين عن الإثم.(مل 6:2)**, ليت الأمر وقف عند هذا الحد بل أن هؤلاء المُضلين يعتبرون أنفسهم قادة الشعب ولديهم الحكمة " **كيف تقولون نحن حكماء و شريعة الرب معنا حقا انه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب (أر 8 : 8)**, وهذا عين ما نحن غارقين فيه حرفنا معاني الإنجيل لتوافق أهوائنا, نعم تحولت عن طريق الكتَّب والمؤلفين والواعظين إلي الكذب وعدم الصدق, فلم تعد الكلمة تشفي النفوس, وتغير القلوب, وتجبر المكسور وتعصب الجريح.

كان هذا من جهة الكتاب المقدس ونفس الشيء من جهة ربنا وإلهنا الرب الروح (الروح القدس), أنه ليس شيء أنه شخص الله الكريم المُبارك, فقد استحسنت الكنيسة قيادة الإكليروس لها, وفضلتهم عن الروح القدس وقيادته لها, وأصبح صاحب القرار فيها الرؤساء, البابا, الأساقفة, الرهبان, وليس الله.

كان الروح القدس في الكنيسة الأولي هو الكل في الكل, يختار, يرسل, يُعين يفعل كل شيء:- "كانت الكنائس بتعزية الروح القدس تتكاثر" (أع31:9), "حل الروح القدس علي جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة" (أع44:10), "سبق الروح القدس فقاله .." (أع16:1), "قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي

دعوتهما إليه" (أع2:13), "فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلي سلوكية.." (أع4:13), "قد رأي الروح القدس ونحن" (أع28:15), "منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في أسيا" (أ'6:16), "وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخري كما أعطاهم الروح القدس أن ينطقوا" (أع4:2), ونحن أنكرنا التكلم بالألسنة "احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع28:20), والجدير بالشرح أن كلمة أساقفة في ترجمات أخري نظاراً أو حراساً فلم يعينهم ليتسلطوا علي القطيع بل ليرعوا القطيع والراعي الصالح يضع نفسه عن القطيع, ويعتبر نفسه خادماً له, هكذا كان الرب الروح القدس يقود لفعل كل شيء في الكنيسة. الذي له كل المجد والسلطان.

والسؤال كيف يحل الروح علي كنيسة غير خاضعة له؟ كيف يقودها وهي لا تطلب قيادته؟ كيف يضمها برفق ويرف عليها, وهي لم تطلبه ولم تشتهيه, ولم تصوم وتتضرع وتتوسل إليه ليأخذ زمام الأمور فيها؟ كيف يملأ الكنيسة بعطاياه ومواهبه وقد رفضت سيادته وملكيته لها؟ كيف يملؤها من ثماره, وهي لم تزرع بذور كلامه بالإنجيل؟ كيف يربت عليها وقد لبست شوك القنفذ؟

قال المسيح "لقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم" (مت6:15), ومع ذلك لازالت الكنيسة تتمسك بتقليد الآباء أكثر من كلمة الحق, وقال أيضاً "حسناً رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم" (مر7:19), "وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلمة" (أش13:29), طقوس ,ألحان, نسك, مواسم, أعياد احتفالات, تكريم قدسين, اختراعات (الرهبان السواح).

الرهبنة اختراع البشر وليست من فكر الله, ومع هذا فرأس الكنيسة والمتسلطين عليها رهبان, لذلك لن يكون لها نور, ولن تكون لها حياة, طالما هم القادة, يجب التخلص من قيادة الرهبان للكنيسة, يجب أن تقوم ثورة لخلع الرهبان من سلطانهم علي الكنيسة بل خلعهم من جذورهم. الكنيسة غير قادرة علي رعاية أولادها, فكيف ستقوم بتوصيل رسالة الخلاص للآخرين؟

الفهرس

1- مقدمة الطبعة الأولي --------------------------------

2- مقدمة الطبعة الثانية --

3- طفل يحلم بالرهبنة --

4- رهبان وشياطين --

5- مأساة أبونا "أنج" --

6- حكم قراقوش --

7- إهانة القداسة علي البوابة --

8- أيام العذاب في الفيوم --

9- الانتحار في الدير --

10- السحر في الأديرة --

11- ضمير راهب --

12- الجريمة في الدير--

13- البقرة المصرية والجامعة الأمريكية --

14- أمريكي يترهب بديرنا --

15- يوميات الحرمان في الدير ---
16- الراهبة "هاء" --
17- دير الأنبا بيشوي ---
18- الاكتئاب قاتل الرهبان --
19- أخطاء الأب الروحي --
20- الهروب من الجحيم --
21- الصدام العنيف بين الإنجيل والرهبنة --------------------------------------